

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية

هدي النبي ﷺ في تصحيح الخطأ

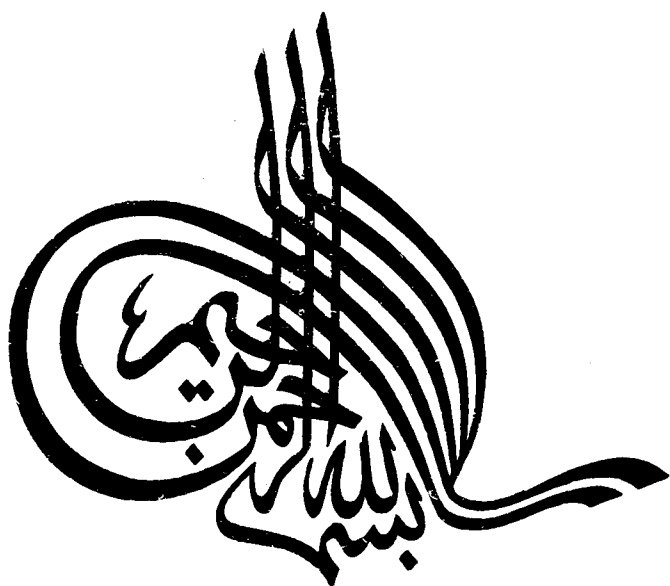
"دراسة حديثة"

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
الآداب
تخصص تفسير وحديث

تقديم الطالبة: حنان عبد الله الزبيري
الرقم الجامعي: ٤٢٢٦٠٣١٠٠

إشراف فضيلة الدكتور: إبراهيم بن حماد الرئيس
أستاذ الحديث وعلومه المشارك

العام الدراسي ١٤٣٠ هـ - ١٤٣١ هـ



إجازة رسالة

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تصحيح الخطأ - دارة حديثية

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

(تخصص التفسير والحديث)

إعداد الطالبة / حنان بنت عبد الله الزيري

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٤٣١/٤/٢٧هـ

وتم إجازتها

أعضاء لجنة المناقشة :

التوقيع

صفة العضوية

مشرفاً ومقرراً

عضواً

عضواً

١- أ.د إبراهيم بن حماد الرئيس

٢- أ.د عبد العزيز بن أحمد الجاسم

٣- د. عبد الله بن ناصر الشقاري

العام الجامعي ١٤٣٠/١٤٣١هـ

الفصل الثاني



إلى من رسم البسمة على شفتي....
إلى من سعى في خدمتي.... حتى غدوت أمّاً.
إلى من غرس حب العلم في قلبي... ووجداني.
ولم يتوانى للحظة أن يدفعني دائماً إلى التفوق والنجاح.
إلى أغلى إنسان إلى قلبي والذي حفظه الله وأطال الله في عمره.

إلى القلب الطاهر...
نبع الحنان.. ومنبع الطيبة.
إلى من ينبض قلبي بحبها...
والدتي الحبيبة... حفظها الله لي.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مضل له، وَمَنْ يَضِللْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ بعثه الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وعلى أصحابه الأخيار وأتباعه الأبرار، الذين أخلصوا لهذا الدين، فنفوا عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. أما بعد:

فلا يخفى ما للتربية الإسلامية من شأن عظيم على شخصية المتعلمين؛ إذ هي تربية شاملة: تعليم، وتلقين، وعرض لمبادئ الدين الخنيف، وهي كذلك تصحيح للأخطاء، وتعديل للسلوك، وتهذيب للنفس.

وإن جانب التصحيح من الجوانب المهمة، التي أولاهها الهدي النبوي عناية فائقة، اتضحت من خلال المواقف التي نقرأها في سيرة المصطفى ﷺ.

وإن المتعمق في بحر السنة الزاخر يرى المواقف التي تظهر منها مراقبة الرسول ﷺ لتصرفات الناس، وسلوكياتهم، التي يلحظها حين يصلي هذا، أو يتحدث ذاك، وكان ذلك التعديل والتصحيح يظهر منه بأساليب متنوعة، وبوسائل مختلفة، فتارة بالتلميح، وأحياناً باللوم والتوبيخ، وتارة بالوعظ، وأحياناً بالإشارة، وأحياناً أخرى بالتوجيه المباشر، متبعاً في ذلك كله الظروف التي وقع فيها الخطأ، ومدركاً ﷺ للاختلاف الحاصل في شخصيات الناس وطبيعتهم، فما يناسب إنساناً بعينه قد لا يتناسب مع غيره، فهذا يترجر باللوم، وآخر تكفيه الإشارة؛ إذ هو ﷺ يولي هذه الطبيعة البشرية اهتماماً بالغاً، ويعني بها عناية المربي الرحيم، المصلح الذي يدرك أن الخطأ هو جزء منها لا محيص عنه، لكنها في الوقت نفسه قادرة على تجاوزه، والإقلاع عنه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله - عز وجل - وإلا لما كان للتصحيح والمعالجة أي فائدة.

ومن هنا فإني اخترت أن يكون بحثي التكميلي لنيل درجة الماجستير هو:

(هدي النبي ﷺ في تصحيح الخطأ) دراسة حديثة.

وفيما سيأتي عرض لأهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث وحدوده، وما يتطلبه من أمور سآتي على ذكرها - إن شاء الله تعالى.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في نقطتين رئيسيتين هما:

- ١- غفلة الناس عن الطرق الصحيحة في التعامل مع الأخطاء ومعالجتها.
- ٢- الافتقار إلى منهجية ذات تأصيل شرعي في مواجهة هذه الأخطاء؛ مما يدفع أهل التربية والإصلاح إلى انتهاج طرق تربوية لا تخلو من ثغرات وتجاوزات في ضوء ضوابط الشرع.

حدود البحث:

ستكون حدود البحث - إن شاء الله - جمع ودراسة الأحاديث التي يتضح فيها هدي الرسول ﷺ في تصحيح الخطأ من خلال الكتب الستة.

مصطلحات البحث:

تصحيح الأخطاء: يُقصد به في هذا البحث تقويم المخطئ وإرشاده إلى الصواب - أحياناً- أو الاكتفاء بالنهي عن الخطأ مباشرة، أو التلميح إليه.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تظهر أهمية البحث من خلال ما يأتي:

١- إن تصحيح أخطاء الناس، ومعالجتها، من النصيحة في الدين، التي أوجبها الله - سبحانه وتعالى - ورسوله ﷺ على الناس كافة في قوله ﷺ: "الدين النصيحة"^(١). وكذا صلته بفريضة عظيمة، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- لا يخفى ما لهذا الموضوع من فائدة عظيمة تعود على المربين، والمعلمين، بل وحتى على الآباء في تعاملهم مع أبنائهم.

٣- إن دراسة هدي النبي ﷺ في تعديل السلوك ومعالجة الأخطاء، فيه امتثال لأمر الله - عز وجل - في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب: ٢١)

٤- الحاجة إلى التأصيل الشرعي في القضايا التربوية.

٥- مع أهمية هذا الموضوع في إصلاح النفوس، ومع فائدته التربوية والدعوية، إلا أنه حسب علمي لم يُبحث من قبل وبالأسلوب الذي سأقوم بدراسته.

٦- الاستفادة من هذا الموضوع في معالجة الأخطاء بالهدي النبوي.

٧- رغبتي الملحة في الدراسة الحديثة الموضوعية.

الدراسات السابقة:

لم أجد - بعد مراجعة المراكز العلمية كمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والجامعات كجامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود، وسؤال

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح (١/٧٤) كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، والترمذي في السنن

(٢٨٦/٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة، وأبو داود في السنن (٤/٢٨٦) كتاب الأدب، باب في

النصيحة، وعند النسائي في المجتبى (٧/١٥٦) كتاب البيعة، باب النصيحة للإمام عن تميم الداري عن النبي ﷺ

مرفوعاً .

المختصين في مجال التربية أو الحديث - دراسات بحثت هذا الموضوع في دراسة حديثة تأصيلية، لكن توجد دراسات تناولت السلوك الإنساني، وهي دراسات تربوية وليست حديثة، ومنها ما يأتي:

١- تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، وهي رسالة ماجستير مسجلة بجامعة اليرموك بالأردن، إعداد عماد عبد الله الشرفين، وبالسؤال عنها في الجامعة المذكورة تبين أنها رسالة غير مسجلة في الحديث والسنة، وأنها في الأقسام التربوية في الجامعة وليست فيها عناية حديثة.

٢- وكذا رسالة ماجستير بعنوان (منهج الإسلام في معالجة دوافع السلوك الإنساني) مسجلة بجامعة الأزهر، إعداد طلعت محمد عفيفي، وقد تم تتبع الرسالة في جامعة الأزهر، وتبين أن الرسالة خاصة بتعديل السلوك من الناحية التربوية، وهي رسالة قديمة يصل عمرها إلى ما يقارب الثلاثين سنة، وقد استشهد الباحث في رسالته بأحاديث من السنة النبوية، نقلها من كتاب (الوسيط) لمحمد بن محمد الغزالي، بالإضافة إلى أن الباحث قد أشار في عنوان رسالته إلى معالجته الدوافع الخاصة بالسلوك، ولا يخفى أن دراسة الدوافع للسلوك الإنساني أمر آخر بعيد عن دراسة تعديل السلوك نفسه.

٣- وكتاب بعنوان (من وسائل وأساليب التربية النبوية) د. صالح بن علي أبو عراد.

وهو رسالة صغيرة ذكر فيه المؤلف أساليب المصطفى ﷺ في التربية والتعليم، وذكر منها أسلوب معالجة الأخطاء وتصحيحها، وعدّد لذلك أمثلة فيما يقارب صفحة واحدة.

٤- وكتاب بعنوان (الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس) للشيخ محمد المنجد. جمع فيه المؤلف أساليب نبوية فيها تعامل المصطفى ﷺ مع الأخطاء، لكنه لم يكن دراسة حديثة بالمعنى المقصود، وإنما كان الكتاب تربوياً توجيهياً.

وأود الإشارة إلى أن الدراسة التي أرمي إليها، هي دراسة الموضوع من جهة حديثة بالدرجة الأولى، تقوم على الاستقراء التام لديه ﷺ ومنهجه في علاج الأخطاء التي يقع

فيها الناس، مع مراعاة الجوانب التربوية المهمة التي تلمس من ذلك، واستخلاص الفوائد والعبر التي يمكن تطبيقها على واقعنا، وفي المجالات كافة التي يتعامل فيها الناس فيما بينهم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق أهداف منها:

- ١- حصر الأحاديث النبوية التي يتضح من خلالها المنهج التربوي.
- ٢- حصر الأساليب النبوية التي اتضح فيها هدي الرسول ﷺ في تصحيح الخطأ من خلال السنة المطهرة.
- ٣- بيان المنهج النبوي في مراعاة نفسيات المخطئين، وظروفهم، وأحوالهم.
- ٤- بيان حرص الإسلام على جعل بدائل للمسلمين تغنيهم عن الوقوع في الخطأ.

أسئلة البحث:

- ١- ما الأحاديث التي عني فيها النبي -ﷺ- بتصحيح الأخطاء؟
- ٢- ما الأساليب التربوية التي كان يتبعها النبي ﷺ في تصحيح الأخطاء؟
- ٣- ما المنهج الذي كان يتعامل به الرسول ﷺ مع المخطئين، والمقصرين ممن عايشهم أو لقيهم؟
- ٤- هل أرشد النبي ﷺ إلى بدائل عن الأشياء التي هي عنها؟

منهج البحث:

يقوم على المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

إجراءات البحث:

- ١- تتبع الأحاديث الواردة حول هذا الموضوع في الكتب الستة، وجمعها.
- ٢- حاولت استقصاء الأساليب النبوية في التصحيح من خلال استقراء الأحاديث ودراسة فقهاها.
- ٣- صنفت الأحاديث الواردة حسب الأساليب النبوية.
- ٤- عملت على تحليل النص النبوي؛ واستنباط ما فيه من الدلالات والفوائد المتعلقة بموضوع البحث؛ إذ هو غزير بالمفاهيم التربوية.
- ٥- وضعت مقدمة موجزة لكل فصل ومبحث تبين المراد منه.
- ٦- ذكرت الحديث كاملاً مع ذكر راويه الأعلى، إلا أن يكون الحديث طويلاً فأقتصر على موضع الشاهد منه.
- ٧- رتبت أحاديث المبحث على حسب درجتها من الصحة، فإذا كان عندي حديثان في المبحث الواحد أحدهما عند البخاري والآخر عند مسلم، فإني أقدم البخاري، إلا أن يكون الحديث عند البخاري موجود لكن دون ذكر الشاهد من المبحث الذي أوردته، فإني لا أتقيد بطريق الإمام البخاري - رحمه الله - وأقدم لفظ غيره عليه، لأنه أوضح في الدلالة وهذا نادر.
- ٨- الأحاديث التي جاءت في هذا البحث في الصحيحين، اقتصر في تخريجها على الكتب التسعة فقط، وأذكر فيه الجزء، والصفحة، والباب والكتاب، أما إذا ورد عندي حديث من أحاديث المبحث خارج الصحيحين، فإني أتوسع أكثر في تخريجه ودراسته.
- ٩- ما ليس في الصحيحين أو أحدهما من الحديث الوارد في أصل المبحث؛ اجتهدت في تخريجها ودراسة أسانيدها، والحكم عليها، وأذكر أقوال علماء الجرح والتعديل في رجالها، وإن اختلفت أقوال علماء الجرح والتعديل في راوٍ منهم، فإني أعتمد على قول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في التقريب أو في أحد كتبه في الرجال.
- ١٠- نظرت في حكم العلماء على الأحاديث التي في السنن الأربعة، وذكرتها.

- ١١- رتب في التخریج على الأقدمية؛ حيث أقدم الأقدم أولاً، ما لم تتعارض عندي الطرق، فأحتاج إلى تقديم متأخر أو تأخير متقدم.
- ١٢- أما الأحاديث التي ترد في معرض الدلالات والفوائد أو في الشرح، فإني أكتفي في تخریجها من الكتب الستة فقط، وأرتبها دون سرد الطرق فيها.
- ١٣- وما كان من الأحاديث المخرجة عندي في الشواهد والدلالات، وهو في صحيح البخاري فلم ألزم فيه بتتبع أماكن وجوده عند البخاري وإنما اكتفيت بتخریجه من أي موضع ذكره من كتابه.
- ١٤- إن استشهدت بحديث ما في الدلالات، ولم يكن في أي من الكتب الستة، فإني اكتفيت بتخریجه من مسند الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -.
- ١٥- دراسة الأحاديث التي تكون خارج الصحيحين دراسة حديثة حسب منهج العمل المعتمد من المسار وسيكون وفق النقاط التالية:
- تخریج الحديث تخریجاً تفصيلياً.
 - ذكر درجة الحديث وذلك بتخریجه من الصحيحين أو دراسة إسناده دراسة كاملة بذكر الراوي وحاله والحكم عليه، وبيان شيخين له وتلميذين ممن رواه أو عنه؛ إن كان الحديث في غيرهما.
 - وإن كان الحديث به علة قاذحة من مدار الحديث كانقطاع أو ضعف أو غيره فإني أدرسه وأحكم عليه.
 - وإن كان السند إلى المدار صحيحاً فإني أختار سنداً من هذه الأسانيد من مدار الحديث إلى روايه من أصحاب السنن فأدرس حاله روايةً واتصلاً.
 - ثم أحكم عليه باجتهادي حسب ما ظهر لي من الدراسة.
 - وأعقب بذكر ما أفق عليه من أقوال العلماء في حكمهم على الحديث سواءً من المتقدمين أو المتأخرين كالألباني وغيره.

١٦- اخترت لكل أسلوب من الأساليب حديثين أو ثلاثة، مما يكون أقوى في الدلالة والتصريح على المقصود.

١٧- بعد كل مبحث ذكرت شواهد له -إن وجد- وأخرج هذه الشواهد من الكتب الستة فقط مكتفية بذكر الجزء والصفحة والكتاب والباب دون ذكر طريقها أو الحكم عليها.

١٨- عزوت الآيات القرآنية الكريمة في متن البحث.

١٩- شرحت الألفاظ الغريبة وضبطت ما يشكل منها.

٢٠- اعتنيت بضبط الحديث في أصل المبحث مشکولاً ما أمكن.

٢١- قد أكرر الاستشهاد بالحديث إذا كان له موضع مناسب في مبحث آخر، أو فصل مختلف، وأكتفي بتخريجه في الموضع الأول وأحيل عليه.

٢٢- إن عزّ وجود شاهد في المبحث له، أو لم يكن للمبحث إلا حديث واحد، فإني قد استشهد بشواهد قوية تفيد الباب ذكرت في كتب أخرى وهذا قليل.

٢٣- رقت أحاديث المبحث من حين ذكرها، ابتداءً بالتمهيد إلى نهاية الفصل الثاني برقمين الأول منهما يشير إلى رقم الحديث في البحث، والثاني إلى رقم المبحث، من دون ترقيم الشواهد.

٢٤- عنونت للدلالات التربوية والفوائد ما أمكن.

٢٥- بعد نهاية كل مبحث بينت النتائج التي يخلص منها هذا المبحث.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وسبب اختياره.

التمهيد: وفيه:

أولاً: تعريف الخطأ.

ثانياً: أنواع المخطئين.

ثالثاً: أحوال المخطئين.

الفصل الأول: هدي النبي ﷺ في تصحيح الخطأ بالقول.

المبحث الأول: التخويف من الخطأ.

المبحث الثاني: التلميح دون التصريح.

المبحث الثالث: تصحيح التصور للمخطئ.

المبحث الرابع: تقديم البدائل.

المبحث الخامس: العتاب على الخطأ.

المبحث السادس: إعطاء الفرصة لمعرفة الخطأ وتصحيحه.

المبحث السابع: الدعاء على المخطئ.

المبحث الثامن: التثبت من المنكر.

المبحث التاسع: طلب الكف عن الفعل الخاطئ.

المبحث العاشر: توضيح مضرة الخطأ.

المبحث الحادي عشر: محاورة المخطئ.

المبحث الثاني عشر: الإنكار الصريح والتنديد المباشر.

الفصل الثاني: هدي النبي ﷺ في تصحيح الخطأ بالفعل.

المبحث الأول: الهدوء في التعامل مع الخطأ.

المبحث الثاني: إظهار الرحمة بالمخطئ.

المبحث الثالث: هجر المخطئ.

المبحث الرابع: تأديب المخطئ.

المبحث الخامس: الإعراض عن المخطئ.

المبحث السادس: إثارة الناس على المخطئ.

المبحث السابع: الإصلاح بين المخطئين.

المبحث الثامن: إظهار الغضب من الخطأ.

المبحث التاسع: حفظ مكانة المخطئ وإبداء الاحترام له.

الخاتمة:

وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث الشريفة.
- فهرس الرواة المترجم لهم.
- ثبت المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

وفي ختام هذه المقدمة فإني أحمد الله جلّ جلاله الذي بنعمته تتم الصالحات على ما يسر لنا في هذا البحث، وأسأله التوفيق والسداد، وأحب أن أتقدم بالشكر الجزيل بعد شكر الله تعالى لجامعة الملك سعود وجميع القائمين عليها لما يقدمونه من خدمة العلم وأهله، وأوجه الشكر أيضاً لقسم الثقافة الإسلامية، وأخص بالشكر المشرف على رسالتي، فضيلة أستاذ الحديث وعلومه المشارك بكلية التربية في جامعة الملك سعود بالرياض، الدكتور/ إبراهيم بن حماد الرئيس على ما منحني من وقته وجهده، وما بذله لي من نصيح وتوجيه واهتمام، فجزاه الله عنا خير ما جزا به عباده الصالحين، ووفقه لما يحبه ويرضاه في الدنيا والآخرة، وأمده بالصحة والعافية.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور/ خالد بن منصور الدريس صاحب فكرة هذا الموضوع على اختياره له، والذي وفقني الله عز وجل لطرحه رسالة علمية أسأل الله أن ينفع بها، كما أسأله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

كذلك أشكر فضيلة المناقشين الذين تفضلاً بقبول مناقشة هذه الرسالة، فضيلة الدكتور/عبد الله بن ناصر الشقاري، أستاذ الحديث وعلومه المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بكلية أصول الدين، قسم السنة وعلومها، وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد العزيز الجاسم، بقسم الدراسات الإسلامية، بجامعة الملك سعود، كلية التربية، فجزاهما الله كل خير في الدنيا والآخرة.

ويقف قلبي حائراً عند تسطير شكري وجل تقدير وامتناني لزوجتي.. منصور بن إبراهيم العبد الرحمن الذي قدم لي المساعدات والتضحيات المتوالية في سبيل إنجاز هذا البحث، فأسأل الله العلي العظيم أن يحفظه ويجعله في ميزان حسناته يوم يلقي الله عز وجل، ولصغاري وفلذات كبدي لما عانوه في مسيرتي العلمية، من انشغالي عنهم، أسأل الله أن يجعلهم من عباده وأوليائه الصالحين، ولجميع من ساهم في إخراج هذا البحث بهذه الصورة.

وأسال الله العلي الكريم أن يتقبل عملي هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، فإن كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله تعالى منه وأتوب إليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على نبينا وحبينا محمد ابن عبد الله ﷺ وعلى آله الطيبين الأخيار إلى يوم الدين.

المبحث

أولاً: تعريف الخطأ.

ثانياً: أنواع المخطئين.

ثالثاً: أحوال المخطئين.

تعريف الخطأ

تعريف الخطأ لغةً:

الخطأ والخطء: ضد الصواب .

وأخطأ الطريق، عدل عنه، وفي دينه: سلك فيه خطأً عامداً، أو غير عامد.

ويقال لمن طلب حاجة فلم ينجح: أخطأ نوءك، وأخطأ الرجل في عمله إذا حاد عن الصواب.

ومن المجاز: لن يُخطئك ما كتب لك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وأخطأ المطر الأرض: لم يصبها. ^(١)

وقد فرّقوا بين الخطأ والخطء فقالوا: الخطأ ما لم يتعمد، والخطء ما تعمد، ومنه قتل الخطأ ودينه كذا وكذا، هو ضد العمد، وهو أن تقتل إنساناً بفعلك من غير أن تقصد قتله، أو لا تقصد ضربه بما قتله به. ^(٢)

وعلى هذا التفريق فإنه قد يُطلق الخطأ على ما هو ضد العمد .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ (النساء: ٩٢)

كان يكون أراد أن يصيد طيراً فأصاب إنساناً بغير قصد، فيسمى خطأً لما هو ضد التعمد لأنه بغير نية من الفاعل ولا إرادة.

" ذلك أنه من العسير أن يتصور أن يُقدم مسلم على هذه الكبيرة عن عمد وقصد، فيقوم بقتل مسلم أبداً، وقد ربطت بينهما هذه الرابطة الوثيقة، اللهم إلا أن يكون ذلك خطأ، وللقتل الخطأ توضع التشريعات والأحكام ". ^(١)

(١) أساس البلاغة، محمود الزمخشري (٢٣٨/١).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٧٤/١)، وكذا معجم الفرائد، إبراهيم السامرائي (٧٦/١)، ذيل أقرب

الموارد، سعيد الشرتوني (٢٨٣/٤)، ترتيب القاموس المحيط، الطاهر أحمد الزاوي (٧٤/٢).

فالخطأ ما لا إثم فيه، والخطء ما فيه إثم^(٢)، وفي المثل: "مع الخواطي سهم صائب" يضرب للذي يكثر الخطأ ويأتي بالصواب أحياناً .

وقد ورد في القرآن الكريم التعبير بالخطء لما هو ضد الصواب، في مثل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِنُوا نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١)

فإن هذا الفعل خطأ وهو ضد الصواب؛ لأن الله ﷻ ضمن لهم أرزاقهم، والأصل والصواب ليس في قتل الأولاد ووأدهم لأنه إثمٌ وخطيئة، وإنما الصواب رعايتهم والحفاظ عليهم، وتربيتهم.

وأما الخطيئة: فهي أعم من ذلك، فهي الذنب وقيل: المتعمد وجمعها خطايا، وخطيئات، وقد تطلق على الخطأ الكبير الشنيع من كبائر الذنوب، وعظائم الموبقات؛ ولذا قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩٧) ولم يقولوا: مخطئين؛ لأنهم تعمدوا هذا الفعل، وأدركوا أن فعلتهم عظيمة، فالخطيئة على هذا هي أمر آخر أشنع وأعظم من الخطأ نفسه، فيجب التفريق بينها وبين الإثم والذنب.^(٣)

"وقد حققه الإمام الراغب حيث قال: الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضرب، أحدهما: أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله، هذا هو الخطأ التام المؤاخذ به.

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢/ ٧٣٥).

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (٣/ ١٨٣٩).

(٣) انظر: كتاب الهادي إلى لغة العرب، حسن سعيد الكرمي (١/ ٦٣٧) وكتاب متن اللغة، للشيخ أحمد رضا (٢٩٥/١) بتصرف يسير .

الثاني: أن يريد ما يحسن فعله لكن يقع عنه بخلاف ما يريد، وهذا أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل، وهو المعنى في حديث: "رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان" ^(١) وبحديث: "مَنْ اجتهد فأخطأ فله أجر" ^(٢).

والثالث: أن يريد ما لا يحسن ويتفق منه خلافه فهو مخطئ في الإرادة، مصيب في الفعل فهذا مذموم بقصده محمود على فعله، ومنه قوله: أرادت مساءتي فأجرت مسرتي، وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدري، وجملة الأمر أن من أراد شيئاً وافق منه غيره يُقال أخطأ، وإن وقع منه كما أراده يقال أصاب... الخ" ^(٣).

(١) للعلماء حول هذا الحديث كلام فقد قال ابن حجر: "لم أجده بهذا اللفظ" وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: "هذه أحاديث منكورة كألفا موضوعة، ولا يصح هذا الحديث ولا يثبت إسناده" راجع الدراية في تخريج أحاديث الهداية، لابن حجر (١/١٧٥)، وكشف الخفاء للعجلوني (١/٢٢٥) وكذا تلخيص الحبير لابن حجر أيضاً (١/٢٨١)، وكذا نصب الراية للزيلعي (٢/٦٤).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٨/٣٢٢) كتاب آداب القضاة، باب الإصابة في الحكم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) التعاريف، لمحمد المناوي (١/٣١٧).

تعريف الخطأ اصطلاحاً :

وردت تعاريف عدة في بيان معنى الخطأ منها:

هو ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد، ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يؤثم الخاطئ، ولا يؤاخذ بحد ولا قصاص، ولم يجعل عذراً في حق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان، ووجبت به الدية، كما إذا رمى شخصاً ظنه صيداً أو حريباً، فإذا هو مسلم، أو غرضاً فأصاب آدمياً، وما جرى مجراه، كنائم ثم انقلب على رجل فقتله. ^(١)

وقيل: كل ما يصدر عن المكلف من قول أو فعل خالٍ عن إرادته، وغير مقترن بقصد منه. ^(٢)

(١) انظر: التعريفات للرجحاني ص ١٣٤.

(٢) العوارض الأهلية عند الأصوليين، حسين خلف الجبوري ص ٣٩٦.

ثانياً: أنواع المخطئين

إن من الأمور المهمة التي لا بد أن يعرفها المربي أو المصلح أن المخطئين يختلفون ففيهم الصغير، وفيهم الكبير، وفيهم الرجل، وفيهم المرأة، ومن هذا التنوع تختلف طريقة التعامل على حسب طبيعة كل فرد منهم.

ولقد كان الرسول ﷺ مربيًا عظيمًا، ذا أسلوب فريد يتعامل مع كل فرد بما يناسبه، رجلاً كان أو امرأة، صغيراً كان أو كبيراً، طفلاً كان أو شاباً، ويراعي ﷺ الفروق الفردية في معاملته لكل فرد من أصحابه، فيراعي ﷺ في الطفل طفولته، وفي الكهل كهولته، وفي المرأة أنوثتها، حتى يرتقي بكلٍ منهم عن الخطأ ومن تلك الأحاديث التي شملت تصحيح الخطأ لجميع أفراد ما يتضح في الآتي:

١- وَهَبَ بَنَ كَيْسَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا غُلَامُ سَمِ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ". فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَمْرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "كَيْفَ كَيْفَ — لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ: أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ".

٣- عَنْ أَنَسٍ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَأَنْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَقَّ الصَّحْفَةَ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ "غَارَتْ أُمُكُمْ"، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ كَسَرَتْ صَحْفَتَهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ كَسَرَتْ.

٢/١- عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: كُنْتُ غَلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَا غَلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ يَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ". فَمَا زِلْتُ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٦/٤)، والبخاري في صحيحه (١/٤٦٤) كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين رقم/٥٣٧٦، وعند مسلم في الصحيح (١/١٠٣٨) كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما رقم/٥٢٦٩.

وفي سنن ابن ماجه (١/٢٦٧٥) كتاب الأطعمة، باب الأكل باليمين رقم/٣٢٦٧.

جميعهم من طريق سفيان بن عيينة عن الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان .

وجاء عند الترمذي في (١/٢٨٨) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام رقم/١٨٥٧ من طريق أخرى عن هشام بن عروة عن أبيه.

وفي سنن أبي داود (١/١٥٠٢) كتاب الأطعمة، باب الأكل باليمين رقم/٣٧٧٧ من طريق سليمان بن بلال عن أبي وجزة.

ثلاثتهم (وهب بن كيسان، وعروة بن الزبير، وأبي وجزة) عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه .

الدلالات والفوائد التربوية:

١- مخاطبة المخطئ ومناذاته بأسلوب لطيف:

إن صغر الصغير لا يمنع من تصحيح خطئه وتعديل سلوكه، بل ذلك من إحسان تربيته، وهذا مما ينطبع في ذاكرته ويكون ذخيرة لمستقبله^(١)، ولا يخفى أن الأطفال هم صنف من أصناف المدعوين، وقد ثبت أن النبي ﷺ استمال قلوب كثير من الأطفال إما بالدعاء أو المداعبة، وكان ﷺ يأكل معهم، ويوجههم، ويصحح أخطائهم أثناء الأكل، وهي فرصة - بلا شك - أن يأكل هؤلاء مع معلمهم الأعظم ليتعلموا آداب الأكل، فلم يكن

(١) من كتاب الأساليب النبوية في معالجة أخطاء الناس، للشيخ محمد صالح المنجد ص ٢٩.

ثمة معلم أحسن تعليمًا منه ﷺ، وكان إذا رأى بعض الصبيان يعمل عملاً لا ينبغي أنكر عليه بالأسلوب الحسن الجميل الذي يناسبه، كما حدث هنا في طريقة معالجته ﷺ لخطأ ربيه عمر بن أبي سلمة، فقد عاجله بأسلوب الأب الرحيم المشفق؛ حيث ناداه بعبارة فيها تحنن منه ﷺ وتلطف وعطف فقال: يا غلام إرشاداً وتأديباً ليشد انتباهه أولاً، ثم يأتي بعد ذلك التعليم ثانياً، وفي رواية لأبي داود: "يا بني".^(١) وفي رواية للترمذي: "أدن يا بني".^(٢) ولا شك أن هذا النداء يشيع في النفس الطمأنينة، ويثير فيها حب الاستجابة للنصيحة، وحب التطلع إلى ما يقوله المربي.

إن من عوامل بناء الثقة في الطفل، ورفع روحه المعنوية وحالته النفسية أن ينادى باسمه، بل بأحسن أسمائه، أو كنيته، أو بوصف حسن له، ولذلك كان النبي ﷺ يعتني بهذا الأمر كثيراً وهو قدوة في ذلك، فكان تارة ينادي الصبي بما يتناسب مع صغر سنه فيقول: يا غلام، وتارة بالكنية، وتارة باسمه وهكذا... إن هذا التصرف منه ﷺ فيه دعوة صريحة للمربين إلى ضرورة الاعتناء بمخاطبة المتربي بما يليق بهم، حتى حين الخطأ، فليس من اللائق إذا ما أخطأ الطفل أو التلميذ يُنادى بأسماء الحيوان أو بألفاظ نابية تجعله محل استهزاء وإهانة بين أصحابه، بل ربما أدى مثل هذا التصرف من المربي إلى ردود فعل سلبية على المتلقي، ومع مرور الوقت إلى كراهية مكان العلم كالمدرسة والجامعة أو غيرها.^(٣)

وهذا خلاف مسلك النبي ﷺ وتعامله وإقراره لمبدأ الرفق والملاطفة حين التعامل مع الأطفال، وقد قال ﷺ في الحديث: إن الله لم يبعثني معتاً ولا متعتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً".^(٤)

فتأمل رفقه ﷺ بهذا المخطئ اليتيم، وقد جعله موضع ابنه مخاطباً له بنداء محبوب للنفس بما يتناسب مع سنه، ورفقه ﷺ في تعليمه آداب الطعام، ثم "تفضله ﷺ بإدناؤه إليه من نفسه

(١) أخرجه أبو داود في السنن (١/) كتاب الأشربة، باب الأكل باليمين.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (١/) كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام.

(٣) أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين، جمال عبد الرحمن ص ٧٦.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (٢/ ١١٠٤) كتاب الطلاق، باب أن تحيير امرأته لا يكون طلاقاً.

الكرامة كما في رواية الترمذي ^(١)؛ ليزيد الرفق لطفاً وشفقةً ورحمةً، ولا غرابة منه ﷺ في هذا فقد بعثه ربه ﷺ رحمةً للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). ومن هنا يعلم أنه ينبغي أن يحرص في التربية أن يكون بدء الاحتساب على الأطفال باللين والرفق، ولا يُعدل عنه إلى الشدة والقسوة إلا عند الحاجة ^(٢).

٢- اختيار النبي ﷺ الوقت المناسب لمعالجة الخطأ:

إن على المربي أن يختار الوقت المناسب للتوجيه ومعالجة الخطأ، فإن ذلك له أكبر الأثر في تعديل السلوك السيئ، وحتى تؤتي النصيحة أكلها " ولقد أفادت التجارب العملية في التربية أثر اختيار الوقت المناسب في التوجيه، ولذا تجد أن الرسول ﷺ دقيق النظر في تحين الوقت والمكان المناسبين للتوجيه، ومن الدراسة العملية لسيرة النبي ﷺ نلاحظ أنه اختار لنا ثلاثة أوقات أساسية في توجيه الطفل وهي: الزهرة والطريق أو المركب، ووقت الطعام، ووقت المرض ^(٣)."

وقد ذكر أحد المربين أن هناك أسساً مهمة مخاطب بها الوالدان والمربون وقواعد أساسية عليهم الالتزام بها لضبط سلوكيات أبنائهم، وذكر منها تحين الزمان المناسب والمؤثر للتوجيه؛ لأن ذلك يسهل ويقلل من جهد العملية التربوية المبذول، فإن القلوب تقبل وتدبر، فإن استطاع الوالدان توجيه أطفالهم وقت إقبال قلوبهم، فإنهم سيحققون بذلك فوزاً كبيراً.

وقد قدم النبي ﷺ أوقاتاً أساسية في توجيه الطفل، ومنها وقت الطعام ففي هذا الوقت يضعف الطفل أمام شهوة الأكل ويحاول أن ينطلق على سجيته، فيتصرف أفعالاً شائنة أحياناً، ويخل بآداب الطعام أحياناً أخرى، فإذا لم يجلس معهم الوالد أو المربي باستمرار

(١) سبق بيانه، راجع ص ٦ من هذا البحث.

(٢) مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، صالح بن سليمان المطلق ص ١٣٨، كتاب الاحتساب على الأطفال، د. فضل إلهي ص ٥٧.

(٣) تربية الطفل في الإسلام، أحمد عطا عمر وآخرون ص ١٤٨ وما بعدها، تربية الطفل في السنة النبوية، محمد صالح المنيف ص ٩٥ وما بعدها.

أثناء الأكل ويصحح له خطأه، فإن الطفل سيتعود على العادات السيئة المنفرة، وسيفقد الوالدان وقتاً مناسباً لتوجيه الصغير وتعليمه، وقد أكل الرسول ﷺ مع الأطفال وشاهد ولا حظ وصحح أخطاءهم وهذا واضح من حديث عمر بن أبي سلمة ؓ^(١).

٣- التوجيه المباشر أحد أساليب التربية في تعديل السلوك الخاطئ:

لقد "وضع لنا الإسلام بعض الآداب العامة التي تجعل حياتنا أفضل، وحينما يتعد المجتمع عن هذه الآداب تعمه الفوضى وتملأه الهمجية؛ لذلك وجب تربية الأبناء على الالتزام بهذه الآداب، وإذا رأينا أحدهم يخالفها نعالج الموقف بسرعة، وهذا الذي فعله الرسول الكريم ﷺ".^(٢)

فعندما رأى يد الصبي على المائدة تطيش بمنة ويسرة في الصفحة، ولا تقتصر على موضع واحد أنكرك عليه وكان إذ ذاك صغيراً لم يبلغ بعد، يدل على ذلك قوله له: يا غلام ووجهه إلى تعديل سلوكه بأسلوب التوجيه المباشر قبل أن يتحول العيب إلى عادة سلوكية مكتسبة يصعب علاجها.

ولقد كان الرسول ﷺ يتبع أكثر من طريقة في تعليمه للناس، وإيصال المعلومة إليهم وفي تعديل سلوكهم وتربيتهم أيضاً؛ إذ أن وصول المربي إلى غايته، لا يحتم عليه اتباع طريقة واحدة معينة، بل لا بد له من استعمال الطريقة التي تلائم سامعه وتناسبه، وتلك الطرائق تختلف باختلاف طبيعة المتلقين لنهج التربية، وتنوع بتنوع العقول والأمزجة والنفوس، وبذلك تنوع الطرائق وتختلف الوسائل، والرسول ﷺ كان حريصاً على هذا الأمر، فلكل إنسان يعامل ما يناسبه من طرق العلاج، ولكل حالة طريقة تلائمها في تعديل السلوك، لذلك اختلفت الطرائق لديه ﷺ كما اختلفت الوسائل، وقد ساعده ﷺ في ذلك ما هياه الله ﷻ له من النجاح، وما حباه من قدرة على تفهم الأمور والنفوس مع فصاحته وبلاغته ﷺ.

(١) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد ص ٣٦٢ بصرف.

(٢) كيف نعالج أخطاء أبنائنا، عبد الله محمد عبد المعطى ص ٦٦، آداب الأكل والشرب في الفقه الإسلامي، حامد بن مده الجلعاني ص ٤٨.

ويظهر للناظر في حديث عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ استخدم معه الطريقة التقريرية، وهذه الطريقة تقوم على التوجيه المباشر، وهي طريقة سهلة وسريعة في تقديم المعلومات وتصلح للصغار خاصة، ألا تراه ﷺ قدم تلك التوجيهات للصبي في كلمات بسيطة قصيرة ومختصرة يسهل حفظها وفهمها، حتى انعكس أثرها على السلوك الذاتي لهذا السامع فأثرت فيه بقية حياته، وصارت بمثابة عادة ملازمة له واطب عليها، وأشار هو ﷺ إلى ذلك بقوله: "فما زالت تلك طعمتي بعد" ^(١) ^(٢) أي صفة أكلتي، لزمتم ذلك حتى استمر وكان صنييعي في الأكل على ما علمني ﷺ . ^(٣)

وهذا يعني أن التعليم والتربية في مراحله الأولى (مرحلة الطفولة المبكرة) ذو أثر عميق في تربيته وهيئة مداركه لمزيد من التعلم، وهي - أيضاً - أكثر فاعلية وانطباعاتاً في ذهن الطفل وفي ذاكرته، وهي من أهم وأخطر المراحل التي يمر بها الصغير؛ لأنها تتشرب بسرعة القيم والتوجيهات فيثبت عليها في الكبر.

ومن هنا كان لابد على الوالدين الحرص على التربية والتعليم للطفل منذ الصغر وتنشئته على تعلم الآداب الاجتماعية واحترامها؛ لأنها في جملتها منبثقة من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية. ^(٤)

٤- النبي ﷺ يركز دائماً على علاج الأخطاء السلوكية لا على الخطأ:

إن عدم التوسع في ذكر الخطأ أو المشكلة أمام المخطئ أمر مهم له دوره على نفسيته، والأولى بالمربي أن يركز اهتماماته على العلاج لا على ذكر الخطأ وترداده على مسامع المخطئ في كل وقت، كما فعل النبي ﷺ حين رأى الخطأ من الصغير ورأى يده تطيش

(١) سبق تخريج الحديث بهذه اللفظة ص ٦ .

(٢) أصول تربية الطفل المسلم.. الواقع والمستقبل، آمنة راشد بنجر ص ١٦٨، وانظر: تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، يوسف بدوي ص ٣٠٨، مرجع الآاء في تربية الأبناء، عبد الرحمن البابطين ص ١٦٦ .

(٣) أنظر: فتح الباري (٥٢١/٩)، عمدة القارئ (٣/٣٢٠) .

(٤) انظر لمزيد من الفائدة: كتاب التربية الإسلامية للأولاد منهاجاً هدفاً وأسلوباً، عبد المجيد طعمه حلي ص ٢٤٩ وما بعدها، وكتاب الطفل في الشريعة الإسلامية، ومنهج التربية النبوية، سهام مهدي جبار ص ٣٣٦ .

هنا وهناك، ولا تقتصر على موضع واحد بادره بالحل مباشرة قائلاً: "سم الله وكل يمينك، وكل مما يليك"؛^(١) ليفهم بنفسه أن ما كان يفعله خطأ يجب تركه.

وقد استثمر الرسول ﷺ خطأ الصغير لينبئه إلى أشياء أخرى تصب في موضع الخطأ نفسه، فيزود المخطئ بمعلومات ومعارف جديدة ترسخ في ذهنه إلى الأبد، كما علمه التسمية والأكل باليمين، فإن خطأه كان في عدم الأكل مما يليه، لكنه نبهه إلى غير ذلك من الأخطاء التي قد تقع منه في آداب الأكل والشرب.

وهكذا المربون يجب أن يجعلوا همهم التركيز على حل المشكلة وعلاجها، وعدم التعنيف على الخطأ وتعير المخطئ بتكرار الكلام عن الخطأ، فإن هذا له أثره الطيب الفعال في تغيير سلوكهم.

"كما يتضح أن الرسول ﷺ ربط قلب الغلام بخالقه عند ابتداء الأكل، وهذا توجيه فطري لفكر الصغار لحب الله وإشعارهم بأن الله هو الذي رزقهم هذا الطعام، ولهذا يزداد حب الأطفال لله ﷻ، وحينها يتكون لديهم الاستعداد النفسي والفكري لتلقي ما يأمر به الله سبحانه، وبذلك نجح المربي بإيصال المتربي بخالقه".^(٢)

٥- جلوس المربي مع الصغار له دوره في قبول النصيحة:

"لقد كان الرسول ﷺ يأكل مع الصغار، وهذا يدل على قوة الامتزاج النفسي بين المربي والمتعلم، فيستطيع أن يفتح الحوار معهم ويناقشهم ويصحح أخطاءهم، ولهذا ما أخرى أن يجلس الأب والأم مع أبنائهم أثناء الطعام حتى يشعر الأبناء بأهمية الوالدين لهم، وهذا مما يؤدي إلى تقبل الأبناء ما يمليه عليهم والديهم من توجيهات سلوكية وإيمانية وتربوية".^(٣)

(١) راجع تحريجه هذا اللفظ ص ٦.

(٢) من أساليب الرسول ﷺ في التربية، نجيب العامر ص ٢٦.

(٣) المرجع السابق ص ٢٦.

٢/٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " كَيْفَ كَيْفَ - لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ: أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٤٤/٢) رقم/٩٧٢٦ من طريق وكيع .
وأخرجه -أيضاً- في موضع آخر من المسند (٤٠٩/٢) رقم/٩٢٩٧ من طريق محمد بن جعفر .

وكذا الدارمي في السنن (١١٧/٥) كتاب الزكاة، باب الصدقة لا تحل للنبي ﷺ ولا لأهل بيته من طريق هاشم بن القاسم .

والبخاري في صحيحه (١١٨/١) كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ وآله رقم/١٤٩١ من طريق آدم .

وأخرجه -أيضاً- في صحيحه (٢٤٧/١) كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والبطانة رقم/٣٠٧٢ من طريق غندر .

وأخرجه الإمام مسلم (٨٤٨/١) كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم، وبنو المطلب دون غيرهم رقم/٢٤٧٣ من طريق معاذ العنبري .

جميعهم (وكيع، ومحمد بن جعفر، وهاشم بن القاسم، وآدم، وغندر، ومعاذ العنبري) عن شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة رضي الله عنه به .

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - معالجة خطأ الصغير بما يتناسب مع سنه :

إن الإنكار على الأطفال عند مخالفتهم أمراً شرعياً كان معروفاً في زمن النبي ﷺ، وكان ﷺ وهو المعلم الأول يراعي عمر الطفل وقدراته العقلية، فيعطيه الجرعة العلمية والتربوية التي يستوعبها فهمه، ويدركها عقله، ويظهر ذلك على سلوكه، فيجتمع فيه العلم والعمل معاً .

وإذا تأملت أي خطأ أياً كان نوعه من أخطاء هؤلاء الصغار التي يقعون فيها، تجده لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أن يكون سبب هذا الخطأ فكرياً، أي أن الطفل لا يملك فكرة صحيحة عن الشيء فتصرف من عنده فأخطأ.

أو أن يكون السبب عملياً: أي أن الطفل لا يستطيع أن يتقن عملاً ما فأخطأ فيه.

وإما أن يكون السبب الطفل ذاته وتعمره للخطأ، أو يملك طباعاً عنيدة، لذلك تجده يصّر على الخطأ، ومن هنا فإن معرفة وتحديد أصل الخطأ تفيد وتسهل كثيراً في تلافيه، وقد كان النبي ﷺ يصحح للطفل الأخطاء الفكرية، ويعلمه الصحيح من القيم والسلوكيات كخطوة مهمة أولى وأساسية في تقويمه، مستخدماً ﷺ الأساليب الحسنة، والسبل المؤثرة والمثمرة، والتي تمتاز بالرفق واللين .

ومن الأمثلة التي صحح فيها النبي ﷺ أخطاء الطفل الفكرية ما حدث مع الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ حيث أخذ من تمر الصدقة وجعلها في فيه، فنهاه النبي ﷺ عن أكلها وزجره عن تناولها، ومما يدل على أن النبي ﷺ زجر الصغير قوله ﷺ له: "كخ كخ" وهي كلمة زجر للصبي عما يريد فعله. ^(١) وقال النووي: "هي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات، فيقال له كخ أي: أتركه وارم به.

قال الداودي: هي عجمية معربة بمعنى (بئس) وقد أشار إلى هذا البخاري -رحمه الله- بقوله في ترجمة باب مَنْ تكلم بالفارسية والبطانية". ^(٢)

ويدل على زجره له -أيضاً- قوله له: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة. ^(٣) وفي رواية: "أما تعرف". ^(٤)

وعند مسلم -رحمه الله-: "أما علمت". ^(١) كل هذه العبارات تدل على نهي النبي ﷺ للصغير عن الأكل من تمر الصدقة، وهذه الكلمات "تُقال للشيء الواضح، وإن لم يكن

(١) فتح الباري (٦/ ١٨٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٧٥).

(٣) هذا اللفظ عند البخاري (٢/ ٥٤٢) كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري بهذا اللفظ (٣/ ١١٨) كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والبطانية.

المخاطب بذلك عالماً أي : كيف خفي عليك مع ظهوره، وهو أبلغ من الزجر من قوله لا تفعل".^(١)

كما أمر النبي ﷺ الحسن برمي التمرة من فيه، وأخرجها بنفسه، فعند الإمام أحمد في المسند قال له : " ألقها".^(٢)

" ثم ما لبث أن علل لهذا الطفل ﷺ سبب عدم الأكل، وعدم حله له، لتكون لديه قاعدة فكرية عامة في حياته كلها " أما علمت أنا لا تحل لنا، " وذلك بصيغة رائعة "أما علمت"، وذلك ليكون وقعها على نفسه أقوى تأثيراً، ذلك أن التعليل له وشرح الأسباب والأمور ركن قوي في تقليل الخطأ وتصحيح مسار الطفل".^(٣)

وفي الحديث من الفوائد: مخاطبة من لا تميز له، كما يدل عليه قوله: كخ كخ؛ إذ لا يستعمل إلا في غير المميز وفائدته: إعلام الحاضرين بالحكم ليدفع ويشتهر، وفيه الإعلام بسبب النهي.^(٤)

٢- تصرف النبي ﷺ مع الطفل المخطئ يدل على أن الأطفال يعدل سلوكهم كالكبار تماماً فينهون عن المحرمات وغيره:

لزماً على المربي أن يهتم بالطفل من حيث أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وإبعاده عن المحرمات منذ صغره؛ لكي يعتاد على حب الخير وترك الشر.

وقد قال النووي حول ذلك: " وفي الحديث أن الصبيان يوقون مما يوقاه الكبار، وتمنع من تعاطيه، وهذا واجب على الولي".^(٥)

(١) عند مسلم في الصحيح (٢/ ٧٥١) كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم، وبنو المطلب دون غيرهم.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٣٥٥).

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٠٠) رقم/ ١٧٢٤.

(٤) انظر: كتاب منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد ص ٣٦٢، وتربية الطفل في الإسلام، حنان عبد الحميد العناني ص ١٦٧، تربية الطفل في الإسلام، أطوارها، وآثارها، وغمارها، عبد السلام عطوة الفندي ص ٢٣٩.

(٥) انظر: مرقة المفاتيح (٦/ ١٣٤).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٧٥).

وقال العيني: " وفيه أن لأولياء الصغار المعاتبة عليهم والحول بينهم وبين ما حرم الله على عباده، ألا ترى أنه ﷺ استخرج التمر من الصدقة من فم الحسن وهو طفل لا تلزمه الفرائض، ولم تجر عليه الأقلام، فبان بذلك أن الواجب على ولي الطفل والمعتوه إذا رآه يتناول خمرًا أو يشربها، أو مالاً لغيره يتلفه أن يمنعه من فعله، ويحول بينه وبين ذلك ". (١)

وقد صرح كثير من علماء الأمة بضرورة الحيلولة بين الأطفال وبين المحرمات سواء أكانت من المأكولات والمشروبات أم من غيرها.

وقد مارس النبي درجات الاحتساب في تغيير المنكر الذي رآه من الصغير لمنعه منه، (٢) فقد قال له: "ألقتها"، واستقذرها من نفسه بقوله: "كخ كخ" وغير المنكر بيده ﷺ حينما أخذها من فيه ﷺ.

قال ابن حجر - رحمه الله -: " ويجمع بين هذا - يعني قوله: "ألقتها يا بني"، وبين قوله: "كخ كخ" أنه كلمه أولاً، فلما تمادى قال له كخ كخ إشارة إلى استقذار ذلك له، ويحتمل العكس بأن يكون كلمه أولاً بذلك، فلما تمادى نزعها من فيه. (٣)

ولهذا فإنه يلزم المربين سواءً الوالدين أو غيرهم أن يمارسوا هذه الشعيرة المهمة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ويولون خطأ الطفل وسلوكه عناية فائقة من حيث تعديله، ولا يهملون ذلك بحجة صغر سنه، فإن إهمال تعديل السلوك منذ الصغر له آثاره الوخيمة على التربية، فقد يلاقي الآباء منهم في الكبر الإصرار على الخطأ والإعراض عن النصيحة والتوجيه، وحينها قد لا ينفع الندم.

وفي الحديث من الفوائد: جواز إدخال الأطفال المساجد وتأديبهم مما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم، ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك. (٤)

(١) عمدة القارئ، للعيني (١٤ / ٧٥).

(٢) انظر: كتاب الاحتساب على الأطفال، د. فضل إلهي ص ٥٥.

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٣ / ٣٥٥).

(٤) المرجع السابق.

٣- لا بد أن يتعلم الصغير المعايير السلوكية:

يحتاج الطفل إلى معرفة الحدود التي لا يمكن أن يتجاوزها، ويكون ملتزم بها -دائماً- في مجتمعه، بحيث يفهم ما له وما عليه، وهذا الأمر أراد النبي ﷺ أن يربي الصغير عليه؛ لأن الصدقة مطلقاً لا تحل لآل محمد، فهي محرمة عليهم؛ لأن الصدقة مطهرة للملأك ولأموالهم لقول الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (التوبة: ١٠٣) .

فهم آل محمد من أشرف الناس، والصدقات والزكوات أوساخ الناس " ولأن أخذ الصدقة منزلة ذل وضعة، والأنبياء وآلهم مترهون عن الذل والضعة والخضوع والافتقار إلى غير الله، وقد فرض الله عليه وعلى الأنبياء ألا يطلبوا على شيء من الرسالة أجراً، فلو أخذ الصدقة لكانت كالأجرة فلذلك حرمها عليه".^(١)

ومن هذا المنطلق أراد النبي ﷺ أن يجعل الطفل ملتزماً بهذه الفكرة منذ صغره؛ ليسهل عليه التنفيذ؛ ولأن الطفل السوي يحرص على إرضاء الكبار؛ رغبة منه في الحصول على الثواب كان لا بد على الأسرة أن تعلمه ما يرضي الله ثم يرضيها، ويتم هذا من خلال تعلم الطفل المعايير السلوكية؛ لأنه بحاجة إليها دائماً، ولا تتم له معرفتها وتعلمها إلا عن طريق أسرته ومجتمعه، ويؤكد علماء النفس هذا الأمر حيث يقول أحدهم: "يحتاج الطفل إلى مساعدة في تعليم المعايير السلوكية نحو الأشخاص والأشياء، ويحدد كل مجتمع هذه المعايير السلوكية، وتقوم المؤسسات القائمة على عملية التنشئة مثل الأسرة والمدرسة بتعليم هذه المعايير السلوكية للطفل؛ مما يساعد على توافقه الاجتماعي.

إن الطفل يحتاج إلى المساعدة في تعلم حقوقه ما له وما عليه، وما يفعله وما لا يفعله، وما يصح وهو في خلوة، وما يصح وهو في جماعة، وما يصح وهو في حدود الأسرة، وما يصح وهو خارج نطاقها، ويحتاج إشباع هذه الحاجات من جانب الكبار إلى كثير من الخبرة والصبر والثبات والفهم".^(٢)

(١) شرح ابن بطلال (٦/ ٨٦).

(٢) علم النفس النمو، حامد زهران ص ٢٩٧، تنشئة الطفل وحاجاته بين النظرية والتطبيق، سهر كامل أحمد

ومن هنا فإن النبي ﷺ بعد هذين الحديثين يؤكد على أهمية توجيه الأسرة للطفل، وأن البيئة الأسرية لها أكبر الأثر في تحمل المسؤولية، وأي خطأ يقع فيه الطفل يكون إما نتيجة إهمال أو تقصير أو خطأ في أساليب التنشئة الصالحة؛ لأن الطفل يولد على الفطرة "ويكون لدى الطفل استعدادات وميول ومواهب تؤهله لتكوين شخصية معينة، وتعد بيئته الأسرية مسؤولة إلى -أبعد حد- عن مدى صلاح أو طلاح تنشئته وتكوينه".^(١)

ومن شواهد هذا المبحث أيضاً حديث:

- عَنْ عَمِّ أَبِي رَافِعٍ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا أُرْمِي نَخْلَ الْأَنْصَارِ فَأَتَانِي بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا غُلَامُ لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ؟" قَالَ: أَكُلُّ، قَالَ: "فَلَا تَرْمِ النَّخْلَ وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِيهِ أَسْفَلُهَا"، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ! أَشْبِعْ بَطْنَهُ".^(٢)

- وعن زينب بنت أبي سلمة -رضي الله عنها-: أنها دخلت على رسول الله ﷺ وهو يغتسل، فأخذ حفنة من ماء فضرب بها وجهي، وقال ورائك أي لكاع.^(٣)

(١) انظر: تربية الأولاد والآباء في الإسلام، د. المروك عثمان أحمد ص ١٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن (٧٧١/٢) كتاب التجارات، باب من مر على ماشية قوم هل يصيب منه، وأبو داود في السنن (٣٩/٣) كتاب الجهاد، باب من قال أنه يأكل مما سقط، والترمذي في سننه (٥٨٤/٣) كتاب البيوع، باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار بها، ولم أجعل هذا الحديث ضمن البحث لما رأيته من اضطراب في سنده، فمرة يرويه أبو الحكم الغفاري عن عمه رافع بن عمرو الغفاري، ومرة عن جدته عن عم أبي رافع، ومرة أخرى عن جده عن عم أبي رافع، ثم إني وجدت الشيخ الألباني حكم بضعفه في ضعيف سنن ابن ماجه، وسنن أبي داود أنظر: وقال الترمذي: حديث غريب صحيح ويُستأنس به في هذا المبحث من جهة موقف النبي ﷺ في التعامل مع خطأ الصبي، فقد كان يريد أن يتوصل إلى طريقة توصله إلى غرضه، فهو يريد أن يأكل من الثمر، فذله على طريقة شرعية صحيحة، وهي أن يأكل مما سقط من الشجرة على الأرض، بدلاً من أن يضرب الأشجار ويسقط الثمر منها دون أن يأذن صاحبها له بذلك، ولم يوجهه أو يزجره واكتفى بنهيه، وأتبع ذلك بالمسح على رأسه وتعديل سلوكه بالدعاء له: "اللهم أشبع بطنه" فتأمل هذا الأسلوب الفريد منه ﷺ.

(٣) المعجم الأوسط (٤٦/٩) للطبراني رقم/٩٠٩٦، وكذلك في المعجم الكبير (٣١٨/٢٤) رقم/٢١٧ واللكاع:

الصفيرة في العلم والعقل.

٢/٣ - عَنْ أَنَسٍ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي يَتِيهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَأَنفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَقِيَ الصَّحْفَةَ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ " غَارَتْ أُمُكُمْ "، ثُمَّ حَسَسَ الْخَادِمُ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ فِي يَتِيهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي يَتِي النَّبِيِّ ﷺ كُسِرَتْ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٦٣ / ٣) عن عبد الله بن أبي بكر.

وكذا في موضع آخر من المسند (١٠٥ / ٣)، والدارمي في السنن (٣٤٣ / ٢) كتاب البيوع، باب من كسر شيئاً فعليه فعله، من طريق يزيد بن هارون.

والبخاري في صحيحه (٤٥١ / ١) كتاب النكاح، باب الغيرة رقم/٥٢٢٥، من طريق ابن علية.

وابن ماجه في السنن (٢٦١٦ / ١) كتاب الأحكام، باب الحكم فيمن كسر شيئاً رقم/٢٣٣٤، وأبو داود في السنن (١٤٨٧ / ١) كتاب الإجارة، باب فيمن أفسد شيئاً يغرم مثله رقم/٣٥٦٧، والنسائي في سنن المجتبى (٢٣٠٨ / ١) كتاب عشرة النساء، باب الغيرة رقم/٣٤٠٧ من طريق خالد بن الحارث (عبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن هارون، وابن علية، وخالد بن الحارث) عن حميد عن أنس رضي الله عنه.

الفوائد والدلالات التربوية:

١- مراعاة ما هو متأصل في النفس البشرية من الطباع والذي يكون سبباً للوقوع في الخطأ:

إن بعض الأخطاء لها طبيعة معينة لا تقتضي الوقوف عندها، والنبي ﷺ كان ينهي -دائماً أصحابه عن الخطأ، وربما أغلظ وغضب على المخطئ، وربما عاقب عليه، إلا أنه في أحوال أخرى قد يغضى عن الأمر، ويرى أن الموقف لا يقتضي الحساب والمعاقبة.

إن الخطأ قد يكون مصدره حالة يمر بها الشخص سيطرت عليه وأدت إلى مثل هذا الخطأ، أو أن يكون الخطأ بسبب ظروف نفسية أو اجتماعية، أو ردة فعل تجاه أزمة واجهها أو انفعال طارئ مع موقف لذلك يتجاهل المربي الخطأ أحياناً لهذا السبب.^(١)

لقد كان ﷺ نبي الرحمة يقدر الضعف في النساء، ويحرص ﷺ على حمايتهن من الأذى الجسدي والمعنوي، دائم الوصية بالنساء^(٢) ويظهر رحمته بهن ﷺ بأكثر من طريقة وأسلوب، سواءً في خطبه أو في مواقفه التي تحتاج منه إلى التأكيد على ذلك، خبيراً بنفوس النساء، يدرك طبيعة المرأة حتى لو كانت تلك المرأة زوجة نبي الأمة.

غير أن الذي يلفت النظر بصورة أكبر وأعظم في رحمة النبي ﷺ بالنساء وعطفه وشفقته عليهن هو جانب التطبيق العملي في حياته ﷺ، فلم تكن كل تلك الوصايا كلمات تلقى لمساندة المرأة أو مجرد تسكين لعاطفتها، بل كانت كلمات حقيقية تُمارس كل يوم في بيته ﷺ بيت النبوة وفي بيوت أصحابه ﷺ أيضاً، وفي كتب السنة مواقفه ﷺ مع زوجاته - رضي الله عنهن - كفاية لمن أراد أن يدرك مدى رحمته ﷺ.

ومن رحمته ﷺ حين تخطئ زوجته - أحياناً - خطأ كبيراً، ويكون هذا الخطأ أمام الناس قد يسبب له الإحراج ﷺ، فإنه ﷺ يقدر موقفها، ويرحم ضعفها، ويعذر غيرها، ويقدر - أيضاً - حبها له ﷺ، ولا يفعل عليها، إنما يتساهل ويعفو ﷺ.

لقد حرص ﷺ على مراعاة الطبيعة الأصلية لدى النساء وهي الغيرة "وما ينتج عنها من أخطاء مراعاة خاصة يظهر منها الصبر والحلم مع العدل والإنصاف، وخصوصاً ما يحدث بين الضرائر، فإن بعضهن قد تخطئ خطأ لو أخطأه إنسان في الأحوال العادية لكان التعامل معه بطريقة مختلفة تماماً"^(٣)، إلا أن النبي ﷺ بتعامله الراقي مع غيرة زوجته في هذا الموقف،

(١) استفدت في هذه الفقرة من كلام الشيخ التربوي محمد الدويش عبر موقع المربي.

(٢) فعند الشيخين في الصحيح عن أبي هريرة: "استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه... الحديث" والحديث ليس على سبيل الذم كما يفهمه العامة بل لتعليم الرجال، والحديث فيه فهم عجيب لطبيعة المرأة، وفيه إشارة إلى إمكانية ترك المرأة على اعوجاجها في بعض الأمور المباحة، وألا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبع عليه من النقص كفعل المعاصي وترك الواجبات.

(٣) من كتاب الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس، محمد المنجد ص ٩٧.

بَيَّن أن المرأة تحتاج إلى تعاملٍ خاص من نوعه؛ لأنها ضعيفة تحتاج إلى الرفق بها، فكيف إذا كان هذا الطبع متأصلاً فيها خارجاً عن طبيعتها، ولذلك ربما يعذر لصاحب الغيرة ويغتفر له ما لا يغتفر لغيره من الأخطاء التي قد تصدر منه بسبب هذا الطبع.

ومن هنا كان على الأزواج والمربين أن يقتدوا بالنبي ﷺ في تقدير الأحوال والظروف ومعرفة طبائع الناس، وخاصة فيما لا يمكن التغلب عليه، وكيف أنه ﷺ لم ينقل عنه أنه عاتب عائشة -رضي الله عنها- على هذا التصرف الذي بدر منها، ولم يهجر أو يوبخ أو يطلق وإنما أصلح الأمر بطريقة أخرى تمتلئ بالحكمة.

لقد كان النبي ﷺ يضرب المثل لكل زوج مسلم في طيب العشرة فعندما تغار عليه زوجته عائشة -رضي الله عنها- يعطي لها العذر ويقدر فطرتها وأنوثتها. ^(١)

والقصة تبدأ عندما كان النبي ﷺ عند بعض نسائه وهي عائشة -رضي الله عنها-، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين هي صفية وقال القسطلاني: أو حفصة، أو أم سلمة -رضي الله عنهن- جميعاً، فضربت عائشة -رضي الله عنها- بيدها يد الخادم، فجعل ﷺ يجمع القصعة المكسورة مع الطعام الذي انتشر منها، ولم يزد على أن قال ﷺ: " غارت أمكم غارت أمكم".

والمراد بالأُم هي عائشة -رضي الله عنها- فهي التي كسرت الصحفة، وهي من أمهات المؤمنين، وأغرب الداودي فقال: المراد بقوله: "غارت أمكم" سارة وكأنه معنى الكلام عنده لا تتعجبوا مما وقع من هذه الغيرة، فقد غارت قبل ذلك أمكم حتى أخرج إبراهيم ولده إسماعيل وهو طفل مع أمه إلى وادٍ غير ذي زرع، وهذا وإن كان له بعض التوجيه لكن المراد خلافه، وأن المراد كاسرة الصحفة، وعلى هذا حمله جميع مَنْ شرح هذا الحديث.

(١) أخلاق النبي ﷺ في صحيح البخاري ومسلم، عبد المنعم الهاشمي ص ٢٤٤، انظر أيضاً سيرة السيدة عائشة، سليمان الندوي ص ١١٤ والحياة الأسرية لرسول الله ﷺ وصحابه في عصر الرسالة، إقبال حسن الراوي ص ١١١.

وقالوا: فيه إشارة إلى عدم مؤاخذه الغيراء بما يصدر منها؛ لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة، وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً: "إن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه".^(١)

ثم إن عائشة - رضي الله عنها - كانت غيرتها في حدود الجلبة، ولم تتجاوز الحد أو تسب صاحبة الطعام، أو تعرض لها في شيء، إنما صبت غضبها - رضي الله عنها - على القصعة نفسها.

أما النبي ﷺ فقد تدارك الموقف بالحكمة واللين والتأني والرفق، وأدرك ﷺ السدواف التي تكمن وراء كل خطأ، وأخذ الموقف ﷺ ببساطة، وجمع الطعام من على الأرض، وقال لضيوفه: كلوا، ثم علل غضب زوجته - رضي الله عنها - بالغيرة، ولم ينس أن يرفع قدرها ﷺ أمامهم فيقول: "غارت أمكم"^(٢) أي أم المؤمنين وانتهى الأمر عنده ﷺ بقوله: طعام بطعام وإناء بإناء^(٣) فأى رحمة هذه التي كانت في قلبه ﷺ.

قال الطيبي: "والخطاب عام لكل من يسمع بهذه القصة من المؤمنين اعتذراً منه ﷺ لئلا يحملوا صنيعها على ما يُذم ﷺ، بل يجري على عادة الضرائر من الغريزة، فلها مركبة في نفس البشر بحيث لا تقدر أن تدفعها عن نفسها، وقيل خطاب لمن حضر من المؤمنين عنده في هذا الموقف."^(٤)

(١) فتح الباري (٩/ ٣٢٥).

(٢) وقد أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٩/ ٤٣٥) رقم / ٤٥٥٠، وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وسلمة بن الفضل، وقد وثقه جماعة ابن معين وابن حبان وأبو حاتم، وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح انظر: مجمع الزوائد (٤/ ٣٢٢) وقال البوصيري بعد ذكره للحديث في كتابه إتحاف الخيرة المهرة (٣/ ٤٣): رواه أبو يعلى بسند ضعيف لتدليس ابن إسحاق وضعفه الألباني في السلسلة المختصرة (٦/ ٤٨٧).

(٣) هي رواية الباب سبق تخريجها ص ١٨.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (٣/ ٤٦٠) كتاب الأحكام، باب ما جاء فيمن يكسر له الشيء ما يحكم له من مال الكاسر عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) عون المعبود (٩/ ٣٤٨)، ومرواة المفاتيح (٩/ ٣٧٩).

وفي هذا الحديث من الفوائد: الصبر للنساء على أخلاقهن وعوجهن؛ لأنه ﷺ لم يوجهاً على ذلك، ولا لامها، ولا زاد على قوله: "غارَت أمكم".^(١)

وفيه أيضاً: حسن خلقه ﷺ وإنصافه وحلمه وكأنه إنما لم يؤدب الكاسرة ولو بالكلام لما وقع منها من التعدي لما فهم من أن التي أهدت أرادت بذلك أذى التي هو بيتها، والمظاهرة عليها فاقصر على تغريمها للقصعة قال: وإنما لم يغرما الطعام؛ لأنه كان مهدي، فإتلافهم له قبول أو في حكم القبول.^(٢)

وفيه بسط عذر المرأة في حالة الغيرة؛ لأنه لم ينقل أنه عاتب عائشة -رضي الله عنها- على ذلك، وهذا كله من تقديره ﷺ لنفسية عائشة -رضي الله عنها- بشكل خاص وللمرأة بشكل عام، واعتذاراً لها على ما فعلت، فهو ﷺ لم يحملها نتيجة هذا الخطأ، وإنما تعامل مع الموقف بلطف وحكمة، مقدراً ﷺ بحسن خلقه وتفهمه ما يجري -عادة- بين الضرائر من الغيرة، ولعلمه ﷺ أن هذه الصفة -أيضاً- مركبة في نفس المرأة، ولا يكاد يسلم منها أحد، وصدق الله -عز وجل- إذ وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

لقد تمثل النبي ﷺ المعاشرة بأسمى معانيها، وجسد القوام في أصدق صورها.

"إن في معاملة النبي لأزواجه وأهل بيته منهاجاً للمسلمين، وسنة للمؤمنين، إنها معالم الهدى المحمدي في الأسرة، ونظامها، وعلاقتها، وتبديرها، وإدارتها، بأي هو وأمي يقدر الطباع، ويلتمس الأعذار، ويحسن المعاملة، ويعالج بالتي هي أصلح وأحكم وأرأف.

لقد بين النبي ﷺ بتصرفه أن حسن الخلق ليس بكف الأذى وحده، ولكن باحتمال الأذى، والحلم عند الغضب، وضبط النفس عند الطيش، وكظم الغيظ عند الانفعال، لا بد في التعامل الأسري من الصبر والمداواة، والتحمل من أجل الفوز بحسن المعاشرة، فلا بد من غض الطرف، ولا بد من العفو والصفح".^(٣)

(١) شرح ابن بطال (١٣/ ٣٥٠).

(٢) فتح الباري (٥/ ١٢٦)، عمدة القارئ (١٩/ ٣٥٥).

(٣) هذه الكلمات مقتطفة من خطبة الشيخ صالح بن حميد بتاريخ ١٤٢٩/ ٩/ ٢١ بعنوان (الحفاظة على العلاقات الأسرية).

النتائج التي يخلص منها هذا البحث:

- مما سبق يتبين أن الأطفال متى خالفوا الآداب الإسلامية أو ارتكبوا المحرمات فإنهم يُنكر عليهم كالكبار، ولكن بأسلوب يتناسب معهم.
- على المربي مراعاة الأخطاء التي تكون متأصلة في النفس البشرية.
- إن من الأخطاء ما ينبغي تجاهله ويكون الأسلوب الأمثل في التعامل معه، هو التجاهل والإغضاء، بل إن الوقوف عليه كثيراً قد يزيد من الأخطاء.
- النبي ﷺ يعطي أفراد أمته درساً مهماً في معالجة الأخطاء ألا وهو إمكانية التجاوز عن كثير من الأخطاء والعقبات التي تقع في الحياة بين الأزواج والزوجات.

أحوال المخطئين

إن الخطأ له أحوال معينة ينبغي على المربي مراعاتها والانتباه إليها، فأحياناً يصدر الخطأ من الفرد نتيجة خلل وقصور في تربية والديه له، وأحياناً أخرى نتيجة سوء في سلوكه يستوجب دخول المربي لعلاج وحله، لكن هذا ليس بلازم أن يحدث في كل خطأ، فأحياناً كثيرة ينطوي فيها الخطأ على جهل من الفاعل وعدم علم عنده بالصواب.

ومن الأحاديث التي تفيد المربي في التعامل مع المخطئ الجاهل هذا الحديث المهم:

١- عَنْ عَبْدِ بْنِ شَرَحْبِيلَ قَالَ: أَصَابَتْنِي سَنَةٌ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَفَرَكْتُ سُبُلًا فَأَكَلْتُ وَحَمَلْتُ فِي ثَوْبِي فَجَاءَ صَاحِبُهُ فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: "مَا عَلِمْتَ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتَ إِذْ كَانَ جَائِعًا". أَوْ قَالَ: "سَاعِبًا". وَأَمَرَهُ فَرَدَّ عَلَى ثَوْبِي وَأَعْطَانِي وَسَقَا أَوْ نَصَفَ وَسَقَى مِنْ طَعَامٍ.

٣/٤ - عَنْ عَبْدِ بْنِ شَرَحْبِيلَ قَالَ: أَصَابَتْني سَنَةٌ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَفَرَكْتُ سُنْبُلًا فَأَكَلْتُ وَحَمَلْتُ فِي ثَوْبِي فَجَاءَ صَاحِبُهُ فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ " مَا عَلِمْتَ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتَ إِذْ كَانَ جَائِعًا ". أَوْ قَالَ " سَاعِيًا ". وَأَمْرُهُ فَرَدَّ عَلَى ثَوْبِي وَأَعْطَانِي وَسَقَا أَوْ نَصَفَ وَسَقَى مِنْ طَعَامٍ.

التخريج:

أخرجه الطيالسي في المسند (٣/ ٣٦٢) ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٤٩/ ١٢٠) باب ما يحل للمضطر من مال.

وابن أبي شيبة في المسند (٨/ ٦٤) وفي مصنفه أيضاً (٥/ ٤٠) من طريق شعبة.

والإمام أحمد في مسنده (٣٥/ ٣٨٩) وابن ماجه في السنن (١/ ٨١) كتاب التجارات، باب من مرَّ على ماشية قومٍ أو حائط هل يصيب منه ؟ وأبو داود في السنن (٣/ ٣٩) كتاب الجهاد، باب في ابن السبيل يأكل من التمر ويشرب من اللبن إذا مرَّ به من طريق محمد بن جعفر .

وأبو داود في السنن أيضاً (٣/ ٣٩) من طريق عبيد الله بن معاذ العنبري، كتاب الجهاد، باب في ابن السبيل يأكل من التمر ويشرب من اللبن إذا مرَّ به، والإمام الحاكم في المستدرک (١٧/ ١٥) من طريق روح بن عباد .

خمسهم (أبو داود الطيالسي، شعبة بن سوار، ومحمد بن جعفر، وعبيد الله بن معاذ، وروح بن عباد) عن شعبة .

وتوبع شعبة فقد رواه النسائي (١٦/ ٢٥٨) في السنن كتاب آداب القضاة، باب الاستعداد وفيه " قدمت مع عمومي فدخلت حائطاً " وفيه أيضاً: " فأخذ كسائي " .

وأبو نعيم (١٣/ ٤٨١) في معرفة الصحابة ، والطبراني في المعجم الأوسط (١٨/ ٣٣٥) من طريق سفيان بن حسين .

كلاهما (شعبة، وسفيان بن حسين) عن أبي بشر جعفر بن إياس عن عباد بن شرحبيل اليشكري رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

دراسة الإسناد:

أبو بشر هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية الشكري^(١) سمع عباد بن شرحبيل وهو صحابي حديثاً واحداً في السنن، وعن سعيد بن جبيرة وعطاء، وعنه الأعمش وشعبة^(٢) وهو أحد الثقات ومن كبار العلماء، قال أبو حاتم وغيره عنه: ثقة^(٣) كما وثقه ابن معين، وأبو زرعة والعجلي والنسائي،^(٤) قال أبو نعيم: مات سنة ٢٤/٢٣ ومائة^(٥)

وأما عباد بن شرحبيل رحمه الله الغبري فهو معدود في الصحابة كما بين ذلك ابن حجر رحمه الله في التقريب حيث قال: صحابي نزل البصرة^(٦)، وقد روى عباد عن النبي ﷺ حديثاً واحداً في قصة ليس له غيرها^(٧) -وهي المذكورة هنا في الباب- لم يرو عنه إلا بشر بن أبي وحشية^(٨) قال ابن السكن: يقال له صحبة وفيه نظر^(٩).

ولا يظهر لي فيما أراه أي انقطاع أو علة ظاهرة فيما بينهما فروايته عنه متصلة وصحيحة والله أعلم.

ومن روى هذا الحديث كما بينا عن جعفر شعبة بن الحجاج الواسطي أبو بسطام، الحافظ العالم المعروف، أحد أئمة الإسلام وعلماء الجهابذة النقاد،^(١٠) وعنه، غندر، ومحمد بن جعفر، وأبو داود الطيالسيان^(١١) قال ابن مهدي: شعبة إمام في الحديث^(١٢) قال الذهبي: وهو ثبت حجة^(١٣).

(١) التاريخ الكبير، للبخاري (٢/ ١٨٦)، معرفة الثقات، للعجلي (١/ ٢٧١).

(٢) لسان الميزان، لابن حجر (٣/ ٢٦٧).

(٣) ميزان الاعتدال، للذهبي (٢/ ١٢٨).

(٤) تهذيب التهذيب، لابن حجر (٢/ ٧١).

(٥) التاريخ الصغير (١/ ٣٢٠)، والثقات، لابن حبان (٦/ ١٣٣).

(٦) تقريب التقريب (١/ ٢٩٠).

(٧) راجع تهذيب التهذيب، للإمام ابن حجر (٥/ ٨٢) والاستيعاب، لابن عبد البر (٢/ ٥٠٨).

(٨) المنفردات والوحدان، للإمام مسلم بن حجاج (١/ ٨٣).

(٩) الإصابة في معرفة الصحابة، (٢/ ٩٣).

(١٠) تاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين (١/ ٩)، الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (١/ ١٢٦).

(١١) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٧).

قال العجلي: كان يخطئ في أسماء الرجال قليلاً^(٣)، مات سنة ستين ومائة، وكان عابداً من السابعة.^(٤)

وعنه الإمام الطيالسي رحمه الله في المسند وهو سليمان بن داود الطيالسي القرشي مولى الزبير بن العوام سمع شعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة وحدث عنه الإمام أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة،^(٥) مات سنة ثلاثة ومئتين^(٦) قال ابن المديني: ما رأيت أحفظ منه^(٧) وقال ابن مهدي هو أصدق الناس وقال الإمام أحمد عنه: ثقة صدوق ووثقه العجلي والنسائي وابن عدي وابن سعد^(٨)، قال ابن حجر: ثقة حافظ غلط في أحاديث من التاسعة.^(٩)

الحكم على الإسناد:

والحديث عندي صحيح والله تعالى أعلم.

أقوال الأئمة في الحكم على الحديث:

قال الحاكم في المستدرک: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألباني رحمه الله: وهو كما قالوا، بل هو على شرط الشيخين^(١٠) كما صححه الشيخ الألباني في كثير من كتبه^(١١).

(١) الجرح والتعديل (١٠/١)

(٢) انظر: الكاشف، للذهبي (١/ ٤٨٥).

(٣) تهذيب التهذيب، مرجع سابق.

(٤) التاريخ الكبير (٢٤٤/٤)، تقريب التهذيب (١/ ٢٦٦).

(٥) الكنى والأسماء، للإمام مسلم (١/ ٣٠٢).

(٦) التاريخ الكبير (٤/ ١٠).

(٧) تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسرائي (١/ ٣٥١).

(٨) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٩/ ٣٧٨).

(٩) تقريب التهذيب (١/ ٢٥٠)، الكاشف (١/ ٤٥٨).

(١٠) السلسلة الصحيحة (١/ ٤٥٢).

(١١) انظر: صحيح وضعيف ابن ماجة، للألباني (٢/ ٢)، وصحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/ ١)، السلسلة

الصحيحة المختصرة (١/ ٨١٥).

الدلالات والفوائد التربوية:

١- ترك تأديب المخطئ -أحياناً- إن كان دافع الخطأ هو ما كان لأجل الفقر والحاجة:

إن أكثر ما يزعج النبي ﷺ في المربي أو أي شخص يقوم بالإنكار هي طريقته الخاطئة في تعديل السلوك السيئ حين يراه، ولذلك دائماً يحث ﷺ على الرفق في المعاملة والمعالجة للموقف، وقد يغضب على مَنْ كان له الحق، لكونه أخطأ في الطريقة والأسلوب السيئ أخذ بها حقه.

إن الطريقة السليمة لها دور كبير في ردع المخطئ وعودته إلى الصواب، وهي -أيضاً- أساس تفاهم المشكلات إذا أحسن المربي التصرف مع المشكلة، ولهذا عتب النبي ﷺ على الأنصاري هنا في الحديث، وسيأتي بيانه.

والموقف الذي حدث هذا يحكيه المخطئ بنفسه فيقول: أصابني سنة والسنة هي الجماعة والقحط، وكان حينها جائعاً، فدخل حائطاً من حيطان المدينة، وهو بستان، فأخذ من زرعه وسنبله وجعل يدلكه بيده ليخرج الحب الذي بداخله من القشر ويأكله، فجاء صاحب الزرع، فضربه، وأخذ ثوبه الذي كان فيه هذا الحب عقاباً له، فبلغ ذلك السني ﷺ فقال: " ما علمت إذ كان جاهلاً؟" يعني بدلاً من أن تعاقبه بهذه العقوبة كان يفترض بك تعليمه وتنبيهه على الخطأ وأن تعذره لجهله، أو أن تطالبه -مثلاً- برد الشيء الذي أخذه "ولا أطعمت إذ كان جائعاً أو قال ساغباً"، والساغب بمعنى: الجائع؛ لأن المسغبة هي الجوع "وهو ينفي القطع والأدب في المخمصة أي التعزير فيها".^(١)

والنبي يريد أن يبين له ما أحسنت إليه لا بتعليمه مع كونه جاهلاً، ولا أطعمته بالمعروف مع كونه في مسغبة، فلامه ﷺ على ذلك.^(٢)

قال الخطابي: "وفيه أنه ﷺ عذره بالجهل حين حمل الطعام، ولام صاحب الحائط إذ لم يطعمه إذ كان جائعاً".^(٣)

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٢٦).

(٢) وشرح القصة موجود في عون المعبود (٧/ ٢٠٥).

(٣) عون المعبود (٧/ ٢٠٥).

وهذا لا يدل على أن الإنسان يحل له أن يأخذ شيئاً لغيره، ولكن الجاهل يعذر، ولا يصح أن يعاقب على فعله، ثم يأخذ صاحب الحق زيادة على ذلك العقاب، كما فعل صاحب الحائط في أخذ الثوب؛ لذلك أمره ﷺ برد الثوب الذي أخذه منه، وزيادة على ذلك أمر له ﷺ لحاجته أن يعطيه وسقاً أو نصف وسق من الطعام. شك الراوي في هذا.

وقد أخطأ بعضهم فقال: إن المأمور له بالوسق هو الأنصاري صاحب الحائط، وكان هذا تعويضاً من النبي ﷺ له عن سنبله، وهذا خطأ بين، فإن المأمور له بالوسق إنما هو آكل السنبل عباد بن شرحبيل، والسياق لا يدل إلا عليه، والنبي رد عليه ثوبه وأطعمه وسقاً، ولفظ أبو داود صريح في ذلك فإنه قال: "فرد عليّ ثوبي، وأعطاني وسقاً أو نصف وسق من طعام". (١) (٢)

٢- النبي ﷺ دائماً يقدر الحاجات والدوافع التي تكون وراء فعل الخطأ:

إن من أهم ما يميز الإنسان أو أي كائن حي بوجه عام أن سلوكه يكون -دائماً- مدفوعاً من الداخل، بينما الكائن غير الحي يقتصر إلى هذا الدافع.

والدافع هو: نوع من التوتر الداخلي يدفع الكائن إلى القيام بنشاط معين (سلوك) يؤدي إلى إشباع حاجة، أو تحقيق هدف معين في ظل ظروف معينة.

والدوافع ليست على صنف واحد فمنها: دوافع نفسية اجتماعية، ومنها فسيولوجية، ومن هذا النوع الأخير يكون دافع الجوع، والجوع من الدوافع الفسيولوجية القوية التي لا بد من إشباعها؛ إذ لا يستطيع الإنسان الاستمرار في تحمل الجوع؛ لهذا يؤدي نقص الطعام لاستثارة دافع الجوع لديه. (٣)

من هذا المنطلق كان على كل مربي أن يعرف أن من الأخطاء التي تقع من الفرد صغيراً كان الخطأ أو كبيراً ما ينطوي على دوافع مهمة يجب مراعاتها وتقديرها وفهمها من قبل

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٩).

(٢) انظر حاشية ابن القيم (٧/ ٢٠٤).

(٣) الدوافع في الحديث النبوي، محمد عثمان نجاتي.

المربي كما كان فعل النبي الحبيب ﷺ، فإنه لولا إدراكه مسألة الدوافع النفسية والفسولوجية لما قدّر أكل السنبل من الزرع.

وقد دلت الروايات على أن الرجل دفعه ما دفعه لهذا التصرف هو ما بعثه من دافع الجوع والحاجة إلى الطعام، ففي رواية أبي داود - رحمه الله - قال: "أصابني سنة".^(١) والسنة هي الجوع والقحط، وفي رواية لابن ماجه: "أصابنا عام مخمصة".^(٢) والمخمصة هي الجماعة التي تصيب الناس، فدلّت هاتان الروايتان على أمرين مهمين:

أن الذي دفعه كما سبق وقلنا لهذا الفعل: هو الدافع الداخلي والرغبة الملحة وإشباعها وهي المسغبة والجوع.

الأمر الثاني: أن هذا الرجل الجائع لم يكن يرى في هذا الفعل خطأ، أو أن القيام به يعد من السلوكيات الخاطئة، ودل على ذلك ذهابه إلى النبي ﷺ ليشتكي هذا الرجل صاحب الحائط، ولو كان مدركاً لخطأه وفعلته لما اشتكى إلى النبي ﷺ، ففي رواية النسائي - رحمه الله - قال عباد بن عبد الله: "فأخذ كسائي وضربني، فأتيت النبي ﷺ أستعدي عليه فأرسل إلى الرجل فجاءوا به فقال: ما حملك على هذا؟"^(٣)

دل على ذلك - كما في الرواية - قوله: "استعدي عليه".^(٤) أي أطلب منه أن ينتقم منه لي^(٥) فلولاً جهله بما فعل لما طلب من النبي ﷺ أن يأخذ له من هذا الرجل وينتقم له منه، فعذره بجهله مع كونه غريباً عن بلده، ودل على أنه غريب قوله: "قدمت مع عمومي المدينة فدخلت حائطاً من حيطانها"^(٦)، فاجتمع فيه الجهل والغربة مع دافع الجوع، والنبي ﷺ التمس لهذا المخطئ كل هذه الأعذار، وقدّر جميع الدوافع الكامنة التي كانت في نفسه، ولذلك ركز ﷺ على علاج المشكلة دون الخطأ نفسه الذي وقع من الرجل.

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٩).

(٢) سنن ابن ماجه (٢/ ٧٧٠).

(٣) سنن النسائي (٨/ ٢٤٠).

(٤) سبق تخريجه بهذا اللفظ مع رواية المبحث راجع ص ٢٤.

(٥) حاشية السندي (٨/ ٢٤٠).

(٦) سنن النسائي (٨/ ٢٤٠).

" إن بعضاً مما يدفع الناس للسلوك السيئ هو شعورهم بالحاجة، وحين تكون هذه الحاجة مشروعة فينبغي تلبية لهم وإشباعها بالطريق المشروع حتى لا يلجأوا إلى الوقوع في الحرام وممارسته، فقد يلجأ الطفل إلى السرقة من مال الآخرين أو من مال والديه أو زملائه، ومصدر هذا السلوك هو سوء التربية، لكن قد يكون مصدره -أيضاً- هو الحرمان الذي يشعر به الطفل، وقد لا يدرك مغبة الوقوع في الحرام، وحينها قد تقوده الرغبة في المتعة إلى السرقة من الآخرين، وطرق علاج هذا الأمر بإشباع تلك الرغبة فيه، وإعطائه ما يغنيه من المال، وما يشعره بأنه ليس أقل من غيره، حتى لا يُستغل من قِبَل رفاق السوء". (١)

(١) هذه العبارات هي للشيخ محمد عبد الله الدويش عبر موقع المربي.

الفصل الأول:

هدي النبي ﷺ في تصحيح الخطأ بالقول

- المبحث الأول: التخويف من الخطأ .
- المبحث الثاني : التلميح دون التصريح .
- المبحث الثالث : تصحيح التصور للمخطئ .
- المبحث الرابع : تقديم البدائل .
- المبحث الخامس : العتاب على الخطأ .
- المبحث السادس : إعطاء الفرصة لمعرفة الخطأ وتصحيحه.
- المبحث السابع : الدعاء على المخطئ.
- المبحث الثامن : التثبت من المنكر.
- المبحث التاسع : طلب الكف عن الفعل الخاطئ .
- المبحث العاشر : توضيح مضرة الخطأ .
- المبحث الحادي عشر : محاوراة المخطئ .
- المبحث الثاني عشر : الإنكار الصريح والتنديد المباشر.

لقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ معلماً ومزكياً ومبشراً ونذيراً حيث قال الله تعالى في ذلك:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ (الجمعة: ٢) فالحكمة من بعث النبي ﷺ أن يعلم الناس، ولذا كانت حياته ﷺ كلها تربية وتعليم وتعديل وتصحيح، وهذا الذي جعلها غنية جداً بالأساليب التربوية التعليمية.

واستطاع ﷺ بمنهجه التربوي الفائق الإحكام أن يحول جفاة العرب إلى رهبان في الليل فرسان بالنهار، وعلمهم ﷺ وأحسن تربيتهم مع قسوة قلوبهم وخشونة أخلاقهم، وجفاء طباعهم، وتنافر أمزجتهم، فاحتمل النبي ﷺ ما هم فيه من جفاء وصبر على الأذى حتى كانوا خير أمة، بعد أن لم يكن لهم لا قيمة ولا وزن.

إن من ينظر إلى الجاهلية قبل الإسلام وكيف أنها كانت تعيش انتكاسة في الفطرة والعقيدة، والأخلاق، ليرى كم هو الدور الكبير الذي قام به النبي ﷺ حيث أحدث ﷺ نقلة ضخمة في زمن قياسي.

وساهم في نجاحه ﷺ ما آتاه الله من الكمال البشري، وعُصم من الخطأ الذي يقدر في تبليغه للدعوة، مع ما أعطاه الله ﷺ من علم لا يدانيه فيه أحد من البشر ﷺ ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ (النساء: ١١٣).

ولأن النبي ﷺ مرَّ بمختلف الظروف والأحوال في حياته التي يمكن أن يمر بها أي مرب أو معلم في زمان ومكان، فإنه ما من حالة يمر بها المربي أو المعلم إلا ويجدها نفسها، أو قريب منها، أو شبيهها في حياة النبي ﷺ، فقد عاش ﷺ الفقر والغنى، والأمن والخوف والقوة والضعف والنصر والهزيمة، واليتم والأبوة، والعزوبة والزوجية فكان يتعامل مع كل مرحلة وكل حالة بما يناسبها، فالتنوع ظاهر في تعامله ﷺ مع كل مخطئ وفي كل موقف لا يتجدد في تعامله ما يماثله في موقف آخر، فأحياناً تجده ﷺ يكفي بمجرد النهي عن الخطأ، وأحياناً أخرى ينهي عنه مع التخويف منه، وفي أخرى يلمح للخطأ ولا تمنعه مواقف كثيرة من التصريح المباشر بلفظ واضح وصريح.

إن التأمل في هدي النبي ﷺ وسيرته، يرى كثرة الوسائل والأساليب التي انتهجها في تعليمه للأمة وتربيته لها وغناها وتنوعها، والمستعرض لطرائقه التربوية ليجده بحق أجدد الناس بقلب المربي والمعلم، وإن الإحاطة بكل ذلك وبجميع ما تحويه سنته الشريفة من أساليب قد لا يكون ممكناً لا سيما مع تعلق هذا البحث بتربيته ﷺ للمخطئ وتعامله ﷺ حول الخطأ فقط.

بقي أن نذكر أن المربي حين يقف على المنهج النبوي الصحيح في التربية والتعليم، لا بد أن يفرق بين السمات الثابتة في حياته ﷺ وبين السمات التي تستند عليها حالات معينة تستوجب نوعية من التعامل فعلى - سبيل المثال - الرفق والرحمة والتعامل باللين سمة ثابتة وظاهرة أساسية في المنهج النبوي التربوي، لا تكاد تفتقدها وأنت ترى تعامل النبي ﷺ حين الخطأ ومع المخطئ كيف وقد قال الله فيه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) بينما تجد الزجر والشدّة، يكون من الأمور العارضة احتاج إلى التعامل به النبي ﷺ في أحوال معينة أو مواقف تربوية خاصة ناسب أن يتعامل بها النبي ﷺ، وقل مثل ذلك في معظم السمات الأساسية في تعامله في التربية والتعليم كالجدية والعمل وغيرها. ^(١)

بين يديّ هذا الفصل جمعت الأساليب التربوية القولية التي استخدمها النبي ﷺ في علاجه للخطأ وتعديله للسلوك من خلالها، وقد امتازت تربية النبي ﷺ القولية بتنوعها لأن ما يصلح لموقف ما، قد لا ينجح ولا يناسب لموقف تربوي آخر، بل إن بعض المواقف التربوية قد تستلزم استخدام أكثر من أسلوب في وقت واحد وسيوضح ذلك فيما سيأتي بإذن الله تعالى.

(١) مستفاد من مجموعة كتب منها: أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية، يوسف خاطر حسن الصوري ص ١٣، وكذا مقال للشيخ إبراهيم صالح الدحيم - رحمه الله - في مجلة البيان العدد/ ٢٠٩، منهج التربية في القرآن والسنة للدكتور وهبة الزحيلي ص ٢٠٩ .

المبحث الأول: التخويف من الخطأ.

استخدم الرسول ﷺ في معالجة الأخطاء أسلوب التخويف من الخطأ، وذلك لحمل المخطئ على ترك الأفعال والأقوال أو حتى التصورات التي تخالف الشريعة الإسلامية، والتخويف يعد وسيلة من وسائل الإثارة وتركيز الانتباه لمقاومة الخطأ، ولترك السلوك المعيب والتحلي بالسلوك الحسن؛ لأنه يثير في النفس عامل الخوف، والنفس بطبيعتها ترجو وتخاف، وهذان العاملان الخوف والرجاء يعملان على تحديد أهداف الإنسان، وسلوكه ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو يتخذ لنفسه منهجاً في حياته، ومن هنا يكون التأثير في سلوكه، فالذي يخاف الموت لا يُقدم، والذي يخاف الفقر يجعل همه المال، والذي يخاف السلطان يتحاشى كل عمل يعرضه للصدام، والذي لا يخاف شيئاً من هذا كله، فهو متحرر منه، وكذا مَنْ يرجو ويتطلع إلى شيء من غنى أو مكانة أو سلطان يرسم أهدافه على أساس ذلك.^(١) وهذا الأسلوب يعد أسلوباً وقائياً؛ لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة؛ مما يجعل له أهمية كبيرة.^(٢)

ومن خلال هذا جمعت الأحاديث التي وقفت عليها، واستخدم النبي ﷺ مع المخطئ فيها هذا الأسلوب، ويظهر فيها تخويفه للمخطئ، وذلك عن طريق إبراز العقوبة له على فعله حين يكون بين يدي الله ﷻ يوم القيامة، وهذا الغالب في ظني، أو يخوفه من خلال تكرار اللوم عليه؛ بحيث يظهر من طريقة الرسول ﷺ معه حال الموقف، وشدة انفعاله ﷺ أسلوب التخويف له، ومن أمثلة هذه الأحاديث ما يأتي:

١- أَخْبَرَنَا أَبُو ظَبْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَرَّةِ^(٣)، فَصَبَحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْتَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا

(١) انظر: تعليم بلا عقاب، محمود إسماعيل عمار ص ٢٥٥، ومنهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ١٠٦، ومعالم

في التربية، عجيل النشمي ص ٢٠٩.

(٢) أصول التربية، خالد الحازمي ص ٣٩٣.

(٣) الحرة اسم قبيلة من جهينة، وقوله صبحنا القوم فهزمتاهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً (٩/٤).

منهم، فلَمَّا غَشِيَنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرُمَحِي حَتَّى قَتَلَتْهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا أَسَامَةَ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

٢- عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي حَذِيْمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَّأْنَا صَبَّأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِّنَّا أُسِيرَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ أَمْرِ خَالِدٍ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ مِّنَّا أُسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أُسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِي أُسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ لَهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ.

٣- قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَذَرِيُّ ﷺ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!" فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي، إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ! اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!" قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ! أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ" قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، ﷺ قَالَ: رَجَعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَاءٍ بِالطَّرِيقِ، تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ. فَتَوَضَّأُوا وَهُمْ عِجَالٌ، فَاتَّهَيْنَا إِلَيْهِمْ، وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحٌ لَمْ يَمْسَسْهَا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ أَسْبَغُوا الْوُضُوءَ".

تصحيح الخطأ بالقول

١/٥ - عن أبي ظبيان، قال: سَمِعْتُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَرَقَةِ^(١)، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْتَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيَنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرُمَحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدَمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا أَسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠٠/٥) رقم ٢١٧٩٣، وأخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٩/١) كتاب المغازي، "باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة" رقم ٤٢٦٩، وكذا في كتاب الدييات (٥٧٣/١) باب "ومن أحيائها" رقم ٦٨٧٢، وأخرجه مسلم في الصحيح (١/٦٩٤) كتاب الإيمان، "باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله" رقم ٧٨ جميعاً من طريق حصين بن عبد الرحمن.

وأخرجه مسلم في الصحيح (١/٤٦٩) في كتاب الإيمان "باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله" رقم ٢٧٧، وأبوداود في السنن (١/١٤١٨) كتاب الجهاد "باب على ما يقاتل المشركون" رقم ٢٦٤٣ من طريق الأعمش. كلاهما (حصين، والأعمش) عن أبي ظبيان، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وأخرجه مسلم في الصحيح (١/٦٩٥) رقم ٢٧٩ من طريق صفوان بن محرز، عن جندب بن عبد الله البجلي، يحكي القصة في زمن فتنة ابن الزبير.

(١) الحرقه اسم قبيلة من جهينة، وقوله صببنا الحرقات إشارة إلى بطون تلك القبيلة. انظر كشف المشكل (٩/٤).

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - استعمال الاستفهام الإنكاري مع المخطئ:

إن النبي ﷺ قابل فعل أسامة رضي الله عنه باللوم والتوبيخ، والسؤال الذي يحمل في معناه الإنكار، "أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟" مستفهماً منه استفهماً يريد الإنكار عليه، كيف تقتله بعدما قالها؟ بل كيف تجرأت على قتله بعدما سمعت كلمة لا إله إلا الله؟ وهي كلمة التوحيد التي تعصم الدم والمال، وفي هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة، حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، ^(١) حينها يبرر أسامة رضي الله عنه فعله فيقول: "كان متعوذاً". ^(٢)، يعني لم يكن قاصداً الإيمان بهذه الكلمة، إنما كان غرضه التعوذ من القتل، وفي بعض الروايات أبدى عذراً آخر ^(٣) قال: "يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمى له نفراً، وإني حملت عليه" كذا أعاد الاعتذار وأعيد عليه الإنكار.

٢ - لعظم الخطأ قد يكرر المربي الإنكار على المخطئ:

لم يكتفِ النبي ﷺ بالإنكار عليه لمرة واحدة فقط وهذا لعظم الموقف، والفعل الذي ارتكبه وهو القتل، وإلا فليس كل مخطئ يكرر عليه في التأنيب، وهذا تحكمه طبيعة وحجم الخطأ نفسه، والمربي والمصلح الحكيم هو الذي يكون قادراً على جعل الأسلوب المناسب في المكان المناسب، قال القرطبي: "في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك". ^(٤)

إن من يقرأ هذا الحديث ويعن النظر فيه بظن، ولأول وهلة كما ظن أسامة رضي الله عنه أن الرجل إنما قالها متعوذاً أو خوفاً من السلاح، لكن ومع هذا ليس لنا في الحكم على الناس إلا الظاهر منهم، أما السرائر فهي موكولة إلى الله تعالى.

(١) انظر: فتح الباري ١/٢٤٠.

(٢) هي رواية الباب سبق تحريجها، راجع ص ٣٣.

(٣) رواية مسلم من طريق جندب البجلي برقم/٢٧٩.

(٤) فتح الباري (١٢/١٩٦).

٣- تصوير الخطأ للمخطئ بشيء محسوس:

يزداد الأمر منه تخويفاً ﷺ حين يصور لأسامة ﷺ هذه الكلمة، ويمثلها أمامه في صورة رجل مخاصم له يوم القيامة أو من يخاصم لكلمة لا إله إلا الله، سواء من الملائكة أو من تلفظ بها ^(١) فيقول له حينها: (من لك بلا إله إلا الله؟) ^(٢) من يعينك عليها إذا جاءت تحاجك عن فعلك؟ وهنا تتضح صورة التخويف التي أحدثها النبي ﷺ في نفس المخطئ، وهو أعلم بما يصلح ويقوم الطبيعة الإنسانية؛ لأنه ﷺ مؤيد من ربه، ولا ينافي تربيته من السلوك وإلقاء الخوف في نفس الفاعل رفقه ﷺ ورحمته بأتمته؛ بل هو من خوفه عليهم وشفقته بهم.

٤- تقرير المخطئ على الخطأ:

تتوالى الأسئلة التقريرية منه ﷺ بعد كل عذر يقدمه أسامة ﷺ، وما ذاك إلا ليقرر في نفسه تغليظ أمر القتل فيقول له: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟" ^(٣) الفاعل في قوله: "أقالها" هو القلب، ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، أما القلب فليس لك طريق إلى ما فيه، فأنكر عليه ترك العمل بما ظهر من اللسان، وهذه هي القاعدة المعروفة في الفقه والأصول ^(٤)، أن الأحكام إنما يعمل بها بالظواهر والله يتولى السرائر، ولهذا قال له: "أفلا شققت عن قلبه؟" لترى ما في داخله؟ هل قالها معتقداً فيها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت على اللسان فحسب، فأراد ﷺ أن يقرر لديه أنك إذا كنت لست قادراً على تحقيق هذه الصورة، ولن تكون قادراً، فاكثف باللسان وما ظهر منه، ولا تطلب غيره. وعبر له هنا عن "الشق" كناية عن امتناع الإطلاع؛ إذ لا يوصل إلى ذلك وإن شق. ^(٥)

(١) انظر: عون المعبود (٢١٧/٤).

(٢) هذه الرواية أخرجهما أبو داود في السنن (١٤١٨/١) كتاب الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون رقم ٢٦٤٣.

(٣) وهذا اللفظ لمسلم (٤٩٦/١) كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله رقم ٢٧٧.

(٤) انظر: الأم (٢٦٠/١)، والمغني (٣٦٢/٨).

(٥) انظر: شرح النووي (٢٨١/١)، إكمال المعلم (٣٧٣/١)، فتح الباري (١٢، ٢٤١).

٥- المحاوراة وطلب الحقيقة ومعرفة أسباب الوقوع في الخطأ:

ذكر في بعض الروايات أن النبي ﷺ سأل أسامة قائلاً: لم قتلته؟^(١) وهذا السؤال منه ﷺ كمصلحة ومربٍ مهم جداً في تقويم وإصلاح الخطأ، بمعنى معرفة الدافع وراء هذا السلوك، ودراسة المربي واهتمامه بالدافع الذي يكمن وراء الفعل هو من أهم الأسباب في المعالجة، إتاحة الفرصة للمخطئ لإبداء العذر واستفساره ﷺ له عن السبب الذي أوقعه في خطئه مبادرة منه ﷺ لفتح باب الحوار والمناقشة مع المخطئ. إن معرفة مثل هذه الأمور تجعل المربي قادراً على اتخاذ الأسلوب الأنسب مع المخطئ، فليس الجاهل كالمعاند ولا المتعمد كالمجتهد التأول، وحينها يختلف أسلوب المعالجة تبعاً لاختلاف الشخصيات واختلاف الدوافع والأحوال.

٦- خطر العجلة وضرورة التفقه في الدين:

إن الحماس المبالغ فيه للدين دون حكمة وتثبت سبيل للوقوع في دائرة الأخطاء، والحماس لا يعنى الصواب - دائماً - فهذا الأنصاري رحمه الله ولم تفصح الروايات عن اسمه كفى عن المقتول بمجرد سماعه كلمة التوحيد، فكان في هذا الموقف أفقه من أسامة رحمه الله، ولذلك لم يشمل اللوم والإنكار، مع أنه كان في الموقف نفسه، وما هذا إلا لأهمية الفقه في دين الله، والتزام المنهج الصحيح لدين الله من الكتاب والسنة، والثبات عليهما هو من أسلم الطرق وأشدّها وقاية من الوقوع في الأخطاء، وكلما ابتعد الإنسان عن الاعتصام بهما والاتجاه إليهما حين المهمات والوقوع في الأزمات زاد بُعداً وانزلاقاً في الأخطاء.

٧- الحاجة إلى تكرار اللوم والتأنيب وذلك حسبما يستدعي الموقف:

إن المتتبع للسنة النبوية يجد أن النبي ﷺ ليس من عادته تكرار التأنيب على المخطئ، ولا إعادة كلمات اللوم على مسامعه في كل حين، لا أثناء الخطأ ولا بعده بفترة، إلا ما كان في الأخطاء الجسيمة كقتل امرئ مسلم، كما كرر على خالد بن الوليد رحمه الله البراءة من

(١) وهي عند مسلم (٩٧/١). كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله برقم ٩٧.

فعله حين تعجل في قتل بني جذيمة^(١)؛ ولذلك لما وقع هذا منه على ندرته أثر في نفس المخطئ تأثيراً عجبياً حتى تمتئ أسامة من عظيم إحساسه بالذنب أنه لما يسلم بعد يقول: "حتى تمتئ أي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"^(٢)، فتمنى أن يكون ذلك أول دخوله في الإسلام ليأمن من جريرة تلك الفعل، ولم يرد أنه تمنى ألا يكون مسلماً قبل ذلك، فكأنه ﷺ استصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح مقابل هذه الفعل؛ لما سمع من الإنكار الشديد، وإنما أورد ﷺ هذه المقالة على سبيل المبالغة لا الحقيقة.

٨- أخذ أسامة ﷺ من هذا الدرس النبوي مبدأ له لا يتجاوزه طيلة حياته مهما كلفه الأمر:

ففي أحلك المواقف وأصعب المحن التي مرت بها الأمة الإسلامية حين نشبت الفتنة المشهورة بين معاوية وعلي بن أبي طالب ﷺ، كان المؤمل منه مد يد العون ومشاركة المسلمين في موقعي (الجميل وصفين)؛ لكنه تخلف عنهما، فقد بوب الإمام البخاري في كتاب الفتن باباً ذكر فيه قوله "باب قول النبي ﷺ للحسن إن ابني هذا لسيد، ولعل الله يصلح به بين طائفتين عظيمتين". وفيه أن حرمة قال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدة الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره! فلم يعطني شيئاً، فذهبت إلى حسن وحسين وابن جعفر، فأوقروا لي راحتي.^(٣)

فقد هيا أسامة اعتذاراً عن تخلفه، وذلك لعلمه أن علياً كان ينكر على من تخلف عنه ولا سيما مثل أسامة الذي هو من أهل البيت، فبين له أنه لم يتخلف كراهة لعلي، بل على العكس، فإنه لو كان في أشد الأماكن هولاً لأحب أن يكون معه فيه يواسيه بنفسه، لكنه تخلف لأجل كراهيته قتال المسلمين، ولهذا قال: "ولكن هذا أمر لم أره".^(٤)

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٥٥/١) كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة رقم

٤٣٣٩ وسيأتي تخريجه في الحديث التالي.

(٢) رواية الباب نفسها راجع تخريجها ص ٣٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري (٧٦/١٣)، والقصة في الفتح (٨٤/١٣).

(٤) سبق تخريجه.

وكيف يقتل من قال لا إله إلا الله، وقد لاهه الرسول ﷺ في ذلك سابقاً، فقد آلى على نفسه ألا يقاتل مسلماً، واقتدى به سعد بن أبي وقاص في هذا فكان يقول: "وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين".^(١)

٩- غرس الثقة في المخطئ مطلب مهم في التربية النبوية:

إن من أعظم الدروس التي تؤخذ من هذا الحديث أن المخطئ لا تترع منه الثقة لمجرد وقوعه في الخطأ، ولا يُستبعد عن المجتمع أو تُلغى مسؤولياته ومشاركاته في المواقف التي يستطيع القيام بها وهو أهل لها، فاللوم والتوبيخ إنما هو للتربية والتعويد على سلوك المنهج الصحيح، وليس في لومه تقليلاً من شأنه ولا احتقاراً لمكانته.

ولما كان ﷺ يحفظ للمخطئ مكانته، ويجعل له دوراً في مجتمعه ولَّى أسامة بن زيد بعد هذه الحادثة على جيش كبير يغزو الروم، وشعر الناس أن هذه المهمة ربما ينوء بها أسامة، وأنه لو وُلِّي غيره لكان أولى، فخالف النبي ﷺ ظنهم فيه وبين لهم عكس ذلك فقي الحديث: "بعث رسول الله بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فصعد المنبر وقال: إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه، وأيم الله إن كان خليقاً للإمرة - أي ممن يصلح لها - وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ من بعده".^(٢)

"فالناس ينظرون إلى صورة الشيء بالظاهر، وأما الرسول ﷺ فكان يتلمح المعاني، لذلك رآه صالحاً للإمارة، خصوصاً في هذه السرية التي بعثه فيها إلى موضع مقتل أبيه، وكذلك أمر عمرو بن العاص على جيش فيهم أبوبكر وعمر لا لفضله عليهم، ولكنه ﷺ كان أبصر بالحرب، فلما بعث أسامة وتكلم القوم فيه لأنه انتدب معه وجوه المهاجرين والأَنْصار، غضب من مقاتلتهم غضباً شديداً، فخرج معصوب الرأس، وكان ذلك بداية

(١) هو أسامة يقال له: ذو البطين بضم الباء تصغير بطن؛ لأنه كان له بطن عظيم. انظر: نزهة الألباب (٢٨٠/١)، والإكمال لأبن مأكولا (٣٣٤/١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٣، ٣٦٥)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٨٤/٤) من طريق عبدالله بن دينار عن ابن عمر به.

مرضه، ثم صعد المنبر وقال ما قال" (١) فدل ذلك على ثقته الكبيرة فيه حتى بعد وقوعه في الخطأ.

إننا قد نحتاج مرة أو مرتين إلى عتاب المخطئ وإشعاره بفداحة خطئه؛ لكننا - أحياناً - نحتاج إلى أكثر من ذلك، أن نشعره بشكل مباشر أو غير مباشر بأننا نؤمن بأنه قادر على تجاوز هذه الأخطاء والتخلي عنها، وأنها لم تعد تلازمه كاسمه، وهذا هو الذي بدر من الرسول ﷺ حين أشعر أسامة أنه ما زال في موضع الثقة والأمانة لديه.

(١) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٢/٢٢١).

١/٦ - عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَاتَا، صَبَاتَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ أَمْرِ خَالِدٍ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ لَهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ" مَرَّتَيْنِ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٠/٢) رقم ٦٣٨٢، وأخرجه البخاري في الصحيح (٣٥٥/١) كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة رقم ٤٣٣٩، وكذا أخرجه في (٥٩٩/١) كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور رقم ٧١٨٩، أخرجه النسائي في السنن الصغرى (٢٤٣٣/١) كتاب آداب القضاة، باب الرد على الحاكم إذا قضى بغير الحق رقم ٥٤٠٧ من طريق عبد الرزاق، وأخرجه النسائي في الصغرى (٢٤٣٣/١) كتاب آداب القضاة، باب الرد على الحاكم إذا قضى بغير الحق رقم ٥٤٠٧ من طريق هشام بن يوسف، وأخرجه البخاري في الصحيح (٣٥٥/١) كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة رقم ٤٣٣٩، والنسائي في السنن الصغرى (٢٤٣٣/١) كتاب آداب القضاة، باب الرد على الحاكم إذا قضى بغير الحق رقم ٥٤٠٧ من طريق عبدالله بن المبارك. ثلاثهم (عبد الرزاق، وهشام بن يوسف، وعبدالله بن المبارك)، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - التماس العذر للمخطئ مع توجيهه وتنبهه:

على المربي أن يلتزم العذر للمخطئ، فخالد بن الوليد رضي الله عنه اجتهد وهو أهل للاجتهد، وهو مأجور على كل حال، سواءً أصاب أم أخطأ؛ لأنه رضي الله عنه حمل هذه اللفظة في قولهم صباناً على ظاهرها، ولم يكتفِ بذلك منهم حتى يصرحوا بالإسلام حقيقة، فلذلك قلهم بناءً على هذا اللفظ الظاهر، وقد عذر النبي ﷺ خالداً في اجتهدته؛ لأنه لم يكن يعرف أن قولهم صباناً هي إسلام صحيح، ولذا لم يقدر منه.

قال الخطابي: "يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام؛ لأنه فهم عنهم أن ذلك منهم على سبيل الأنفة، ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً قولهم".^(١)

فدل على أنه ﷺ يكتفي من كل قوم بما يعرف من لغتهم، وأن المقاصد تعتبر بأدلتها كيف ما كانت الأدلة لفظية أو غير لفظية تأتي بأي لغة كانت، وفي هذا دلالة - أيضاً - على أنه كان ﷺ متسامحاً ليناً مع أصحابه، يقبل عذر المخطئ، لا سيما مع ظنه أنه يفعل الصواب، وهو غير مدرك للحقيقة كحال خالد؛ حيث قبل منه تأويله للأمر، وعذره كما عذر أسامة رضي الله عنه حين أخطأ في قتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله، وكانت كلمة صريحة واضحة من القائل لا تحتمل أدنى شك، فكيف لا يقبل ﷺ عذر خالد، وهو سمع منهم كلمة غير صريحة للدخول في الإسلام.

٢ - الدعاء بالبراءة من خطأ المخطئ:

يكن موضع التخويف والترهيب من فعل الخطأ في دعائه ﷺ بالبراءة من فعل خالد رضي الله عنه كيف به وهو يرى النبي ﷺ مستقبلاً القبلة شاهراً يديه^(٢) حتى إنه ليرى بياض ما تحت منكبيه وهو يقول: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" مرتين أو ثلاثاً ألا يحدث هذا الموقف في النفس الخوف. إن ذلك منه ﷺ كان تأديباً للمخطئ يترك في نفسه الرهبة

(١) انظر: فتح الباري (٥٧/٨)، وعمدة القارئ (٣١٠/١٢)، وانظر القصة كاملة في تاريخ الطبري (٨، ٥٧)،

والسيرة لابن هشام (٣، ٤٢٨)، والطبقات لابن سعد (١٤٨/٢).

(٢) وهي عند البخاري (٢٣٣٥/٥) كتاب الدعوات، باب رفع الأيدي في الدعاء رقم ٢٢.

والتردد عن الإقدام على مثل هذا الفعل مرة أخرى، وليسمع منه الجميع تلك البراءة فيحصل الانزعاج له ولغيره فلا تكرر مثل هذه الأخطاء العظيمة.

٣- البراءة من الفعل لا من الفاعل إذا عُرف عدم تقصده للخطأ:

إن براءة النبي ﷺ من فعل خالد بن الوليد ﷺ ليست براءة منه لشخصه، فوقوع الإنسان في الخطأ العظيم لا يعني البراءة منه، ولا تهميش جهوده في المجتمع، إن فعل ذلك يدعو إلى التناوب والفرقة بين الأفراد والمجتمعات، وفيه تهييج للمخطئ على الكراهية والحسد، والرسول ﷺ أبعد ما يكون عن ذلك، وإنما تبرأ من صنيعه؛ خشية أن يعتقد أحد أن ذلك الفعل كان بأمره ﷺ أو بموافقة منه، فخاف أن يطالبه الله بما جرى عليهم من العدوان، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء: ٢١٦).^(١)

وذكر ابن حزم - رحمه الله - كلاماً جميلاً حول هذا الحديث حيث قال: "فإن قيل كيف يكون متولاً ورسول الله ﷺ يبرأ من فعله، قلنا: نعم قد برئ رسول الله ﷺ من كل خطأ خالف الحق، ونحن نبرأ إلى الله - عز وجل - منه، وإن كان فاعله مأجور أجراً واحداً ولم يبرأ الرسول ﷺ من خالد قط، وإنما برأ من فعله، وهكذا نقول: نبرأ إلى الله - عز وجل - من كل تأويل أخطأ فيه المتأول، ولا نبرأ من المتأول ولو برئ الرسول ﷺ من خالد ﷺ لما أمّره بعدها..." وهذا صحيح، فبعد هذا الحدث مباشرة أمره ﷺ يوم حنين فكان في مقدمة الجيش، ويخرج في تلك الغزوة فيأتيه ﷺ ليعوده وينفث على جرحه، ثم يؤمره مرات عدة إلى عهد أبي بكر الصديق ﷺ حيث سار على طريقة نبيه ﷺ، فكان يؤمره ويرسله وكان له موقف عظيم مع المرتدين إلى أن عزله عمر بن الخطاب وكان له فيه رأي.

الشاهد من هذا كله أن الرسول ﷺ حفظ لخالد مكانته حين الخطأ، وبعد الخطأ الذي صدر منه، ولا يصح أن يقال إن خالداً خالف أمره وخانه وقتل المسلمين، فإنه ﷺ لم يتعمد مخالفة نبيه ولا حياته من أجل عداوات كانت في الجاهلية، أو ثارات قديمة اندثرت

(١) انظر: فارس الإسلام خالد بن الوليد ص (٤٤)، وفتح الباري (١٨٢/١٣)، والمجلد ص (٣٦٩/١)، وكذا نيل

الأوطار (١٠/٨)، والاستيعاب (٤٢٨/٢).

بوجود الإسلام، يقول ابن تيمية في هذا الصدد: ومع هذا فالنبي ﷺ لم يعزل خالدًا عن الإمارة بل ما زال يؤمره ويقدمه؛ لأن الأمير إذا جرى منه خطأ أو ذنب أمر بالرجوع عن ذلك، وأقر على ولايته، ولم يكن خالدًا معاندًا للنبي ﷺ، بل كان مطيعاً له، ولكن لم يكن في الفقه والدين بمنزلة غيره، فخفي عليه حكم هذه القضية، ويقال: إنه كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، وكان ذلك مما حركه على قتلهم.^(١)

٤- التأكيد على شعيرة إنكار المنكر:

إن الأخطاء العظيمة، خاصة ما كان منها مما يتعلق بالدماء لا يمكن التغاضي عنها، أو السكوت عليها ولا موافقة المخطئ فيه، بل يجب رده ونصحه، ومخالفة أمره وإن كان عن طريق المجادلة له، وإلا عمت العقوبة على الجميع، ولهذا بادر النبي ﷺ بسؤال مهم ألا وهو هل أنكر عليه أحد؟ قالوا: أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهّم خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل مضطرب، فراجعته فاشتدت مراجعتهما، فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبدالله، وأما الآخر فسلم مولى أبي حذيفة، فدل ذلك على وجوب إنكار الخطأ، وترك متابعة المخطئ، وهذا ما فعله ابن عمر حين قال: "والله لا أقتل أسيري... الحديث"^(٢)، وتابعه على ذلك المهاجرون والأنصار وفي قوله ﷺ "اللهم إني أبرأ إليك" إشارة إلى تصويب فعل ابن عمر ومن معه في مخالفته أمر خالد^(٣)، ولذلك لم يعمهم الدعاء بالبراءة.

٥- خطورة الاستبداد بالرأي وأهمية المشورة:

إن طلب المشورة في الأمور هو سبب مهم في تقليل وقوع الفرد في دائرة الأخطاء، لقد كان مع خالد بن الوليد فرصة كبيرة لتجنب هذا الدعاء من النبي ﷺ لو أنه استشار من معه ممن له علم وفقه في الدين، كابن عمر وغيره قبل أن يُقَدِّم على قتل بني جذيمة؛ لأن ابن عمر كان يعلم المراد من كلمة صبأنا. يدل ذلك على هذا قول ابن حجر عند كلمة صبأنا: "هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة،

(١) انظر: فارس الإسلام خالد بن الوليد، لابن تيمية ص (٤٤)، وتاريخ خالد بن الوليد، أبو زيد شلي ص (٢٣)

(٢) سبق ترجمه راجع ص ٤٠.

(٣) انظر: فتح الباري (٥٧/٨).

ويؤيد فهمه أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم صباحاً حتى اشتهرت هذه اللفظة، وصاروا يطلقونها في مقام الذم ومن ثم لما أسلم ثمامة بن أثال وقدم مكة معتمراً قالوا له: صباأت؟ قال: لا، بل أسلمت، فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء".^(١)

٦- العجلة في الأمور من أسباب الوقوع في الخطأ:

أنكر الرسول ﷺ على خالد العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم، ولذلك فإننا كثيراً ما نقول إن الحماس وعدم التثبت مدعاة للوقوع في كثير من الأخطاء.

٧- إصلاح ما ترتب على الخطأ:

إن المخطئ وإن كان معرضاً للزلل بحكم طبيعته البشرية، لكن هذا لا يلزم منه عدم ضمان ما أتلف، ولا إصلاح ما أفسده جراء خطأه، ولهذا أرسل النبي ﷺ علياً لتلافي خطأ خالد بن الوليد رضي الله عنه، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليديهم ميلة الكلب.^(٢)

(١) انظر: إرشاد الساري (٣١٨/٩)، ومعتصر المختصر (٢١٦/١)، وفتح الباري (٥٧/٨).

(٢) ميلة الكلب: الإناء الذي يلبغ فيه الكلب، أو يسقى فيه النهاية في غريب الأثر (٥/٥).

١/٧- قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَذَرِيُّ رضي الله عنه: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسُّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!" فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْقَضْبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي، إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ! اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!" قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السُّوْطَ مِنْ يَدَيَّ، فَقَالَ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ! أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ" قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

التخريج:

أخرجه الأمام أحمد في المسند (١٠٧/١) رقم ٥١٦٠، وكذا في (٢٧٤/٥) رقم ٢٢٤٠٧، والإمام مسلم في صحيحه (٩٦٩/١) كتاب الإيمان، باب صحة المالك وكفارة من لطم عبده رقم ٤٣٠٦، وكذا رقم ٣٤٠٨، وكذا رقم ٣٤٠٩ من الكتاب والباب نفسه، وأخرجه أبو داود (١٦٠٠/١) كتاب الأدب، باب في حق المملوك رقم ٥٢٥٩، وكذا رقم ٥١٦٠، وأخرجه الترمذي (١٨٤٨/١) كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الخدام وشمهم رقم ١٩٤٨، من طرق عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي مسعود الأنصاري به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- استخدام الرسول ﷺ أسلوب التخويف:

في إنكار الخطأ الذي بدر من أبي مسعود رضي الله عنه أسلوب التخويف من قدرة الله ﷻ؛ حيث وعظه بموعظة قصيرة ذكر فيها قوله: "والله لله أقدر عليك منك عليه" ^(١)، والمعنى أن الله أتم وأبلغ من قدرتك على عبدك حال كونك أنت قادر عليه، فاعرف ذلك وقدرته عليك بالعقوبة؛ لكنه يحلم إذا غضب، وأنت لا تقدر على الحلم إذا غضبت ^(٢)، فلما سمع منه

(١) صحيح مسلم (١٢٨١/٣) رقم ١٦٥٩ عن أبي مسعود رضي الله عنه أيضاً.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى (٧٦/٦)، وفيض القدير (٣٨٤/١).

هذا التخويف وهذه الموعظة الشديدة على النفس، وذكره بما لم يخطر له على بال، خاف ووجل من تلك الكلمات حتى سقط السوط من يده.^(١)

وعلى هذا فالتخويف أسلوب تربوي لا غنى للمربي عنه، وهو أسلوب امتثلته القرآن الكريم في كثير من الآيات؛ لكن بأسلوب أوسع وأعمق، وهو أسلوب الترهيب: قَالَ: ﴿أَمَنْ هُوَ فَنُتِئْءَانَاَ أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ﴾ (الزمر: ٩)

إن مثل هذا الأسلوب يضبط سلوك الإنسان ويردعه عن السلوك السيئ، ويعد حافزاً يدفع الإنسان إلى التعلم الصحيح، لكنه يحتاج من المربي إلى توازن دقيق بحيث لا يسرف في استخدامه ويهمل أسلوب الترغيب؛ إذ هو الأولى - دائماً - في التربية.

٢- أثر التحذير النبوي في سرعة الاستجابة وتكفير السيئة:

الأثر الذي تركه النبي ﷺ في نفس المخطئ جراء موعظته جعل أبا مسعود يعتقد هذا العبد، وهذا من حسن فهمه ﷺ؛ لأن الله يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مَنْ أَلِيلٌ إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤)، فبدلاً من أنه أساء إلى هذا العبد أحسن إليه بالعتق، وهذا ما أرشد إليه النبي ﷺ حينما يضرب العبد أو يلطم، فإن أفضل كفارة لذلك هي العتق؛ لأن فعل الحسنة يمحو السيئة قال النووي: "فيه الحث على الرفق بالماليك وحسن صحبتهم، وأجمع المسلمون على أن عتقه بهذا ليس واجباً، وإنما هو مندوب إليه رجاء كفارة ذنبه وإزالة إثم الظلم عنه"^(٢)، فكانه أتى ذنباً استحق عليه النار، فلما أعتقه كانت حسنة أذهبت تلك السيئة، كما لو فعل حسنة توازيها أو تربى عليها.^(٣)

(١) بينت ذلك رواية الإمام مسلم في الصحيح (١٢٨١/٣) رقم ١٦٥٩.

(٢) شرح النووي (٢٩٠/٢)، وعون المعبود (٢١٩٧/٦)، وشرح رياض الصالحين (٢٩٧/٦).

(٣) انظر: المحلى (٢١٠/٩).

ومن ذلكم الأثر الذي تركه النبي ﷺ في نفس أبي مسعود بعد الموعظة أنه قطع على نفسه وعداً ألا يضرب مملوكاً أبداً بعد تلك النصيحة قال: "والذي بعثك بالحق لا أضرب عبداً أبداً".^(١)

٣- تكرار الموعظة تترك أثراً في نفس المخطئ:

كرر النبي ﷺ عليه الموعظة مرتين "لله أقدر عليك منك عليه"^(٢)، وفي هذا التكرار من التأنيب والتهديد ما يكفي ليؤكد له شناعة فعله، ومثل هذا الأسلوب يوقع في النفس التردد في الإقدام على مثل هذا السلوك.

٤- احترام بشرية الإنسان بصرف النظر عن كونه خادماً أو ملكاً:

وتقدير شخصيته والإيمان بكرامته التي جعلها الله - ﷻ - من حقوقه، فلا تنتهك، بل يجب أن تُحفظ وتُصان قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠)

(الإسراء: ٧٠) فلا يتسلط القوي على الضعيف ولا المخدم على الخادم.

وإن محمداً ﷺ كان حريصاً على أن يعطي للإنسان قدره ويُعلي من قيمته وكرامته، وفي السنة المطهرة أمثلة واضحة تبين كيف كان ﷺ يربي النفوس البشرية على هذا، إن شعور الإنسان بكرامته مطلب مهم في العملية التربوية، وحتى حينما تُخضع المخطئ لأي نوع من العقاب، يجب أن تكون هذه العقوبة في إطار لا يلغي شعور الفرد بقيمته وكرامته، فلا تكون الألفاظ جارحة، ولا يصاحب العقوبة البدنية أي تصرف يُشعر بالامتهان أو احتقار الذات.

إن شعور الفرد بكرامته يربي لديه حب المجتمع والقدرة على العطاء والإنجاز، بل يرفع الثقة في نفسه، ويشعره كذلك بالعزة وأي شعور منه بامتهان يُلحق به آثاراً سلبية نفسياً واجتماعياً.

(١) ببنتها رواية أبي نعيم في الحلية (٢١٨/٤).

(٢) اتضح التكرار مرتين من رواية أبي داود في السنن (٣٤٠/٤) رقم ٥١٥٩.

٥- بيان عقوبة الخطأ وجزاءه:

إن إخبار المخطئ بمدى ما يلحقه من ضرر حين يستمر في الفعل الخاطئ أمر مهم في تقويم سلوكه وتراجعه عنه، ولهذا قال له النبي ﷺ: "لو لم تفعل للفتحت النار".^(١)

فجعل الضرب سبباً في دخول النار، ونبهه إلى أن الذي فعله من تأديب العبد وضربه حرام، فكأنه تعدى في أصل الضرب بأن ضربه على ما لا يستحق، أو في صفة الضرب، فيكون زاد على المستحق، ولا يُختلف في أن تأديب العبد سواء بالضرب أو الحبس وغيره جائز إذا وقع في محله وعلى صفته، فلا يجوز للمربي أن يضرب إن كان بالإمكان أن يؤدب دون الضرب، فإن حصل التأديب بدونه، وإلا جاز له أن يضرب بالشروط الشرعية.

٦- اختيار الوقت المناسب للضرب:

على المربي أن يتخير الأوقات المناسبة التي يربي فيها المخطئ إن رأى أن الضرب هو الحل المناسب لمثل حاله، فلا يضرب وهو في حالة غضب شديد مخافة إلحاقه الضرر بمن هو تحت يده، ولما يفقده الإنسان في تلك الحالة من السيطرة على نفسه، وعدم قدرته على ضبط تصرفاته، وحينها سيتحول الهدف من الضرب من مجال التهذيب والإصلاح إلى مجال للتنشفي والانتقام يقول أبو مسعود: "فجعلت لا أعقل من الغضب حتى دنا مني رسول الله ﷺ فلما رأيته وقع السوط من يدي".^(٢)

٧- إن الإسلام حين أقر الضرب لم يجعل الأمر فيه كالحيل على الغارب:

بل جعله في أضيق الحدود، وحين استنفاد كافة الوسائل الممكنة في التأديب، ويكون وفق الشروط التي قررها الشارع الحكيم. إن مراعاة مثل هذه الشروط وغيرها مقيدة للضرب، تراعي مصلحة المخطئ إلى أقصى الحدود، وتحيط هذه الوسيلة بسياج من الأمن حتى لا يلحق المخطئ أذى ضرر، وحتى لا تخرج هذه الوسيلة المقصودة عن معنى التأديب

(١) لفتحت: أي لمستك من جميع نواحيك.

(٢) أخرجهما هذا اللفظ: عبد بن حميد في المسند (١، ١٠٧)، وفي مسند الربيع (١، ٢٧٦)، وعند الطبراني في

المعجم (١٧، ٢٤٥).

الموضوع له، وتجعل المربي استعماله لها فيه نوع من الاقتصاد الشديد، وليس لرغبة في نفس المؤدب.

٨- مراعاة من لجأ إلى الله واحتمى به في حالة وقوع الضرب عليه:

فقد ذكر مسلم في إحدى الروايات عن أبي مسعود، فجعل يقول: أعوذ بالله! قال: فجعل يضربه فقال: أعوذ برسول الله. فتركه. ^(١)

ذلك أن تلك الاستعاذة تُشعر بتراجع المخطئ عما بدر منه، وقناعته بخطئه، فإذا التجأ واحتمى بالله - عز وجل - فعلى المربي أن يتق الله ويرفع يده عنه، وهذا إنما يقال إذا كان الضرب لتأديبه، وأما إذا كان في حد فلا.

قال العلماء حول ضرب أبي مسعود للعبد وهو يستعيز: لعله لم يسمع استعاذته الأولى لشدة غضبه، كما سمع النبي ﷺ أو يكون لما استعاذ برسول الله ﷺ تنبه لمكانه.

٩- أن الدين الحنيف اعتنى بهذه الفئة من البشر:

حيث وصفهم بالإخوان في بعض الأحاديث ^(٢)، وشرع لهم حقوقاً على من وليهم من رعاية واهتمام والحلم عليهم إذا بدر منهم تقصير، والتواضع معهم ولين الجانب؛ لأنه يشعرهم بالطمأنينة وعدم الحرج من الفقر والعسر، والتكبر معهم يشعرهم بالوحشة وبأنهم محتقرين لا قيمة لهم.

(١) أخرجه مسلم (١، ٩٦٩)، كتاب الأيمان، باب صحة المالك وكفارة من لطم عبده، رقم ٤٣٠٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦١/٥)، والبخاري في صحيحه (٢٠/١)، والإمام مسلم في الصحيح (١٢٨٢/٣)، وأبوداود في السنن (٣٤٠/٤)، وابن ماجه في سننه (١٢١٦/٢)، والترمذي في السنن (٣٣٤/٤) من طريق المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه.

١/٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: رَجَعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَاءِ الطَّرِيقِ، تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ. فَتَوَضَّأُوا وَهُمْ عَجَالٌ، فَأَتَتْهُمْ إِيَّاهُمْ، وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحٌ لَمْ يَمْسَسْهَا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ أَسْبَغُوا الْوُضُوءَ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٩٣/٢) رقم ٦٨٠٩، وأخرجه الإمام مسلم (٧٢١/١) كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما رقم ٢٤١، وأخرجه ابن ماجه في السنن (٢٥٠٤/١) أبواب الطهارة وسننها، باب غسل العراقيب رقم ٤٥٠، وأبو داود في السنن (١٢٢/١) كتاب الطهارة، باب في إسباغ الوضوء رقم ٩٧، وللنسائي في السنن الصغرى (٢٠٩٤/١) كتاب الطهارة، باب إيجاب غسل الرجلين رقم ١١١، من طريق هلال بن يساف، عن أبي يحيى، عن عبد الله بن عمرو به.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢١٥/٢) من طريق رجل من أهل مكة، عن عبد الله بن عمرو العاص، وفيه "أنه رأى قوماً لم يتموا الوضوء". وأصل الحديث في الصحيح عند البخاري دون موضع الشاهد، وهو رؤية الخطأ.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- التخويف من الوقوع في التقصير بأسلوب عام غير موجه لشخص بعينه:

استخدم الرسول ﷺ في معالجة السلوك الخاطئ أسلوب التخويف من الفعل، لكن هذا التخويف ليس موجهاً للفاعل نفسه، بل لكل مخطئ يقع في هذا السلوك في قوله: "ويل للأعقاب من النار"، والويل وإد في جهنم، وهذا التخويف إما أن يكون معناه لأصحاب الأعقاب المقصرين في غسلها، فيكون هنا التوجيه مباشراً للفاعلين أنفسهم، وهذا أبلغ لهم في ظني، وإما أن يكون العذاب مختصاً بالعقب نفسه يعذب به صاحبه، فإن مواضع الوضوء لا تمسها النار، وعلى هذا القول يلحق بالأعقاب ما في معناها من جميع الأعضاء التي قد يحصل التساهل فيها إسباغها، وإنما خصت بالذكر لصورة السبب، وهو أنه رأى

قوماً يصلون وأعقابهم تلوح، وقيل إنما خصها لغلبة التساهل فيها والتهاون بها؛ لأنها في أواخر الوضوء وأسافل البدن، وفي محل لا يشاهد - غالباً - فكان الاهتمام بها أحق من غيرها. ^(١)

٢- استغلال الموقف للتصحيح:

إن من أهم أساليب التربية أسلوب الربط بين التوجيه والإرشاد، وبين المواقف والقضايا المعينة التي يعايشها الفرد، ويكون توجيهه وإرشاده بناءً عليها فعلاً ومؤثراً في نفسه، ومثبتاً لعملية التعلم الذي يتم في هذه الحالة بفهم ووعي وإدراك ^(٢). إن إنكار المنكر في لحظة وقوعه واغتنام الفرصة والوقت المناسب للتوجيه يساعد على تحقيق الهدف المرجو من الإصلاح؛ ذلك لأنه يرى النتائج أمامه ويعايشها في اللحظة نفسها، وبذلك فقد أكدت السنة النبوية المطهرة أن التوجيه كلما ارتبط بمواقف أو وقائع معاشة، كان تأثيره أقوى، ورسوخه أشد في نفوس المتعلمين؛ إذ يتطابق الجانبان النظري والتطبيقي للعملية التعليمية والتربوية.

٣- توضيح الصواب بعد التخطئة:

يحسن بالمربي أو المعلم حين ينكر السلوك الخاطئ أن يوجه المخطئ إلى الصواب ولا يكتفي بالتخطئة، فإن كثيراً من المخطئين يستمر على الخطأ؛ لأنه لا يوجه للصواب الوجهة الصحيحة، ولا يصح أن نكتفي بالإنكار دون التوجيه، فإذا لم يعرف المخطئ الأفضل مما هو فيه، فكيف يتخلص من الخطأ ولا يستمر عليه، ولذلك لما انتهى النبي ﷺ من الإنكار على المقصر بالوعيد أعقبه فوراً بقوله: "أسبغوا الوضوء"، فاكتملت الصورة في ذهن المخطئ وميز حينها بين الخطأ الذي وقع فيه وبين الصواب الذي حاد عنه، ولهذا قال ابن حجر - رحمه الله - ^(٣): وفيه تعليم الجاهل وتكرار المسألة لتفهيم.

(١) انظر: فيض القدير (١/١٤٦)، وفتح الباري (١/١٢٦)، عون المعبود (١/١١٨).

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، لخالد الحازمي ص ٢٧٧، وكذا أسس التربية الإسلامية، عبد الحميد الزنتاني ص

(٣) فتح الباري (١/١٢٦).

من الشواهد التي تدل على التخويف:

- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ امْرَأَةً، أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مَسَكَنَانِ غُلِيطَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لَهَا: " أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟ ". قَالَتْ: لَا. قَالَ: " أَيْسَرُكَ أَنْ يُسَوِّرَكَ اللَّهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَوَارَتَيْنِ مِنْ نَارٍ؟ ". قَالَ: فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ هُمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ. ^(١)

النتائج التي يخلص منها هذا المبحث:

- ١- مراعاة عدم الإفراط في استعمال أسلوب التخويف والإنذار، وذلك لأن العلاقة بين المربي والمتربي يجب أن تكون قائمة على المحبة، والحوار والاقتناع، لا تلك التي تقوم على الرهبة والخوف والمشادة والفرع، وأقول: مما يؤسف له أن كثيراً من الآباء والأمهات يسرفون في استخدام أسلوب التخويف مع أبنائهم، بقصد ضبط سلوكياتهم، وقد يبالغون - أحياناً - في تصوير النتائج التي تترتب عليها أفعالهم، وخاصة في تعاملهم مع الأطفال بحيث يرسمون لهم خيالات مخيفة ومُفزع، وهذا - في ظني - يبيّن شخصية ضعيفة تحتمي بغيرها بحثاً عن الأمان من كل شيء قد يخيف ويُفزع، بل ويعدم ثقة الطفل في نفسه، وهو خلاف الهدي النبوي ﷺ الذي يدعو إلى الطمأنينة والتفاؤل وبناء شخصية قوية، وإنما استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في الأخطاء الفادحة ليرتدع أصحابها، والله أعلم.
- ٢- إن الدين الإسلامي جعل للخدم حقوقاً لا بد من مراعاتها.

- ٣- يبقى التوجيه والإرشاد وتوضيح الصواب للمخطئ أفضل - دائماً - قبل توقيع العقاب. ^(٢)

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٩٥/٢) كتاب الزكاة، باب الكثر ما هو زكاة الحلبي، والنسائي في المجتبى (٣٨/٥) كتاب الزكاة، باب زكاة الحلبي.

(٢) انظر: كيف تربي ولدك، شقير العتيبي، ص ١٥٤، وتربية الطفل في السنة النبوية، محمد المنيف ص ١٧١.

المبحث الثاني: التلميح دون التصريح

إن المربي أو الداعي يتعرض أثناء عملية تصحيح الأخطاء إلى مواقف ذات حساسية خاصة، يجد نفسه بين عاملين لا بد من مواجهتهما معاً عامل حياء محمود حساسية يجب مراعاتها، وعامل التوجيه الذي لا يحتمل الإهمال والتأخير، في هذا الإطار النفسي البحث ممتزج مع واجب التربية النفسية والسلوكية، نستطيع أن نفهم كثيراً من أبعاد ذلك الشعار النبوي التربوي (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا). إنها على طريقة "إياك أعني واسمعي يا جارة"، وإنه الأسلوب الحكيم الذي تغني فيه الإشارة عن صريح العبارة، وإنه الذكاء المودب الذي يعد من صفات المرشد النفسي، أو الموجه التربوي، أو القائد المصلح.^(١)

هذا الأسلوب يحتاج إليه المربي "حين يريد أن يعبر عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالطاهر، وقد وقعت في القرآن الكريم آيات كثيرة ضمت مثل هذا النوع، ويسلكه - أيضاً - حين يكون التصريح مخرجاً عن سكة الأدب والوقار والمروءة، يسلكه حين يكون التصريح في التوجيه والإعلان بالنصح والمباشرة في التعليم يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجراءة المفسدة والتبجح بالمخالفة، وكذا حين يكون سبباً للتهديج على الإصرار والعناد، فيأتي التعريض ليستميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية والبصائر اللماعة".^(٢)

وفي هذا البحث مجموعة من الأحاديث الشريفة التي اشتملت على أسلوب التلميح، حين يعالج الرسول ﷺ بعض الأخطاء، ولا يرغب في ذكر أسماء الفاعلين لكي لا يؤذي الشعور الإنساني الذي كان يراعيه ﷺ دائماً، وكم نحن بحاجة إلى اعتماد هذه الطريقة الشرعية في معالجة أخطاء أبنائنا وبناتنا وطلابنا، ومن أمثلة هذه الأحاديث التي اتضح فيها هذا المنهج النبوي:

١- عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: جَاءَنِي بَرِيرَةُ فَقَالَتْ: كَاتَبْتُ أَهْلِي عَلَى تَسْنَعِ أَوَّاقٍ، فِي كُلِّ عَامٍ وَفِيَّةٍ، فَأَعِينَنِي، فَقُلْتُ: إِنْ أَحَبَّ أَهْلُكَ أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ وَيَكُونَ وَلَاؤُكَ لِي فَعَلْتُ، فَذَهَبْتُ بِرَبِيرَةَ إِلَى أَهْلِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَجَاءَتْ مِنْ عِنْدِهِمْ

(١) انظر: الرسول العربي المربي، عبد الحميد الهاشمي ص ١٦٠.

(٢) التوجيه المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك، للشيخ الحميد ص ٢٢.

وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِسٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي عَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْوَلَاءُ لَهُمْ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "خُذِيهَا وَاشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ" فَفَعَلَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ "أَمَّا بَعْدُ مَا بَالَ رِجَالٌ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، قَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ، وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ".

٢- عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِي لِي، فَقَالَ لَهُ: "أَفَلَا قَعَدْتُ فِي بَيْتِ أَيْبِكَ وَأَمُكْ فَتَنْظَرْتُ أَيُّهُدَى لَكَ أَمْ لَا؟" ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالَ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِي لِي أَفَلَا قَعَدْتُ فِي بَيْتِ أَيْبِهِ وَأُمِّهِ فَتَنْظَرُ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خَوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَعِيرٌ، فَقَدْ بَلَّغْتُ". فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ حَتَّى إِذَا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطِيهِ. قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: وَقَدْ سَمِعَ ذَلِكَ مَعِيَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَلُّوهُ.

٣- قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَحَّصَ فِيهِ فَتَرَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالَ أَقْوَامٍ يَتَزَهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً".

٤- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: "مَا بَالَ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لِكَيْ أَصْلِي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".

٢/٩ - عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: جَاءَنِي بَرِيرَةُ^(١) فَقَالَتْ: كَاتِبْتُ أَهْلِي عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ، فِي كُلِّ عَامٍ وَقِيَّةً، فَأَعْيَيْنِي، فَقُلْتُ: إِنْ أَحَبَّ أَهْلُكَ أَنْ أُعْذَّهَا لَهُمْ وَيَكُونُوا لِي فَعَلْتُ، فَذَهَبْتُ بِرَبِيرَةَ إِلَى أَهْلِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ فَأَبُوا ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَجَاءَتْ مِنْ عِنْدِهِمْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي عَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَبُوا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْوَلَاءُ لَهُمْ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "خُذِيهَا وَاشْتَرِي لِي لَهُمُ الْوَلَاءُ فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ"، فَفَعَلْتُ عَائِشَةُ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ "أَمَّا بَعْدُ مَا بَالُ رَجُلٍ يَشْتَرِي بَشَرًا شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، قَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ، وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ".

التخريج:

الإمام أحمد في المسند (٢١٣/٦) رقم ٢٥٨٢٧، والبخاري في الصحيح (١٦٩/١) كتاب البيوع، باب إذا اشترط في البيع شروطاً لا تحل، رقم ٢١٦٨، وكذا في (٢٠١/١) كتاب المكاتب، باب استعانة المكاتب وسؤاله الناس رقم ٢٥٦٣، وكذا (٢١٧/١) كتاب الشروط، باب الشروط في الولاء رقم ٢٧٢٩، والإمام مسلم في صحيحه (١١٤١/٢) كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق رقم ١٥٠٤، وأبوداود في السنن (٢١/٤) كتاب العتق، باب بيع المكاتب إذا فسخت المكاتبه رقم ٣٩٣٠، وابن ماجه في السنن (٢٦٢٨/١) كتاب العتق، باب المكاتب رقم ٢٥٢١، والنسائي في المجتبى (١٦٤/٦) كتاب الطلاق، باب خيار الأمة تعتق وزوجها مملوك رقم ٣٤٨١ من طريق هشام بن عروة بن الزبير.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٨١/٦) رقم ٢٤٥٦٦، والبخاري في الصحيح (١٦٨/١) كتاب البيوع، باب الشراء والبيع مع النساء رقم ٢١٥٥، وكذا (٢٠١/١) كتاب المكاتب، باب المكاتب ونجومه في كل سنة نجم رقم ٢٥٦٠، وفي (٢٠١/١)

(١) بريرة: بفتح الموحدة بوزن فعيلة، وهي مشتقة من البرير وهو ثمر الأراك، وقيل مأخوذ من البر وهي مولاة لعائشة - رضي الله عنها - كانت تخدماها.

كتاب المكاتب، باب ما يجوز من شروط المكاتب، ومن اشترط شرطاً ليس في كتاب الله رقم ٢٥٦١، وفي (٢١٦/١) كتاب الشروط، باب الشروط في البيوع رقم ٢٧١٧، وليس في هذا الحديث ذكر التلميح.

وكذا مسلم في الصحيح (٩٣٧/١) كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، رقم ٣٧٧٧ وأبو داود في السنن (١٥١١/١) كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت المكاتبه رقم ٣٩٢٩، والترمذي في سننه (١٨٦٤/١) كتاب الوصايا، باب - هكذا دون تسمية - رقم ٢١٢٤، والنسائي في المجتبى (٢٣٨٨/١) كتاب البيوع، باب المكاتب يباع قبل أن يقضى من كتابته شي رقم ٤٦٦٠، وكذا في (٢٣٨٨/١) كتاب البيوع، باب بيع المكاتب رقم ٤٦٥٩، من طريق ابن شهاب الزهري.

جميعهم (هشام بن عروة، والزهري) عن عروة بن الزبير.

وأخرجه الإمام مالك في الموطأ أيضاً (٧٨٠/٢)، والبخاري في الصحيح (١٧٤/١) كتاب المساجد، باب البيع والشراء على المنبر في المسجد، رقم ٤٥٦ من طريق عمرة بنت عبدالرحمن، وقال بعد ذكره للحديث مرسل.

وأخرجه مسلم (١٤٤/٢) كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق رقم ١٥٠٤، وكذا النسائي في (٣٦٦/٣) كتاب الطلاق، باب خيار الأمة تعتق وزوجها مملوك رقم ٥٦٤٤ من طريق القاسم بن محمد وليس فيه ذكر التلميح.

ثلاثتهم (عروة بن الزبير، وعمرة بنت عبدالرحمن، والقاسم بن محمد) عن عائشة - رضي الله عنها - به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- مخاطبة عامة الأمة فيما تعم به المنفعة:

إن على الإمام أو المربي أن يخاطب الناس إذا وقعت بدعة، أو أمر يحتاج إلى بيانه مما يخالف الكتاب والسنة، ويبين لهم حكم ذلك، وينكر على من ارتكب ما يخالف الشرع، وفي خطبته ﷺ للناس على المنبر وبصوت رفيع إنكار بليغ أكد لهم تغيير هذا السلوك.

٢- استنكار الخطأ أمر مهم في التصحيح:

استنكر ﷺ من أهل بريرة اشتراطهم الولاء لهم، لكنه ﷺ لم يواجههم بالخطاب ولم يصرح بأسمائهم؛ لأنه ﷺ كانت له طريقة فريدة من نوعها في معالجة الأخطاء الظاهرة، وهي طريقة التلميح لا التصريح التي استخدمها هنا في قوله: "ما بال أقوام يشترطون؟" وفي بعض الروايات: "ما بال رجال منكم يقول أحدهم أعنت يا فلان ولي الولاء".^(١)

وفي هذا الأسلوب أدب رفيع وجميل موعظة وحسن للعشرة؛ حيث لم يواجه صاحب الشرط بعينه؛ لأن المقصود يحصل له ولغيره، وهذا دأبه ﷺ في تصحيح الأخطاء أنه لا يواجه أحداً بما يكره،^(٢) إنما يقول ما يريد تعريضاً جرياً على مقتضى الأخلاق الكريمة التي جُبِلَ عليها وشرّفه الله ﷻ بها، وخصه بأعلى مراتبها، فقد راعى مع ذلك قلوب أصحابه؛ لأنه لم يعين أصحاب بريرة بل قال: ما بال أقوام؟ بخلاف قصة علي عليه السلام في خطبته بنت أبي جهل، فإنها كانت خاصة بفاطمة -رضي الله عنها- فلذلك أعلنها.^(٣)

٣- إغلاظ القول مع المخطئ المتعمد:

على المربي مراعاة الفرق بين المخطئ الذي ارتكب الخطأ عن جهل منه، ومن وقع بالخطأ، وهو عالم بتحريمه ولا يخفى عليه حكمه، والرسول ﷺ كان قد أعلم الناس بأن

(١) هذه الرواية أخرجه البخاري (٩٠٤/٢) كتاب العتق، باب استعانة المكاتب وسؤاله الناس برقم/٢٤٢٤.

(٢) وهذا الأسلوب استعمله النبي ﷺ فيما يليقه عن المخطئ، ولا يباشره هو أو يراه بنفسه، فإنه حينها يستخدم معه أسلوب التلميح.

(٣) انظر: فتح الباري (١٩٥/٥)، ومعتصر المختصر (١٤٤/١).

اشتراط البائع الولاء باطل^(١)، واشتهر ذلك بحيث لا يخفى على أهل بريرة، فلما أرادوا أن يشترطوا ما تقدم لهم العلم ببطلانه، أطلق الأمر مريداً به التهديد على مآل الحال، فلذلك ونجهم ﷺ بهذا القول إلى أنه تقدم منه بيان حكم الله في إبطاله؛ إذ لو لم يتقدم بيان ذلك لبدأ ببيان الحكم في الخطبة، لا بتوبيخ الفاعل لأنه يكون باقياً على البراءة الأصلية.^(٢)

(١) ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري (١٩١/٥)، والزرقاني في الشرح (١١٥/٤).

(٢) انظر: فتح الباري (١٩١/٥) بتصرف، شرح الزرقاني (١١٥/٢٢)، ونيل الأوطار (٢٨٦/٥).

٢/١٠ - عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ: أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أَهْدِي لِي، فَقَالَ لَهُ: "أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَتَنَظَرْتَ أَيُّهُدَى لَكَ أَمْ لَا؟" ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةَ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَتَشْهَدُ وَأَتْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أَهْدِي لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَتَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خَوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعُرٌ، فَقَدْ بَلَغْتُ". فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ حَتَّى إِذَا لَنَظَرُ إِلَى غُفْرَةٍ يُنْطِئُهَا. قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: وَقَدْ سَمِعَ ذَلِكَ مَعِيَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَوَهُ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٢٣/٥) برقم ٢٣٦٤٦، وأخرجه الإمام البخاري في الصحيح (٢٠٤/١) كتاب الهبة، باب من لم يقبل الهدية لعله رقم ٢٥٩٧، وكذا في (٧٢/١) كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد رقم ٩٢٥، وفي (٥٥٤/١) كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ رقم ٦٦٣٦، وكذا في (٥٩٨/١) كتاب الأحكام، باب هدايا العمال رقم ٧١٧٤، ومسلم في صحيحه (١٠٠٧/١) كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال رقم ٤٧٣٨، وأبوداود في سننه (١٤٤٣/١) كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في هدايا العمال رقم ٢٩٤٦ من طريق الزهري.

وأخرجه البخاري - أيضاً - في صحيحه (١١٨/١) كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِمْ﴾ ومحاسبة المصدقين مع الإمام رقم ١٥٠٠، وفي (٥٨٢/١) كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدي له رقم ٦٩٧٩، وفي كتاب الأحكام (٦٠٠/١) باب محاسبة الإمام عماله رقم ٧١٧٩، من طريق هشام بن عروة.

وأخرجه مسلم في الصحيح (١٠٠٧/١) كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال رقم ٤٧٤٢ من طريق عبدالله بن ذكوان.

ثلاثتهم (الزهري، وهشام بن عروة، وعبدالله بن ذكوان)، عن عروة بن الزبير، عن أبي حميد الساعدي به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - إقناع المخطئ بمخطئه:

إن النبي ﷺ عاب على ابن اللثبية السلوك الذي صدر منه من قبوله الهدية التي أهديت إليه، وأراد أن يقنعه بمخطئه قائلاً: "هلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك" ليستنتج هو بنفسه السبب من وراء المنع؛ لأنه لو أهديت له في تلك الحالة لم تكره له؛ لأنها تكون حين ذاك في غير ريبة.

وإنما أهديت له الهدايا من الناس لكونه عاملاً عليها، فصحح النبي ﷺ ما أخطأ في تصوره ظناً منه أنه إنما يهدى له لشخصه، وبين له أن الحقوق التي عمل لأجلها هي السبب في الإهداء، وأنه لو قام في منزله لم يهد له شيء، ولذلك لا ينبغي أن يستحلها بمجرد، كونها وصلت إليه على طريق الهدية، فطريقته ﷺ في الإنكار تجعل المخطئ على بينة من أمره، فيحكم عقله، ويقتنع بسبب الإنكار.

٢ - استخدام أسلوب التعريض:

يحسن - دائماً - أن يكون تصحيح الأخطاء بأسلوب التعريض لا التصريح، وبالتعميم لا التخصيص، بحيث يدرك المخطئ أنه المقصود من الكلام دون إحراجه أمام الآخرين. ^(١) وهذا ما فعله النبي ﷺ في هذه الحادثة، حيث قال: "ما بال العامل نبعثه على عمل فيقول" ^(٢) أو قال: "ما لي أبعث أقواماً على الصدقات؟" ^(٣).

(١) وهذا فيما إذا كان التعريض ينفع ويكفي في إيقاف الخطأ.

(٢) هي رواية الباب المذكورة، وسبق تخريجها.

(٣) وهي في مسند أبي عوانة (٣٩٤/٤) رقم ٧٠٦٩.

فلم يصرح باسم المخطئ ولم يفصح عنه، مع أن كثيراً من الصحابة قد لا يخفى عليهم من هو الفاعل، ولكنه لما كان قصده الفعل المذموم، وبيان ضرره، وسوء عاقبته شهر بالفعل دون الفاعل؛ إذ ليست هناك مصلحة تُرجى من ذكر اسم الفاعل، ولهذا المعنى أشار ابن حجر بقوله: "وفيه أن من رأى متأولاً أخطأ في تأويل يضر من أخذ به أن يشهر بالقول للناس، ويبين خطأه ليحذر من الاغترار به".^(١)

وعلى هذه الطريقة يجب أن يسير المربي والمعلم، وكذا الداعية إلى الله في علاج الأخطاء، بأن يشهر بالخطأ نفسه، ويحذر منه على الملأ، ويتعد عن التصريح بالأسماء على المنابر وأمام العامة، فلا فائدة تُرجى من وراء ذلك، بل على العكس إن هذه الطريقة توجد في النفس الكراهية والأحقاد، وتولد في نفس المخطئ الإصرار على الذنب والتمادي فيه؛ انتصاراً لنفسه من هذا التشهير والإعلان، وهذا بخلاف ما إذا كان المخطئ متعمداً للخطأ، مجاهراً بمعصيته أو ببدعته، فلا بأس أن يشهر به عند الناس حتى تعرف طريقته.

وقد شهر أهل العلم بالمبتدعين والملحدین ممن اشتهر أمرهم واتضح خطرهم، فقد قال ابن المبارك في الجهم بن صفوان فاضحاً أمره: "هذا المجرم الذي قاد الأمة إلى الهاوية وابتدع بدعة في الدين عجت لدجال دعا الناس إلى النار"^(٢)، فمثل هذا وغيره يشهر بهم وبفعلهم. أما الذين يُستتر على أسمائهم فهم أناس أرادوا الخير فأخطأوا وزلت أقدامهم، فهؤلاء لا ينبغي أن تذكر أعيانهم أمام الناس، بل يُفعل بهم فعل النبي محمد ﷺ مع صحابته، وطريقته مع المخطئ منهم.^(٣)

٣- محاسبة المخطئ:

إن محاسبة المربي أو القائد لمن هم تحت يده إذا قصرُوا في عملهم، أو تجاوزوا حدود صلاحيتهم والإشراف الدقيق عليهم، ومعرفة ما قبضوا وما صرفوا من أهم الأمور التي تؤكد نجاحه حتى لا تعم الفوضى في إدارته، وهذا كان من أهم الأسباب المهمة في نجاح

(١) انظر: فتح الباري (٢٠٨/١٣)، وفيض القدير (١٧٣/٢).

(٢) ثلاثون ورقة في فن الدعوة، للشيخ عايض القرني ص ١٦.

(٣) انظر: المعلم الأول، لفؤاد شلهوب ص ٥٩، والرسول والعلم، يوسف القرضاوي ص ١٢٢.

الإدارة الإسلامية، في عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين من بعده، ثم من سلك سبيلهم في ذلك.

والتأمل في أحوال ولاية الأمر الذي يباشرون الأعمال، ويشرفون عليها بالمحاسبة يجد النجاح حليفهم في إدارتهم، كما أن البعيدين عن مباشرة العمل أو عن الإشراف والمحاسبة الدائمة، مألهم إلى الفشل الذريع في إدارتهم، وهذا شامل للإدارات الكبيرة والصغيرة. (١)

٤- استجاب خطبة الناس حين المهمات ووقوع الأخطاء العظيمة:

وذلك لبيان مدى خطورتها وأثرها في الفرد حين يستمر عليها ففي قوله ﷺ: اللهم هل بلغت؟ هو إشعار بعظم هذا الأمر، وأنه لا عذر فيه للمخطئ بعد البلاغ وهي رسالة منه ﷺ في هذا الأمر بعينه يقول له فيها: "قد وصلك البلاغ فلا تأتي يوم القيامة تطلب شفاعه" (٢) ولا مغفرة، لا أملك لك شيئاً وقد حذرتك في الدنيا" ففيه نوع من البراءة منه على سبيل التغليظ لترك هذا الفعل.

٥- إبراز الوعيد على فعل الخطأ:

إن إظهار العقوبة لمرتكب الخطأ، وتصويرها أمام ناظريه بحيث تبقى عالقة في ذهنه لا تنفك عنه، يراها كل ما أراد أن يُقدم على فعل الخطأ، هو من الأمور المهمة التي تسهم في علاج خطئه وتجعله يلزم جادة الصواب، وإن كان الرسول ﷺ لم يواجه المخطئ بعقوبته شخصياً، لكنه بين بشكل عام أن الغال للغنيمة أو ما سواها؛ مما يدخل تحت مسمى الغلول كهدايا العمال وغيرها، يأتي يوم القيامة حاملاً غنيمته على رقبته، وهي تصدر ذلك الصوت الشديد، فأراد أن يصور له فضيحة الحامل على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، إما "لأنه" (٣) يأخذها منهم باسم الهدية ليسامحهم في بقية ما يأخذ منهم، فهي خيانة للطائفتين أو لأجل مجرد ولايته والتصنع إليه بما يُهدى، فهي خيانة لأمانة الله وكله غلول".

(١) انظر: كتاب الكفاءة الإدارية، لعبدالله قادري ص ١٢٨ بتصرف.

(٢) قد يكون هذا أولاً غضباً عليه، ثم يشفع في جميع الموحدنين، قاله النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢١٧/١٢).

(٣) من هنا يبدأ كلام القاضي عياض في إكمال المعلم (٣٣٦/٦).

٦-الصراحة وسيلة تربوية نافعة:

"الصراحة تختصر الوقت، وتوفر الجهد، وتبين المقصود بأيسر طريق، لكنها تكون فيما يناسب من الأشخاص والأحوال، وتزداد أهميتها في حق المخطئ إذا كان الخطأ يؤثر في دينه".^(١)

وتتضح في هذا الحديث عند قوله ﷺ للواقع في الخطأ: "هلا جلست في بيت أبيك وأملك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً"، ويجمع بين هذه الوسيلة وبين حديث الباب وما فيه من أهمية التلميح وأثره الإيجابي على المخطئ، أن النبي ﷺ واجهه بالخطأ وجهاً لوجه، ثم لما أراد أن يبين هذا الخطأ للناس ويحذر منه، لمح إليه على المنبر مراعاة لشعور المخطئ واكتفاء بما وجهه إليه.

(١) انظر: أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية، ليوسف الخاطر ص ٤٨، والأساليب النبوية في التعامل مع الأخطاء، محمد المنجد ص ٩٢.

٢/١١ - عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فَنَزَرَهُ عَنْهُ قَوْمٌ، فَلَبَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَنْتَزَهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٥/٦) رقم ٤٢٢٢٦، والإمام البخاري في صحيحه (٥١٥/١) كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب رقم ٦١٠١، وكذا في (٦٠٨/١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع رقم ٧٣٠١، وكذا مسلم في الصحيح (١٠١٩/١) كتاب الفضائل، باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته رقم ٦١٠٩، جميعهم من طريق سليمان بن مهران، عن مسلم، عن مسروق، عنها رضي الله عنها به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - الإنكار بأسلوب التعميم:

استنكر الرسول ﷺ فعل من تتره عما صنع، وعبر عن هذا الإنكار بأسلوب التعريض كعاداته ﷺ من عدم مخاطبة من صدر منه هفوة وبلغت إليه، فإنه يعمم الخطاب ولا يخص، لئلا يلحقه في ذلك ما ييغضبه بل اكتفى بقوله: "ما بال رجال؟" ولم يقل ما بالكَ يا فلان؟ على المواجهة، ولهذا بوب البخاري لهذا الباب قائلاً: باب من لم يواجه الناس بالعتاب، وإنما ^(١) كان ﷺ لا يواجه الناس بالعتاب لخاصة نفسه كالصبر على جهل الجاهل، وجفاء الأعرابي ألا ترى أنه ترك الذي جذب البردة من عنقه حتى أثار جذبته

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٧٩/٩).

فيه^(١)؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه ﷺ، وإن عاتب لا يعين من أراد به، ولا يقرعه من بين الناس، بل يعمم ويستتر، وهذا من تمام رفقه بأمته ﷺ.

٢- إظهار الغضب وعدم الرضا:

على المربي أن يغضب عند مخالفة الأمر الشرعي، وتكون له علامات يُعرف بها غضبه من التعبُّيس وعدم الانبساط، ولهذا قال الراوي: "فغضب حتى بان الغضب في وجهه"^(٢) (٣). ومما يؤكد أهمية هذا الأمر وعظمته من السنة الكريمة ما ورد عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله أوحى إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها، قال فقال: يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين، قال فقال: اقلبها عليهم فإن وجهه لم يتمر في ساعة قط".^(٤) فإنه استحق ما ورد من العذاب؛ لأن وجهه لم يحمر قط من أجل حد من حدود الله، أو من أجل حرمان الله ﷻ. إن هذا التمر الذي يفتقده هذا العبد الصالح في هذه القرية الفاسدة هو الذي يمنع العذاب عن الإنسان، وسيأتي بيان ذلك في مباحث مقبلة.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٣/٣)، والبخاري في الصحيح (٢١٨٨/٥)، والإمام مسلم في صحيحه

(٢) (٧٣١/٢)، وابن ماجه في السنن (١١٧٧/٢) من طريق عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك.

(٣) هذه اللفظة أخرجه مسلم (١٠١٩/١) في كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله وخشيته رقم ٦١٠٩.

(٤) وسيأتي بيانه في المباحث التالية الخاصة بالغضب عند الخطأ.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٧/٦) رقم ٧٥٩٥.

٢/١٢ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤١/٣) رقم ١٣٥٥٨، والإمام مسلم في الصحيح (٩١٠/١) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المون بالصوم رقم ٣٤٠٣، والنسائي في المجتبى (٢٢٥٩/١) كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل رقم ٣٢١٩ من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني، وأخرجه البخاري في الصحيح (٤٣٨/١) كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) رقم ٥٠٦٣، وليس فيه ذكر الخطبة ولا التلميح بالفعل، عن طريق حميد الطويل، كلاهما (ثابت البناني، وحميد الطويل) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - التلميح للفعل:

قوله ﷺ: "ما بال أقوام" كعادته فلم يصرح بأسمائهم؛ لأن الغرض - كما تقدم - ليس هو التشهير بالمخطئ أو بصاحب الفعل المذموم، وإنما هو بيان ذلك الفعل المذموم أو القول المذموم والتحذير منه ^(١). قال النووي عند قوله: إن النبي ﷺ حمد الله - تعالى - وأثنى عليه فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا" هو موافق للمعروف من خطبه ﷺ في مثل هذا أنه إذا كره شيئاً فخطب له ذكر كراهيته ولا يعين فاعله، وهذا من عظيم خلقه

ﷺ، فإن المقصود من ذلك الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك، ولا يحصل توبيخ صاحبه على الملاء. ^(١)

٢- أن يتلمس المربي سبب الخطأ ليعالجه:

على المربي أن يكون يقظاً ومتنبهاً، فلا يسمح بأي تجاوزات قد تضر العقل والبدن، ملاحظاً سلوك أفراده، ومهتماً بأسباب المشكلة وبواعثها، فهؤلاء كان منشأ المشكلة لديهم أنهم بنو أمرهم على أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد من العبادة، فكان عندهم خلل في ذلك المفهوم، فلما عرف الرسول ﷺ منشأ المشكلة التي أوقعتهم في القول الخاطئ، من قول أحدهم إنه لن يفطر، والآخر لن يتزوج النساء، أعلمهم غير ذلك، وأنه أخشى لله واتقى من الذين يتشددون، وإنما كان ذلك منه ﷺ من الإنكار عليهم؛ لأن المشدد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد، فإنه أمكن لاستمراره في الطاعة، ومعلوم أن خير العمل ما داوم عليه صاحبه، لذا كان منهج الرسول ﷺ التوسط مع الدوام على العمل دون انقطاع.

٣- تصحيح المفهوم الخاطئ للمخطئ خاصة وللأمة عامة:

يحرص الرسول ﷺ على تصحيح المفاهيم الخاطئة؛ لأنها السبب في وقوع الأفراد في الأخطاء، فالمخطئون في هذا الحديث فهموا أن العبادة إنما هي است فراغ الوسع في الصلاة والصوم، والانتقطاع عن الملاذ والطيب من الطعام والنوم، والتفرغ لاستغراق الأزمان بالعبادات، فصحح لهم هذا المفهوم وبيّن لهم أن طريق العبادة هو ما أنا عليه. ^(٢)

٤- التحذير من فعل الخطأ:

في قوله ﷺ: "فمن رغب عن سنتي فليس مني". تحذير من فعل الخطأ، وهو التشديد والمبالغة في العبادة، وهذا التحذير من الأمور المهمة التي تسهم في معالجة الخطأ، وهو كذلك أدعى إلى ترك السلوك السيئ، فمن ترك طريقته وهي الخنيفة السمحة، فيفطر ليتقوى على الصيام، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس،

(١) شرح النووي على مسلم (١٧٦/٩) رقم ١٤٠١، وانظر: الدياج على مسلم (٩/٤).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٨٦/٤).

وتكثير النسل، وأخذ بطريقة غيره وهو يلح ﷺ إلى طريقة الرهبانية، فإنهم هم الذين

ابتدعوا التشديد في الدين، وقد ذكرهم الله في القرآن وعابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه قَالَ

تَعَالَى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ غَرَوَاهَا

رِعَايَاهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الحديد: ٢٧).

فمن التزم غير طريقة محمد ﷺ فيما سبق فليس منه ﷺ قال النووي: "من تركها إعراضاً

عنها غير معتقد لها على ما هي عليه، وأما من ترك النكاح على الصفة التي يستحب له

تركه، أو ترك النوم على الفراش لعجزه عنه أو لاشتغاله بعبادة مأذون فيها أو نحو ذلك،

فلا يتناوله النهي والذم".

٥ - مراعاة الطبيعة البشرية في التوجيهات النبوية:

إن التربية النبوية تدعو - دائماً - إلى مراعاة حدود القدرة الإنسانية، ومدى حاجة هذا

الكائن إلى الراحة والترويح عن نفسه، حتى يمكن له أن يسترد طاقته ويستجمع قواه،

فيعاود نشاطه للعبادة، وكيف أُنْهَما أساس مهم ومؤثر في حياته ونمو بدنه.

ولا تقبل هذه التربية أن يخرج هذا الإنسان عن نهج الفطرة السليمة، فالجسم من فطرته

الطعام ولكن ليس الكثير، ومن فطرته النوم بعد الجهد والتعب، وفي داخله تكمن غريزة

ميله إلى الزواج، ومتى ما خالف نهج فطرته عرض حياته للإرهاق والتلف؛ لذا كان

الرسول ﷺ حين يبايع على السمع والطاعة يقيد ذلك بالاستطاعة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما

قال: "كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعتم".^(١)

وهكذا تكون حياة الإنسان دورة متكاملة من العمل والراحة، والحركة والسكون،

والنشاط والاستحمام.^(٢)

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٩٨٢/٢)، والإمام أحمد في المسند (١٣٩/٢)، البخاري في الصحيح

(٢٦٣٣/٦)، وابن ماجه في السنن (٩٥٨/٢)، والترمذي في سننه (١٥٠/٤)، والنسائي في المجتبى (١٥٢/٧)

من طريق عبدالله بن دينار عن ابن عمر به.

(٢) انظر: أصول التربية، للحازمي ص ٢٧٧.

وأخيراً نقول: إن الكناية والتعريض والتلميح بالشيء أسلوب من أساليب القرآن الكريم؛ ولذلك ترى في كثير من الآيات القرآنية التعريض بأهل النفاق وبغيرهم، ومن ذلك كثير

ورد في سورة التوبة فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ

أُذُنٌ ۖ﴾ (التوبة: ٦١) ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا نَفْتَنِي ۖ آلَا فِي

الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٤٩).

﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥)

﴿(التوبة: ٧٥)، فما زال الله يقول ومنهم ومنهم ويذكر أوصافهم دون ذكر أسمائهم، ولم يعين أشخاصهم، وما ذلك إلا للستر عليهم، وغيرها من الفوائد التي ينتج منها هذا الأسلوب. (١)

وقد تركت بعض الأحاديث التي اشتملت على التلميح وذكرت بلفظ: "ما بال" اكتفاءً بما سبق من الأحاديث فمن ذلك مثلاً:

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنِّهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَامَ أَيْضًا، حَتَّى كُنَّا رَهْطًا، فَلَمَّا حَسَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّا خَلْفُهُ، جَعَلَ يَتَحَوَّزُ فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ دَخَلَ رَحْلَهُ فَصَلَّى صَلَاةً لَا يُصَلِّيُهَا عِنْدَنَا - قَالَ - قُلْنَا لَهُ، حِينَ أَصْبَحْنَا: أَطُنْتَ لَنَا اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: فَقَالَ: "نَعَمْ ذَاكَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الَّذِي صَنَعْتُ". قَالَ: فَأَخَذَ يُوَاصِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، فَأَخَذَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُوَاصِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا بَالُ رِجَالٍ يُوَاصِلُونَ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي، أَمَا وَاللَّهِ! لَوْ تَمَادَّ لِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وَصَلَاً، يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ نَعْمَتَهُمْ". (٢)

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى نُحَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ؟ أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيَتَنَخَّعَ فِي

(١) راجع تفسير السعدي في سورة التوبة.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح (٧٧٥/٢).

تصحيح الخطأ بالقول

وَجْهِهِ؟ فَإِذَا تَنَحَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَحَّعْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ قَدَمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا". (١)

والأحاديث في لفظ (ما بال) كثيرة قد ذكرنا ما فيه الكفاية بإذن الله، ومن الشواهد التي تدل على التلميح - أيضاً - أحاديث أخرى قد لا يدخل فيها كلمة: (ما بال أقوام) أو (ما بال رجال)، ولكنها متضمنة معنى التلميح من ذلك:

- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاسْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى اتَّفَخَ وَجْهَهُ وَتَغَيَّرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ"، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: أَتَرَى بِي بَأْسٌ؟ أَمْحَنُونَ أَنَا؟ اذْهَبْ. (٢)

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَلَمًا يُوَاجِهُ رَجُلًا فِي وَجْهِهِ بَشْيءٌ يَكْرَهُهُ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: "لَوْ أَمَرْتُمْ هَذَا أَنْ يَغْسِلَ هَذَا عَنْهُ". (٣)

- عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا إِلَى أَنْ قَالَ ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَغْدِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ". (٤)

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح (٣٩٩/١)، وسيأتي بغير هذا اللفظ في مبحث البديل.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٢٢٨٤/٥).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (٨١/٤) كتاب الترجل، باب في الخلق للرجال، وأخرجه أيضاً (٢٥٠/٤) كتاب الأدب، باب في حسن العشرة.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي (١٥٢٠/٤) باب حديث الإفك، ومسلم في الصحيح

(٢١٣٤/٤) كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعْنًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: "أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسْكِنُ بِهِ شَعْرَهُ؟" وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ: "أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ؟" (١)

- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ شَيْبَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَلِيٍّ بْنِ شَيْبَانَ وَكَانَ مِنَ الْوَفْدِ قَالَ: خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَايَعَنَاهُ وَصَلَيْنَا خَلْفَهُ، فَلَمَحَ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ - يَعْنِي صَلَاتَهُ - فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ" (٢)

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٥١/٤) كتاب اللباس، باب غسل الثوب والخلقان، وأخرجه النسائي في المجتبى (١٨٣/٨) كتاب الزينة، باب تسكين الشعر .

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن (٢٨٢/١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الركوع في الصلاة .

وفيما يلي أهم النتائج التي خلص إليها هذا المبحث:

- الأصل تحريم أعراض المسلمين، وعدم التعرض لهم بنقد أو جرح إلا ما أبيح من ذلك مما له سبب شرعي.
- الستر مطلب شرعي في حق المسلم الذي يظهر منه الصلاح، ولم يجاهر بمعصيته.
- معالجة خطأ المتعلم بالتعريض يحفظ درجة شخصية المتعلم عند أصحابه، فلا يقل شأنه ومرتبته بينهم، وهذه فائدة تربوية تُفيد بعدم إصابة المتعلم بالإحباط، وبالتالي يكون لديه الاستعداد النفسي والفكري لتصحيح خطئه.
- هذا الأسلوب يؤدي إلى زيادة روابط الثقة والمحبة بين المعلم والمتعلم.
- إنه يصحح أخطاء تربوية موجودة في أناس آخرين فيتهيئون لإصلاح سلوكياتهم أيضاً.
- يفقد التلميح وظيفته حينما يكون تكراراً - دائماً - للأخطاء، وتذكيراً لها في كل وقت وفي كل حين، وفي الحقيقة إن هذا شأن كثير من الآباء حين يلمحون لأبنائهم تلميحات كثيرة لا عن أخطائهم فحسب، وإنما بما هو عند غيرهم وليس عندهم مما قد يحز في نفس الأبناء، فأولاد هؤلاء متفوقون، وأبناء أولئك مؤدبون وغيرها من التلميحات التي قد تُشعر الطفل أو الابن في أي مرحلة كانت أن والديه غير مهتمين به مهما حصل وقام بجهد، ولا يشعر مع هذه الطريقة بأي رغبة في تغيير السلوك السيئ إلى الحسن، وبالتالي بقاء ما نُهدف إلى تغييره على حاله.

المبحث الثالث: تصحيح التصور للمخطئ

التربية في مراحلها الأولى هي مران وتدريب سلوكي عملي يتلقاه الفرد من صغره عن طريق الحب من أبويه، فيكتسب منهما السلوك والأخلاق والعادات، وطريقة التعامل مع الآخرين؛ بل - أحياناً - يكتسب الابن حتى طريقة تفكير والديه؛ لذا فإن السلوك العائلي يؤثر تأثيراً بالغاً في الإنسان من حيث تكوين عقليته، وثقافته، وتصرفاته، ومع هذا قد ينشأ فرد أو أفراد تنشئة خاطئة تولد في نفسه مفاهيم سلبية وقيماً منحرفة، أو عادات سيئة، فما موقف التربية النبوية في مثل هذه المواقف؟

لا شك أن هذه المواقف نتيجة إهمال وانحراف تربوي سابق، ولكن هل يجوز أن تقف التربية موقفاً سلبياً تنحى باللائمة على من سبق أو أن ترضى بالواقع المنحرف كما هو؟ إن التربية الإيجابية ذات عاملين مهمين، هي تعمل أولاً: في تربية وقائية إنشائية، تبني النفس وهي ثانياً: توجه المواهب في المواقف الإيجابية، والتربية الإيجابية هي - أيضاً - ذات تربية علاجية حين تعمل على إعادة بناء النفس، وإعادة التعليم السليم لمواجهة مواقف الحياة بطرق سليمة وصحيحة، والرسول ﷺ يقدم أروع نماذج التوجيه العملي السليم في الميدان التربوي، وذلك حين يقوم بإصلاح مفاهيم خاطئة في المجال النفسي والاجتماعي، وتنضح صورها في مثل هذه الأحاديث التالية:

١- عَنْ سَهْلٍ، قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟". قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: "مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟" قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَلَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَلَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَلَا يُسْتَمَعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا".

٢- عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ".

٣- عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بَنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: وَلَدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنَّهَا لَا يَرْمِي بِهَا لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا، تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يُلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنَّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمُونَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ".

١٣/٣- عَنْ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟". قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: "مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟". قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ إِلَّا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ إِلَّا يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ إِلَّا يُسْتَمَعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد (٥، ١٥٧) رقم ١٤٣٣، والبخاري في صحيحه (١، ٤٤٠) كتاب النكاح، باب الأكلء في الدين رقم ٥٠٩١، وأخرجه - أيضاً - في (١/٥٤٢) كتاب الرقاق، باب فضل الفقر رقم ٦٤٤٧، وأخرجه ابن ماجه (١، ٢٧٢٧) كتاب الزهد، باب فضل الفقر رقم ٤١٢٠، من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه، عن سهل بن سعد الساعدي به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- استخدام الرسول ﷺ لأسلوب المقارنة:

قد يسأم الناس إذا اقتصر المربي في نقده للأخطاء وتقوم السلوكيات على مجرد الطرح النظري فقط، لكن قلما يفشل في جذب انتباههم والتأثير في نفوسهم، إذا نوع في أساليب المعالجة للخطأ، وعرض بعض المشاهد وقارن بينها، وذلك لما لهذا الأسلوب من أثر في نفوس السامعين؛ إذ فيه الحث على الاقتداء بطريقة غير مباشرة.

ولقد استخدم الرسول ﷺ في هذا الحديث أسلوب المقارنة والمقايسة بين شيئين متضادين، أحدهما تمثل فيه صورة الخير للترغيب فيها، والآخر صورة مغايرة لتنفير المستمع منها، وكل هذا بقصد استثارة العقل للتفكير في الأمرين، وبالتالي استنتاج المطلوب، والقرآن الكريم مليء بعقد المقارنات بين الأشياء بين المحسن والمسيء، بين الذاكر والغافل، وبين

النور والظلمة، وغيرها من المقارنات التي تثير في النفس البشرية حب التغيير للأفضل تأثراً بالمقارنة، ومن قبيل هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢)، وقال تعالى: ﴿مَن أَمَنَ كَانَ عَلَىٰ رِزْقٍ مِّن رَّبِّهِ كَنَزِيرٍ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَأَلْبَسُوا لَهُمُ الْهَوَاءَ﴾ (١٤). (حمد: ١٤).

وهكذا كان أسلوب الرسول ﷺ في التربية يقارن بين شيئين اتفقا مظهرًا، واختلفا مخبرًا، ليستخلص منهما ما يريد من معانٍ يضعها في أعماق النفوس الإنسانية، فلاحظ في هذا الحديث "أنه ﷺ لم يختَر للمقارنة رجلين متماثلين في المظهر فقراً أو غنى، ولو أنه فعل وقارن بين فقيرين ثم حكم بأفضلية أحدهما على الآخر، لكانت المقارنة كافية لتثبيت المعنى، وكذلك لو قارن بين غنيين، ولكنه ﷺ قارن بين غني خبث باطنه وحسن مظهره، وبين فقير طاب باطنه وهان مظهره، وتلك اللغات النبوية الدقيقة التي من شأنها أن تُظهر لك المفارقة الشاسعة بين هذين الطرفين".^(١)

٢- لفت الانتباه مطلب مهم في عملية التعليم:

ينبغي لمن يريد أن يلقي كلاماً أو يقوم سلوكاً، أن يقدم له ما يوجب الانتباه لدى السامع، إما بالتهديد له أو طرح الأسئلة، أو ضرب الأمثلة التطبيقية التي تهيئ ذهن السامع لما يأتي بعده وتجعله أكثر تقبلاً وانسجماً.

وإثارة الانتباه إلى الموضوع هي من أهم الأمور في عملية التعليم، وإنما تكمن مهارة المعلم وبراعته في خلق الإثارة العقلية والفكرية، ذلك لأن دخول المربي في الموضوع دون مقدمات ومهيئات، يثير مقت الطالب، ويؤدي إلى انصرافه وسلبيته، ويغلق على المربي باب التفاعل والانسجام من بداية العملية التعليمية، كما أنه يشبط همة المتربي ويجعل استيعابه وإقباله محدودين.

(١) تذكرة الدعاة، للبهي الخولي ص ١٢٣.

ومحمد ﷺ هو أول معلم في البشرية كان له السبق في لفت الانتباه، "وتوجيه الذهن إلى الشيء المراد" (١)، ويتحقق ذلك في قوله ﷺ للصحابه "ما تقولون في هذا الرجل؟"، لفتاً منه لانتباههم إليه.

٣- تصحيح المفاهيم الخاطئة للناس:

لقد حرص الرسول ﷺ - دائماً - على تصحيح مفاهيم خاطئة يقع فيها بعض الناس، من ذلك إصلاح المعايير الاجتماعية المجحفة لدى بعض الناس، الذين يرفعون من يستحق الخفض، ويضعون من يستحق الإجلال فيكرم الرجل لماله ولحسبه، أو لنسبه وجاهه، وبقدر ما عنده من ذلك، بقدر ما يكون له من الإجلال والتعظيم، فصحيح لهم النبي ﷺ هذا المفهوم في كلمة بسيطة لكنها تحمل معاني كثيرة، "هذا خير من ملء الأرض مثل هذا".

وبين لهم أن الإسلام يضرب بهذه المقاييس، والمعايير عرض الحائط، وأن نظرتهم إلى الناس ليست نظرة دونية، وميزاتها ليس ميزاناً سطحياً، فالناس في نظره لا يميزهم جاه ولا سلطان ولا ثروة، وإنما يتميزون ويتفاضلون بشيء واحد هو التقوى، والتقوى ليست لها معالم ظاهرة ولكنها بما وقر في القلب.

"فكم" (٢) من فقير في ماله أو ضعيف أو حتى ناقص في بعض حواسه، يحمل بين جنبه قلباً ذكياً، وعقلاً منتجاً، ونفساً راضية مرضية.

لقد أراد الرسول ﷺ أن يشير بيديه إلى بعض الموازين الاجتماعية والنفسية الخاطئة لدى بعض الناس، ثم أراد أن يصحح تلك الموازين، ويضع مكانها معايير السلامة النفسية والخلقية والروحية.

وهكذا فإن مقياس السنة ليس مثل مقاييس البشر، وهذا المعنى أراد الرسول ﷺ أن يزرعه في نفوس أصحابه، وأن السيادة بمجرد الدنيا لا أثر لها، وإنما الاعتبار في ذلك بالآخرة،

(١) هذا هو تعريف الانتباه انظر: أصول علم النفس العام لعبد الحميد الهاشمي ص ٢٠٦، وكذا أصول علم النفس لأحمد عزت ص ٤٠.

(٢) من هنا أنقل من الرسول العربي المربي، لعبد الحميد الهاشمي ص ١٨٠.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨)

(الأعراف: ٨)، لكن ليس في هذا تفضيل الفقير على الغني؛ إذ لا يلزم من ثبوت فضيلة الفقر أفضليته، وكذلك لا يلزم من ثبوت أفضلية فقير على غني أفضلية كل فقير على كل غني. (١)

٤ - يتعين على المربي معرفة معادن الناس:

في هذا الحديث ما يدل على أن الرسول ﷺ صنف الناس، فمنهم النفيس ومنهم الدنيء، وذلك حسبما معهم من التقوى، فتبين بهذا التصنيف جواز معرفة معادن الناس وأنه ليس من فضول المعرفة، بل إنه يتعين على المربين والمصلحين والدعاة معرفتها والاهتمام بها؛ لأنها من المعاني المطلوبة شرعاً إذا كان المقصد من معرفتها الإصلاح والدعوة.

وكيف يصلح ويوجه من يجهل مثل ذلك، ولقد كان الصحابة يسألون الرسول ﷺ عن ذلك فعن أبي هريرة ؓ أنه قيل له: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك؟ قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا ليس عن هذا نسألك؟ قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. (٢)

إنه لحري بالمربين والمصلحين أن يعنوا بدعوة من هم من خير معادن الناس، ومن تسموا لديهم صفات الأكارم، فحين يهتدي هؤلاء يؤدون ما لا يؤديه غيرهم.

٥ - شخصية المؤمن ينبغي أن تكون متكاملة في الظاهر والباطن:

قيل إن الرجل الذي سألهم النبي ﷺ عن رأيهم فيه هو جعيل بن سراقه من أصحابه من خيار عباد الله الصالحين، لكنه كان فقيراً من أهل الصفة، ومع هذا نال ثناء النبي ﷺ، وتفضيله بالخيرية من الآخر، لكن ليس في هذا معنى لإهمال الظاهر، إنما يرفض الاعتداد به

(١) انظر: فتح الباري (٣٣٣/١١) بتصرف.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٣١/٢)، والإمام البخاري في الصحيح (١٢٢٤/٣)، والإمام مسلم في الصحيح (١٨٤٦/٤) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقري عن أبيه عن أبي هريرة به.

تصحيح الخطأ بالقول

وجعله الميزان الذي يوزن به الناس، فالمسلم لا بد أن يكون حسن الهدنام في الظاهر، نقى القلب في الباطن بحيث تتكامل شخصيته بشقيها الجوهر والمظهر^(١).

٦- تعويد الرسول ﷺ الفرد على إبداء الرأي في الأمور:

ويتضح ذلك في قوله ﷺ: "ما رأيك في هذا؟"^(٢)، وهذا السؤال منه هو من نوع الأسئلة مفتوحة الإجابة، حتى تترك للمسؤول فرصة للتعبير عن رأيه بحرية وطلاقة، وفي هذا ما يدل على احترامه ﷺ آراء الناس، والإصغاء إليها دون احتقار منه ﷺ لهذه الأفكار.

وعلى هذا يجب على الآباء والأمهات احترام آراء أبنائهم وبناتهم وسماعها منهم؛ ليتعلموا أسلوب النقاش الصحيح والمحاورة الصريحة؛ إذ إن الإنصات إلى الأبناء يُعد من أبرز مقومات الحوار الفعّال معهم، وبانعدامه ينعدم الحوار، فبعض الآباء والأمهات يظنون أنهم يملكون الحق الأوحد في إبداء الرأي، وإلزام الجميع به؛ ظناً منهم أن الأبناء لا يملكون القدرة على اتخاذ القرارات الصائبة، مما يُحدث فجوة كبيرة بين الآباء وأبنائهم.

ومهما كان دافع الوالدين في ذلك، إلا أنه في الواقع لن يستطيع أحد أن يمنح أبنائه أفكاره؛ لأنهم لديهم أفكارهم وآراءهم الخاصة بهم، ومن حقهم أن يفتحوا قلوبهم وعقولهم ويفصحوا عما في داخلها، ومن حقهم أن يفكروا في الطريقة التي يرونها مناسبة لهم.

وكم من شاب أو فتاة خسر الكثير من رغباته المتعلقة بمستقبله الدراسي، إما حول التخصص الذي يريده، أو حول المكان الذي يرغب أن يطلب علمه فيه، من جراء استبداد الوالدين بالرأي نيابة عن أبنائهم، وقل مثل ذلك في أمور كثيرة كاختيار الزوجة وغيره، وعلى الوالدين أن يتتبعوا طريقة محمد ﷺ خير الناس، ويسلكوا مسلكه في التربية الصحيحة.

(١) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، محمد الأعظمي ص ١٦ بتصرف.

(٢) هي الرواية التي أخرجه ابن ماجه هذا اللفظ، (٢٧٢٧/١) كتاب الزهد، باب فضل الفقر رقم ٤١٢٠.

تصحيح الخطأ بالقول

٣/١٤ - عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٩/٤)، وأخرجه البخاري في الصحيح (٣٥٤/١)، كتاب الكسوف باب الصلاة في كسوف الشمس، رقم ١٠٤٤، وأخرجه في موضع آخر أيضاً (٣٦٠/١) كتاب الكسوف باب الدعاء بالكسوف، رقم ١٠٦٠، وأخرجه مسلم (٦٣٠/١) كتاب الكسوف، باب ذكر الكسوف الصلاة جامعة، رقم ٩١٥ من طريق زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وله شواهد في الصحيحين والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وجابر، وأبي بكرة، وابن مسعود، وغيرهم رضي الله عنهم.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - حرص النبي ﷺ على تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الناس:

لقد حرص النبي ﷺ كما في الحديث على تصحيح الأخطاء التي تقع جراء الفهم الخاطئ للأمور، وذلك ظهر بنفي العلاقة بين كسوف الشمس وموت الأشخاص؛ لأن الناس حين مات إبراهيم ابن النبي ﷺ وكسفت الشمس في اليوم الذي مات فيه ظنوا ذلك. وقد كانوا يعتقدون في الجاهلية أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر، فأعلمهم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خلقتان مسخران، ليس لهما سلطان في غيرهما، ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما، وأن هذه الأجرام السماوية ليس لها أدنى تعلق بموت الناس، ولا برزقهم أو بعواطفهم وطبائعهم مما يظنه حتى بعض الناس اليوم، فبدد رضي الله عنه بهذا التصحيح جميع الأوهام، والخرافات المنتشرة في الجاهلية، ومن الأسباب التي أوقعتهم في هذا التصور الخاطئ غير تمسكهم بأفكارهم القديمة، ما ذكره

الشيخ عطية محمد سالم: "أن العرب كانت أول أمة عنيت بالفلك، وأول أمة برعت فيه، وأول أمة وضعت خرائط الأرض، وأول أمة بينت حدوث رقعة وتضاريس الكرة الأرضية من بحار وجبال، فالعرب كان لديهم علوم في الفلك ما سبقهم إليها أحد، فكانوا يعرفون متى تكسف الشمس ومتى لا تكسف، فاستغربوا كونها كسفت في غير وقتها".^(١)

وهذا في ظني سبب وجيه للوقوع في مثل هذا الخطأ وانصراف الذهن لمثل هذا التصور، فتغير وقت كسوفها عن اليوم المعتاد لها يوم الثامن والعشرين، أو التاسع والعشرين من الشهر، ووقوعها في يوم العاشر أو الرابع، لا يكاد يتفق مع كسوفها الذي اعتادوا عليه فقالوا إنما هو لأجل هذا الخطب العظيم، لكن النبي ﷺ أنكر عليهم الربط بين الأشياء بهذه الطريقة الخاطئة دون وجود أدنى علاقة.

قال شيخ الإسلام: "وقوله لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته رد لما كان قد توهمه بعض الناس من أن كسوف الشمس كان لأجل موت إبراهيم ابن النبي ﷺ، وكان قد مات وكسفت الشمس، فتوهم بعض الجهال من المسلمين أن الكسوف كان لأجل هذا، فبين لهم النبي ﷺ أن الكسوف لا يكون سببه موت أحد من أهل الأرض، ونفى بذلك أن يكون الكسوف معلولاً عن ذلك، وظنوا أن هذا من جنس اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ كما ثبت ذلك في الصحيح، فنفي ﷺ وبين أن ذلك من آيات الله التي يخوف بها عباده".^(٢)

ولم يكتفِ النبي ﷺ بتصحيح التصور الذي كان في أذهانهم فقط، بل زاد على ذلك، ودفع كل التصورات الأخرى التي قد تعلق في الأذهان حول ارتباط تلك الأجرام السماوية حتى بحياة أي إنسان؛ حيث قال ﷺ: "ولا لحياته". مبالغته منه ﷺ في نفى التصور، وإلا لم يقل أحد إنهما ينكسفان لحياة عظيم، أو شرير مثلاً أو ظالم، لكن قد يتصور إنسان أن يمرض عظيم مرضاً شديداً يقرب من الهلاك، فإذا شفي وعوفي قيل إنه حيا، فلذلك بالغ ﷺ في نفى ذلك.

(١) شرح بلوغ المرام (١٧/٣).

(٢) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٧١.

"وقد استشكلت هذه الزيادة؛ لأن السياق إنما ورد في حق من ظن أن ذلك لموت إبراهيم، ولم يذكروا الحياة والجواب: أن فائدة ذكر الحياة دفع توهم من يقول لا يلزم من كونه سبباً للفقد ألا يكون سبباً للإيجاد، فعمم الشارع النفي لدفع هذا التوهم".^(١) فلا الموت ولا الحياة إذن سببه الكسوف؛ بل سببه قدرة الله تعالى.

والنبي ﷺ حين يصحح مفاهيم الناس حول نفي ارتباط الكسوف بموت أحد، أو بحدوث ضرر في الأرض، هو - أيضاً - يصحح مفاهيم أخرى بطريق غير مباشر، ألا وهو فهم الناس قضية الربوبية والإلهوية التي يجب ألا تصرف إلا لله وحده، لحرصه ﷺ على عقائد الناس من أن تشوبها شائبة، أو نقص قد يدخل عليها جراء سوء المفاهيم، ويتضح هذا في قوله ﷺ: "آيتان من آيات الله" تأكيداً لهما أنهما مخلوقان يسيران وفق سنن يصرفها الله ﷻ، وانكسافهما لا يحتاج إلى أكثر من تذكر خالقهما، فهو وحده أهل التعظيم والتمجيد.

وفيه الرد على من زعم أن للكواكب تأثيراً في الأرض؛ لانتفاء ذلك عن الشمس والقمر، فكيف بمن دونهما؟ وبذلك يكون ﷺ قد عالج كل المفاهيم الخاطئة التي قد ترتبط بكسوف الشمس أو القمر، وليس فقط بموت إبراهيم، وليبين للناس استحقاق الله ﷻ التام للعبادة وحده دون ما سواه.

٢- الخطأ في ربط الأسباب بالمسببات خلل وانحراف في التفكير:

إن على الإنسان أن يتوسط في أمر الأسباب، فلا يغلو في إثباتها حتى يجعل ما ليس بسبب سبباً للشيء، فيكون كالعقلانيين ممن يغلون في الأسباب، ويربطون كل شيء بسبب ولو لم يكن سبب له، وهكذا ممن يجعلون للأجرام السماوية علاقة تأثير في الأرض، وعليه ألا يثبت من الأسباب إلا ما أثبتته الشرع الحكيم، ثم إذا ثبتت لا يعتمد عليها اعتماداً كلياً، بل يعتمد على مسببها ومقدرها وهو الله ﷻ، مع قيامه بالمشروع منها؛ لذا قال ﷺ: "إذا رأيتم فصلوا"؛ لأن الإنسان يفزع في تلك الحالة إلى الله ﷻ، ويبادر إلى المأمور من الدعاء والاستغفار لخالق تلك الأجرام.

(١) فتح الباري (٢/٥٢٨)، وعمدة القاري في شرح صحيح البخاري (٩/١١).

"فقد أمر ﷺ عند انعقاد أسباب الشر بما يدفع بموجها بمشيئة الله وقدرته، من الصلاة والدعاء والذكر والتوبة، فإن مثل هذه الأعمال تعارض الشر الذي انعقد بسببه، وهو كما لو جاء عدو، فإنه يدفع بالدعاء وفعل الخير وبالجهد له، وإذا هجم اليرد يدفع باتخاذ الدفء، فكذلك الأعمال الصالحة والدعاء، وهذا ما اتفقت عليه الملل"^(١) فربط الأسباب بالمسببات أمر لا مانع منه؛ لأن إنكاره لها قدح في الشرع؛ لكن الإنسان يربط الأسباب بالمسببات الصحيحة التي تتفق مع الشرع.

وكل انحراف في فهم الأمور وتصورها أو في المعتقد، أو السلوك وطريقة التفكير إنما سببه البعد عن منهج الله.

ذلك لأن العقل - فيما يظهر لي - كلما تشيع بالعلم النافع المستقى من الكتاب والسنة، كلما كانت تصوراته صحيحة لأنها نابعة منه، وكلما خف علمه وكان إلى الجهل أقرب، أو لم يحصن نفسه بالعلم أكثر وقع في أخطاء، منها ما يكون في التصورات والمفاهيم، ومنها ما يكون في التوقعات أو المعتقدات، أو حتى السلوكيات.

وأحياناً يقع الخطأ نتيجة إهمال التفكير دون إعمال وتفكير في الشيء قبل تصوره، والإسلام يريد من الإنسان أن يعمل ذهنه ويفكر في حدوث الأشياء وعلاقتها ببعض، فهذا الذي يميز الفكر السليم من غيره - في ظني - لأن الناس لا يختلفون في تصور وفهم الأشياء البديهية، بينما يتميزون في تلك الأمور التي تحتاج إلى ربط وتحليل واستنتاج، فهؤلاء الذين يربطون الكواكب بالأحداث الأرضية انخرقت بهم أفكارهم بعيداً عن القرآن والسنة، فلو تفكروا في الآيات لاستنبطوا منها ما يدل على أنها لا عمل لها في هذا الكون، وأنها ليست المدبرة له إنما هي كغيرها من المخلوقات التي تعبد الله ﷻ، وأنه يعترها النقص والتغير، ثم "لو سلمنا أن هذه الكواكب هي المدبرة لهذا الكون، لكان تدبيرها حال ظهورها فقط، أما حال أفلوها فينقطع تصرفها بالكلية، وهذا يناقض ربوبيتها؛ لأن الرب الذي يكون متصرفاً لهذا الكون يجب أن يكون قيوماً يقيم في جميع الأوقات،

(١) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٧١.

وجميع الأحوال كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِمِّي الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (٥٨) (الفرقان: ٥٨).

ولذا أشار الخليل عليه السلام عند حاجته قومه إلى هذا المعنى بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلٌ رَأَا

كُوكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦) (الأنعام: ٧٦). ^(١) وعلى هذا يجب أن يعود الإنسان عقله على التفكير السليم، ويستفيد مما منحه الله من طاقة عقلية، فيتفكر في الشيء قبل أن يتصوره.

٣- على المربي أن يصحح أخطاء الناس حتى ولو كان في أصعب المواقف:

فمع عظيم حزنه عليه السلام على فقد ابنة، وفوق كل جراحه في تلك اللحظات المؤلمة التي لا يعادها شيء؛ لأن الإنسان ما يجد في نفسه على أمر أشد من وجده على فقد ولده، ومع ذلك تسامى عليه السلام فوق كل هذا وصعد المنبر ليصحح خطأ سمعته أذناه، ولم يتوان للحظة أن يؤجل تلك المعالجة إلى أن ينتهي مما هو فيه، ولم يهمل تلك الشعيرة العظيمة؛ لأنه عليه السلام رأى أن الخطأ في المعتقد أو المتعلق بالشرك بالله هو أشد أنواع الأخطاء وأولها بالعناية وسرعة المباشرة.

ولم يرد عليه السلام فوات التصحيح، فاستغل الموقف للتعليم والتوجيه، وقام مسرعاً تدفعه عليه السلام الغيرة والخوف على جناب التوحيد العظيم، ليصحح للناس ما ينبغي أن يعتقدوه عند لحظة الكسوف، ولأن حبه عليه السلام لربه تعالى كان أعظم من حبه لابنه، لم يمنعه حزنه من إنكار المنكر، واستغلال الحدث للتربية والإصلاح، ولو أن كل مربي شعر بالمسؤولية التي عليه شعوراً حقيقياً تجاه من هم تحت يده بحيث يستغل فيها كل حدث، ويتنهمز معها جميع الفرص لتصحيح كل الأخطاء التي يراها دون إغضاء أو تجاهل، لقللت الأخطاء واتضحت التصورات.

٤- التوازن السلوكي في شخصية الرسول ﷺ المربي الأول:

(١) التنجيم والمنجمون، عبد المجيد الشعبي (١/١٨٧).

إن مما يلفت نظر الباحث ذلك التوازن الدقيق والتكامل في شخصية الرسول ﷺ، مما لو بحث عنه في شخصية إنسان آخر لا تجده، من حيث السمائل والأخلاق التي يحملها المصطفى ﷺ واجتمعت وتكاملت فيه بشكل متوازن دون أن تغطي فيه صفة على صفة، ودون أن توظف صفة في موقف لا تحتاج إليه ولا تليق به، حتى إنك لا تستطيع أن تقول في موقف معين ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه.

وهذا يعجز اللسان حينما يرى مثل هذا التكامل والتوازن العجيب، ولا يملك إلا أن يقول إنه التكامل البشري في المربي العظيم، ففي هذا الموقف يتبين كيف اتسع قلب النبي ﷺ لتحقيق العبودية لله ﷻ عند وفاة ابنه فقد أعطى الرحمة حقها، فدمعت عيناه على فراق إبراهيم، وأعطى التسليم حقه، وأعطى الرضا لله حقه، ونهى عن كل ما قد يחדش جناب التوحيد، فصحح الخطأ ﷺ، فاجتمعت فيه كل تلك الصفات في موقف واحد، أضف إلى ذلك مما يثير العجب في النفس حينما حقق ﷺ الصدق في أكمل صورة وهو ينهى أصحابه ﷺ بقوله: "إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته"، فيحقق الصدق ﷺ قولاً وعملاً.

هذا هو التوازن العملي في حياة الرسول ﷺ، فلو كان مكان الرسول ﷺ في هذه المناسبة الحزينة أي داع من الدعاة، أو زعيم من الزعماء، أو قائد دعوة أو جماعة، لسكت عن هذا الكلام إذا لم يوفق إلى نفيه؛ ظناً منه أن ذلك الكلام إنما هو في صالح دعوته وحرركته، وظن أنه لم يسترع الانتباه إلى هذه الناحية، بل إن الناس بأنفسهم فكروا في ذلك، وهو ليس بمكلف بنفي التفكير، وذلك هو الفرق بعينه بين النبي ﷺ وغيره، فإن الأحداث التي يستغلها أصحاب التفكير السياسي والمصلحي، وإن كانت طبيعية يرى الأنبياء الكرام أن استغلالها على حساب الدين حرام، وأمر يرادف الكفر".^(١)

فيا الله ما أصدق هذا الرسول العظيم ﷺ، وما أعظمه من موقف يأبى فيه ﷺ أن يربط الناس، أو يعلقهم بشخصه، أو يستغل مثل تلك الصدوف لصالحه ﷺ.

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله (٢، ١٨٥) علي الشحود.

٣/١٥ - عن علي بن حسين، أن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني رجل، من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولدت الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: "فإنها لا يرعى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا، تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخير بعض أهل السموات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويؤمنون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكيهم يقرءون فيه ويريدون".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد (٢١٨/١) رقم ١٨٨٢، والإمام مسلم في صحيحه (١/١٧٥٠) كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشوم، رقم ٢٢٢٩، وأخرجه الترمذي في السنن (١٤/١١) كتاب التفسير، باب من سورة سبأ رقم ٣٢٢٤ من طرق عديدة، عن ابن شهاب الزهري، عن علي بن حسين، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار به، وقال يونس عن الزهري رجال من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار به، وعند الترمذي عن ابن عباس فقط.

وقد ذكر بعض العلماء أن لهذا الحديث علة، وهي أن يونس بن يزيد على حفظه وجلالة محله قصر به وذكره عن علي بن الحسين، عن رجال من الأنصار - يعني أسقط رجالاً من الإسناد وهو ابن عباس - وإنما هو عن ابن عباس قال: حدثني رجال من الأنصار، وهكذا

رواه ابن عيينة ويونس من سائر الروايات، وشعيب بن أبي حمزة، وصالح بن كيسان، والأوزاعي، وغيرهم عن الزهري. ^(١)

ولم أقف على هذه الرواية التي ذكرت وأسقط فيها يونس رجلاً من الإسناد في أي من كتب السنن والمسانيد، وبما أن الطرق الأخرى محفوظة بذكر الرجل الذي أسقط سواء من روايات يونس نفسه أو غيره، وهو مخرج في الصحيح مسند ثابت، لا يضره من قصر به؛ لأن الذين أسندوه حفاظ ثقات.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- طرح السؤال على المخطئ بهدف التصحيح:

إن طرح السؤال أصبح قضية عصرية شغلت كل مَنْ انخرط في سلك التعليم ومجال التربية، فألفت فيه الكتب، وعقدت فيه الدورات والمحاضرات، ليتدرب المعلمون والمربون على مهارة طرح السؤال، فالأسئلة التي تثير الفكر وتعمل على شحذ الذهن للتفكير أقوى من تلك الأسئلة التي تعتمد على مجرد استرجاع المحفوظ في الذاكرة، أو على سرد المعلومات، والتي ﷺ يهدف من سؤاله - فيما أظن - في هذا الحديث عندما قال: "ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟". معرفة الخبرات السابقة من المخطئ نفسه مع علمه ﷺ بها، فإذا تكلم المخطئ عنها وبيَّنها وفصل القول فيها، جاء دور المربي ليقوم بنقد تلك الخبرات القديمة أمام المخطئ.

فالنبي ﷺ يعلم ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في النجوم والكواكب، وتعلق بالخرافات وأمور الكهانة والاستسقاء بالأنواء وغيرها، ما كان ﷺ يخفى عليه شيء من ذلك، لكنه أراد أن يسأل بهدف إصلاح ما تعلق في الأذهان من تصورات خاطئة، فيجيب السائل وينطق بالخطأ، فيصححه له المربي ﷺ، ولعل النبي ﷺ خشي أن يكون بقي لهم تعلق بمعتقداتهم السابقة مع إسلامهم، وأحياناً يظن المرء أن ثمة أموراً قد لا تتعارض مع الدين، فيأتي السؤال بغية التعديل والتوضيح لكل الظنون.

(١) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١١٦، وكذا تدريب الراوي للسيوطي ص ٢٦٠.

تصحيح الخطأ بالقول

قال المباركفوري في شرحه للحديث: "ليس سؤاله ﷺ للاستعلام لأنه كان عالماً بذلك؛ بل لأن يجيبوا عما كانوا يعتقدونه في الجاهلية، فيزيله عنهم ويقبله عن أصله" (١)، ولذلك فإن السؤال فن لا يجيد طرحه أي مربٍ أو معلم، وأفضل تلك الأسئلة هي المثمرة التي تحرك الذهن وتجعله يعمل، وهي من النوع شديد الاستفزاز للعقل وقد يبقى أثره لسنين، بل قد يستوطن هناك لأن مثل هذه الأسئلة تجعل الإنسان يفكر باستمرار، ويبحث عن طرق الفهم والاستيعاب وتثير فيه الرغبة في تقليب الأفكار الجديرة بالمعرفة، والتفكير حولها" (٢).

وقد كان النبي ﷺ حريصاً على مثل هذه الأسئلة، وفي الصحاح نصوص كثيرة تدل على عناية الرسول ﷺ بالسؤال الهادف الذي يحرك الذهن، ويثير التفكير لدى الصحابة، وينمي فيهم القدرة على الاستنباط، والتحليل، والمناقشة، والمقارنة، ولذلك فإن على المعلمين تعلم طرق صياغة وتوجيه الأسئلة المنتجة التي تنمي في المتعلم التفكير، وتقوي فيه الدافعية إلى التعلم.

٢ - التربية النبوية تربية عقلية:

من المعلوم أن عقل الإنسان هو من أهم النعم التي أنعم الله بها عليه، فبه يدرك ويستنتج ويتفكر ويميز، وهو أداة المعرفة والإسلام يعتني بالعقل عناية شديدة؛ حيث وضع له مكانة رفيعة لا نظير لها، فعده مناط التكليف والمسؤولية، وهو سر كل عظمة الخلق؛ إذ هو الشيء الذي يعطي للإنسان قيمته الحقيقية، فالإنسان عقل قبل أن يكون جسداً.

ومما يدل على ذلك أن القرآن الكريم يدعو - دائماً - إلى إعمال العقل، ويذم أولئك الذي أهملوا عقولهم، بل عطلوها وتركوها دون إعمال وتفكير، وبين حسرتهم يوم القيامة على هذا حيث يقول: **قَالَ تَمَآلَ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** (الملك: ١٠).

وبما أن النبي ﷺ كانت تربيته لصحابته تربية شاملة كاملة، مستمدة من القرآن الكريم

(١) تحفة الأحوذى (٩١/٩).

(٢) فن طرح السؤال الصحيح جوهر العملية التعليمية، سلمى واسرمان ص ٤٢.

تصحيح الخطأ بالقول

الذي يعتني بالإنسان ككل من حيث هو روح وجسد وعقل، أولى ﷺ هذا الجانب اهتماماً ورعاية، من كل جهة تنمية تلك العقول، وحثها على التفكير في خلق الله ﷻ، وإلزام العقل بالتحري والتثبت، أو دعوته ﷺ لتجريد العقل من كل المسلمات المبنية على الظنون، أو التخمين، أو حتى التبعية والتقليد وأكثر ما يضر العقل - فيما يظهر لي - هو التقليد الأعمى للآخرين، أو لما عليه الآباء دون أي تفكير.

لقد أراد ﷺ أن يُنقي هذه الحاسة من كل ما يعطلها عن دورها، فيبقى صاحبها كالبهائم - والعياذ بالله - كمن ذكرهم الله في قوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَكَا لَا نَنْفَعُ بَلْ هُمْ أَصْلُ سَكِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤).

ولا يعطى فوق طاقته بلا حدود ولا ضوابط، فيعجز ويضل وتتيه به المسالك، إنما يسير وفق ما هيأه الله له بحدود، ومن تنمية العقل والحفاظ عليه تحريره من كل سلطان قد يكبله أو يعوقه عن أداء دوره في الحياة، من تعلق بالأوهام والخرافات، أو بالنجوم والكهنة، أو الرقى والتمايم الشيطانية، ولهذا قال لهم: "فإنما لا يرمى بها لموت أحد ولا حياته". لئبعد كل تعلق في أنفسهم ارتبط بغير الله ﷻ، ويتمثل منهج النبي ﷺ في هذا الحديث في تربية العقل من ثلاث نواح:

الأولى: هي محاولته ﷺ دعوة المخاطبين لتفريغ العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين، والتي خزنوها في أذهانهم، بناءً على تقليدهم آباءهم وأسلافهم السابقين.

والقرآن يرفض هذه الطريقة من التقليد القائمة على الخطأ والتبعية المجردة، والبقاء عليها دون تصحيح ورجوع إلى الصواب، لجرد التمسك والالتكاء لما هم عليه فيما اعتقدوه وفعلوه، بل "لا بد من التفكير ووضع الأفكار موضع الاختبار، والنظر إليها في ضوء العقل، وقياسها بميزانه المستقل، فليس من المعقول أن يفكر لنا الأموات ونحن أحياء، وأن يلزمنا الأقدمون بنتائج عصور مضت، إنما نحن ملزمون بما تهتدي إليه عقولنا وما ينتهي إليه تفكيرنا، فإنه من الخطأ والخطر أن نفكر برؤوس غيرنا وقد خلق الله لنا رؤوساً خاصة بنا، ولهذا شن القرآن حملة عنيفة على الجمود والتقليد في كل صوره".^(١)

(١) العقل والعلم في القرآن الكريم يوسف القرضاوي ص ٢٥٣.

تصحيح الخطأ بالقول

وإن من ينظر في كتاب الله تعالى يجد ذلك واضحاً، فقد وجه القرآن نقداً لا ذعماً للمشركين الذين يقلدون آراء آبائهم، ويتمسكون بعقائدهم في عبادة الأوثان، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَسَلَّوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٤). وفي آية أخرى قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَانْدِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٣).

ما ذاك إلا لأن في التقليد إبطال لمنفعة العقل وإذا أبطل وقع الإنسان في الأخطاء التي لا تخصى جراء ذلك، يقول الدكتور محمد نجاتي: "ومن العوامل التي تؤدي إلى الأخطاء تقليد الغير في أفكارهم وآرائهم، دون محاولة التأكد من صحتها، وحذر الرسول ﷺ من اتباع آراء الغير وتقليدهم في أعمالهم تقليداً أعمى دون روية وتفكير، ففي الحديث عن حذيفة ؓ عن النبي ﷺ قال: "لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا".

كما حارب ﷺ كل أنواع الأوهام والخرافات، وهو بمحاربته ﷺ لها قد حرر عقول أصحابها من الوقوع تحت تأثيرها، وبث فيهم روح التفكير السليم، وهياً بذلك المناخ العقلي لنشوء الحضارة الإسلامية".^(١)

ثانياً: تمثل منهج النبي ﷺ في هذا الحديث - أيضاً - في دعوته العقل إلى فهم الظواهر الكونية فهماً صحيحاً، واحترام القوانين التي أقام الله عليها نظام الكون". وهي سنن وقوانين لها صفة العموم والشمول، فهي تحكم على الناس جميعاً أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، حاضريهم وباديهم، قويهم وضعيفهم، مؤمنهم وكافرهم، لا تحابي

(١) انظر للمؤلف: الحديث النبوي وعلم النفس ص ١٥٠، والقرآن وعلم النفس ص ١٣٦ وما بعدها.

أحداً، ولا تحامي أحداً، الكل في ميزانها سواء، كما أن لها صفة الثبات والدوام، فهي لا تتغير ولا تتبدل، وهي تجري على الآخرين كما جرت على الأولين، والرسول ﷺ أكد وجوب رعاية سنن الله - تعالى - بقوله وعمله وتقريره كما هو واضح في سنته وسيرته".^(١)

وقد سبق أن بينا حديث الكسوف كيف أكد ﷺ بفعله وخطبته رعاية هذه السنن وتوضيحه للناس عدم ارتباطها بموت عظيم أو حياة عظيم، وكيف نفى كل تلك التصورات الخاطئة وطريقة الناس في ربط الأشياء ببعضها دون ظهور أدنى علاقة فيما بينهما.

ثالثاً: يريد النبي ﷺ أن ينمي في صحابته ﷺ العقلية العلمية التي لا تقبل أي دعوى أو فكرة دون دليل، على طريقة القرآن الكريم في رفض القضايا التي لا دليل عليها، أو برهان من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ تلك آمانيهم قل هاتوا برهنكم إن كنتم صدقين ﴿٣١﴾ (البقرة: ١١١).

فقد طلب الله منهم أن يأتوا بدليل على اقتصار دخول الجنة لليهود والنصارى فقط، فأى قضية ما لم يكن لها دليل من الكتاب أو السنة أو من المصادر التي يعتمد عليها في الشريعة، ما يدل على صحتها وصدقها فإنها مرفوضة في نظر العقل السليم، يضرب بها ولا تقبل أبداً، وهذا مخصوص في القضايا الدينية طبعاً والتي يتعبد الله بها، وهذا الذي أراد النبي ﷺ أن يؤكد أنه لا دليل على تأثير الكواكب والأنواء في حوادث العالم السفلي؛ لأن معرفة هذا التأثير تكون بإحدى أربع طرق:

- إما لخبر صادق صحيح من كتاب الله أو سنة نبيه، وهذا غير موجود، بل دلت على انتفاء وجوده والنهي عن اعتقاده.
- وإما لحس يشترك الناس في إدراكه، وهذا منتفٍ وغير موجود.

(١) العقل والعلم في القرآن الكريم ليوسف القرضاوي ص ٢٧٩.

- وإما العقل أو نظره، وهذا غير موجود أيضاً.

- وإما التجربة، وهذا ما يدعونه، ويشترط في صحة التجربة أن تكون بتكرار موثوق بدوامه تضطر النفوس إلى الإقرار به، وهذا لا يمكن في القضاء بالنجوم؛ لأن النصب الدالة على الكائنات عندهم لا تعود في الدرجة والدقيقة نفسها إلا بعد آلاف السنين كما ذكر البيروني، ومن هذا يتضح أن دعوى تأثير الكواكب في هذا الكون دعوى وهمية لا تقوم على دليل أو برهان. ^(١)

وهكذا كان النبي ﷺ يبين بطلان أقوال الناس في الجاهلية، ويفسر لأصحابه الأحداث التفسير العلمي الواقعي، ويكون بذلك قد حقق ﷺ كل جوانب التربية العقلية التي يحتاج إليها الإنسان.

٣- النبي ﷺ يربي صحابته وأمته على التفكير الإيجابي:

إن النبي ﷺ حين يعلم صحابته، ويطل لديهم مفهوم ارتباط الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، فإنه إضافة إلى اهتمامه ﷺ بتصحيح التصورات التي توجد في أذهان الناس، هو - أيضاً - يربي أمته على التفاؤل والتفكير الإيجابي، ونبت التشاؤم والطيرة؛ ذلك لأن التنجيم يعد نوعاً من السحر والكهانة، وهو سبب للوقوع في الأوهام والانفعالات النفسية التي ليس لها أصل ولا حقيقة، فإذا تعلق قلب الإنسان بالنجم وتفاعل أو تشاءم به إذا استنار وقع في الأوهام ودخل في دائرة الأفكار السلبية، ووقع كذلك في تشاؤمات ومتهات لا نهاية لها.

وتربية النبي ﷺ للفرد تربية متكاملة من جميع النواحي، عقلياً وجسدياً وحق نفسياً، وهو ﷺ لا يريد من الإنسان أن يتوقع لنفسه حصول المكروه، وتوقع الشر لمجرد نجم رآه، وهذا يناقض - أيضاً - دعوته ﷺ، وحاله وما يحبه حيث كان يحب الفأل، ومواقف حياته كلها كانت مليئة بالتفاؤل، في كل أموره، وأحواله في حربه وسلمه، في حله وترحاله.

(١) انظر: التنجيم والمنجمون (١، ١٨٧). وكذا موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى، ليوسف القرضاوي

تصحيح الخطأ بالقول

ومن ينظر نظرة بسيطة في السيرة يجدها تؤكد لنا هذا المنهج الذي اتخذه الرسول ﷺ له حتى في أصعب الظروف، فقد جعل التفاؤل هو المتنفس الحقيقي له، وفي وقت اشتداد الأزمات يزرعه في نفوس أصحابه، مبشراً لهم بالنصر والتمكين لهذا الدين ولو بعد حين، وأقرب موقف قد لا يغيب عن أي ذاكرة، موقفه هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم أن كان الكفار على باب الغار، وكيف كان في حال عظيمة من التفاؤل رغم صعوبة هذا الموقف وما يحمله من الخوف في تلك اللحظات، وما يفعله من مسحه ﷺ بيده الكريمة على المريض والدعاء له إلا تفاؤلاً منه ﷺ بشفاؤه.

نعم تلك هي التربية النبوية التي تدعو إلى التفكير الإيجابي، "الذي يعد هدفاً أسمى يسعى الإنسان للوصول إليه؛ ليتمكن من تجنب الكثير من الأخطاء الناجمة عن الممارسات المبنية على استنتاجات وأحكام لا تستند على أسس علمية واضحة، فتكون الحصيلة النهائية لتلك الممارسات المزيد من الأخطاء التي يفرزها التفكير السلبي حول تلك المأموم والقضايا التي تحتاج إلى التفكير الإيجابي، لتجاوز ما قد ينجم عنها من أضرار لا تقتصر على الفرد بل تمتد إلى ما سواه"^(١).

هذا الأسلوب في التفكير بطريقة تغلب عليها الناحية الإيجابية في التعامل مع المواقف والأحداث، وإغفال الجانب السيئ، ومحاولة تدريب العقل على هذا هو ما تدعو إليه التربية الحديثة بما فيها مراكز التنمية البشرية الآن، وتنادي به، وتعد الإنسان الذي يفكر بإيجابية إنساناً يسعى إلى السعادة والنجاح؛ لأن هذا النوع من التفكير يحقق به الفرد - بإذن الله - أضعاف النتائج التي يمكن الوصول إليها بأي طريقة أخرى، وكذا لكونه يحصل على نتائج ما يفكر فيه، بمعنى أن كل ما يفكر فيه إيجابياً أو سلبياً سيحصل عليه.

وتأمل سبق المصطفى ﷺ إلى كل ما يدعون إليه، من دعوته إلى حسن الظن بعواقب الأمور، ونهيه ﷺ عن التعلق بالنجوم؛ لأنه طريق إلى الأفكار السوداوية التي تجعل الإنسان في مأزق جراء الإسراف في التشاؤم، وحبه ﷺ التفاؤل والنظر بإيجابية إلى كل الأمور، مع الثقة بالله ﷻ والإيمان بتحقيقه الأشياء متى توافرت الأسباب، وزالت الموانع لأن الإغراق

(١) الإنسان والتفكير الإيجابي.. دراسة تربوية نفسية إدارية، عيسى الملا ص ١٥.

في التفاؤل - أيضاً - دون عمل وفعل للأسباب هو هروب من الحقيقة، وقراءة خاطئة للواقع.

أهم النتائج التي يخلص منها هذا المبحث:

- إن الخلل في التصورات والمفاهيم والجهل بالصحيح منها يؤدي إلى انحرافات في السلوكيات والأعمال.
- إن تعديل المفهوم وتصحيحه في ذهن الإنسان أولى من تعديل السلوك؛ لذا ينبغي العناية به؛ لأنه من خلاله تقوم سلوكيات عدة.
- الملاحظ في بعض المربين عنايتهم بتعديل السلوك أكثر من عنايتهم بتعديل المفاهيم.

المبحث الرابع: تقديم البدائل

يشغل الباطل حيزاً كبيراً في نفوس أصحابه، لا سيما إذا ألف المخطئ خطأه واعتاد على ممارسته؛ فإنه في الحقيقة من الصعوبة بمكان على صاحبه أن يفارقه، أو حتى التخلص منه، وهو يشعر أن هذا الخطأ أصبح جزءاً من كيانه لا يتصور الاستغناء عنه بحال من الأحوال، وإذا عُرف هذا تبين مدى حاجة الناس لإيجاد بدائل شرعية، تحل محل الأخطاء القائمة في المجتمعات وفي حياة الأفراد؛ بل قد يكون من الواجب - أحياناً - إيجاد البديل مع تعلق المخطئ بالمحرم، أو بالسلوك السليبي، ولهذا فإنه من الحكمة في تقويم السلوك التمهيد للأمور وإعطاء البديل؛ إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، وهذا معروف عند كثير من علماء السلف الصالح - رحمهم الله - وفي نهج أصحاب الرسول ﷺ الذين تربوا على طريقته، فها هو عبدالله بن عمر رضي الله عنه ينكر على رجل زيادته عن هدي النبي ﷺ ما ليس منه، ولا يكتفي رضي الله عنه بالإنكار فقط؛ بل يسلك أسلوباً تربوياً مع المخطئ، ويفتح له مخرجاً آخر، ويعطيه بديلاً عن تلك الكلمات التي أخطأ فيها كما يروي هذا الحديث بنفسه: "إذ عطس رجل إلى جنبه فقال الرجل: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، فقال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ أن نقول إذا عطسنا، وإنما علمنا أن نقول الحمد لله على كل حال".^(١)

فانظر كيف وافق رضي الله عنه المخطئ مبدئياً بقوله: "وأنا أقول الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..."؛ لكنه أرشده - فيما بعد - إلى أنه ليس هذا موطن هذه اللفظة، وأنها ليست من هديه ﷺ، وإنما هديه الاقتصار على قول الحمد لله فقط عند العطاس، فبين له أن الاقتداء هو صمام الأمان.^(٢)

(١) أخرجه من أصحاب الكتب الستة، الترمذي في السنن (٨١/٥) كتاب الأدب، باب ما يقول العطاس إذا عطس، من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال الحاكم في المستدرک (٢٩٥/٤) حديث صحيح الإسناد غريب في ترجمة شيوخ نافع ولم يخرجاه.

(٢) انظر للاستزادة من أقوال السلف كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخالد بن عثمان السبب ص ٢٥٤ وما بعدها، وكتاب أسس الدعوة وآداب الدعاة، للشيخ أبي بكر الجزائري ص ١٩.

ومما سبق فلإني اخترت لهذا المبحث ثلاثة أحاديث استخدم فيها الرسول ﷺ هذا الأسلوب التربوي في معالجة السلوك غير المرغوب فيه، واكتفيت بها عن غيرها وإلا ففسى السنة بدائل كثيرة جداً قدمها ﷺ لكل من يبحث عنها، وينبغي أن يفهم المخطئ أن المطالبة بإيجاد البديل لا يعني أن يكون هذا لازماً في كل شيء، وفي كل خطأ بل ينبغي أن يفهم المتربي أن بعض الأشياء المنوعة أو المحرمة قد لا يؤتى لها بدائل تقوم مقامها، وإنما يكفي فيها قول الله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)

وفيما يلي عرض لهذه الأحاديث:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي جِدَارِ الْمَسْجِدِ فَتَنَاولَ حَصَاةً فَحَكَّهَا، فَقَالَ: "إِذَا تَنَخَّمَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَخَّمَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى".

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى خَبِيرٍ فَجَاءَهُ بِتَمَرٍ جَنِيبٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَكُلْ تَمْرَ خَبِيرٍ هَكَذَا؟ ". قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلَاثِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَفْعَلْ، بَعِ الْجَمْعَ بِالدِّرَاهِمِ ثُمَّ ابْتَغِ بِالدِّرَاهِمِ جَنِيْبًا".

٣- حَدَّثَنَا أَبُو ثَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيُّ، - وَأَبُو ثَمِيمَةَ اسْمُهُ طَرِيفُ بْنُ مُجَالِدٍ - عَنْ أَبِي جُرَيْرٍ، جَابِرِ بْنِ سَلِيمٍ قَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قُلْتُ عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ . قَالَ: "لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ . فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ نَحِيَّةُ الْمَيِّتِ قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ... ثم ذكر فيه قصة طويلة".

٤/١٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: رَأَى نُخَامَةً فِي جِدَارِ الْمَسْجِدِ فَتَنَاولَ حَصَاةً فَحَكَهَا، فَقَالَ: "إِذَا تَنَحَّمْ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَحَّمَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَسَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٠/٢٣) رقم ١١١٢٥، والدارمي في السنن (٢٤٤/٤)، والبخاري في الصحيح (٣٥/١)، كتاب الصلاة، باب حك المخاط بالحصي من المسجد، رقم ٤٠٨ وأخرجه كذلك في (٣٥/١) كتاب الصلاة، باب لا يبصق عن يمينه في الصلاة، رقم ٤١٠، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦٣/١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد وفي الصلاة وغيرها، والنهي عن بصاق المصلي بين يديه وعن يمينه رقم ١٢٢٥، وابن ماجه في سننه (٢٥٢٢/١)، أبواب المساجد والجماعات، باب كراهية النخامة في المسجد رقم ٧٦١، والنسائي في السنن (٢١٣٣/١) كتاب المساجد، باب ذكر نهي النبي ﷺ عن أن يبصق الرجل بين يديه أو عن يمينه وهو في صلاته، رقم ٧٢٦ جميعهم من طريق الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما. وعند النسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه وحده دون ذكر أبي هريرة رضي الله عنه.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - ضرورة إزالة السلوك الخاطي:

لقد حرص النبي ﷺ على إزالة السلوك غير المرغوب فيه، وذلك عن طريق حك النخامة الواقعة في جدار القبلة بالحصي، وفي إحدى الروايات بيده ﷺ^(١) وهذا تواضع منه ﷺ في إزالة الأوساخ من المسجد بيده الشريفة، وهذا فيما يظهر لي يدل منه ﷺ على لزوم إزالة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٩/١) أبواب المساجد، باب حك البزاق باليد من المسجد.

الخطأ^(١)، حتى إنه ﷺ لم ينتظر حتى يجد شيئاً ليزيل به هذه القذارة، بناءً على هذه الرواية، وليؤصل في نفوس أصحابه - أيضاً - ما كان يأمرهم به من إنكار المنكر وتغييره باليد، وهو أعلى وأفضل المراتب على الإطلاق في التصحيح؛ إذ هو الأصل الذي يفترض أن يبدأ به في تعديل السلوك الإنساني.

لذلك تراه ﷺ قدمه على غيره، اللهم إلا إن تعذر التغيير؛ خشية وقوع سلوك أكبر منه أو كان تغييره بهذه الطريقة، يفوت به مصلحة ترجى، فإنه يكتفي حينها بتغيير السلوك قولاً، وهو المعروف عند أهل العلم بالتغيير باللسان، المهم من كل ذلك هو التغيير؛ لأن تغيير الخطأ فيه بقاء الحياة على النحو والطريقة التي يحبها الله ﷻ، وإلا فوجود الخطأ في المجتمع أمر لا يخلو منه مجتمع في أي حقبة زمنية، ثم لم يكتفِ النبي ﷺ بإزالة الخطأ عملياً؛ بل جمع بينه وبين القول؛ حيث أفادهم بعد ذلك بالتوجيه النبوي بالنهاي عن هذا الفعل ووجههم إلى ما سواه، وسيأتي بيانه.

٢- ضرورة تقديم البديل للمخطئ:

إن من أهم ما يميز المربي الناجح عن غيره هو القدرة على استخدام أساليب شرعية جديدة في التربية، والتفنن في توعيةها واستخدامها بما يتناسب مع رغبات المتربي وحاجاته النفسية إليها، ولذلك فإنه من الضرورة حين تطلب من المخطئ أن يكف عن سلوك معين، أو تنهاه عن فعل قد ارتكبه أن يكون مع هذا النهي - إن أمكن - طرح لبديل صالح يمكن له أن يعتمد عليه في مسلك التغيير، ليحل بدوره مكان السلوك السلبي.

ويعد أسلوب إيجاد البديل من الأساليب النبوية المهمة في العملية التربوية التي استخدمها النبي ﷺ كثيراً، مع الأخطاء التي كان يعايشها ويرأها في مجتمعه، ومن ينظر في السنة النبوية يجد أن النبي ﷺ أدرك أهمية هذا الجانب في حياة الناس، وأنه من أساسيات التغيير، فلم يهمله ﷺ؛ بل أولاه اهتماماً وعناية فتجده ﷺ يطرح تلك البدائل للناس، ففي باب البيوع تجده يقدم البديل، فلما حرم المتاجرة في أعيان منهي عنها، أباح المتاجرة في سائر البيوع، ويأتي من يطلب منه ﷺ الزواج فيرشده إلى ما يكون بديلاً مؤقتاً له وهو الصوم

(١) ولعل هذا تحكمه طبيعة الخطأ فما كان فيه اعتداء على حق الله عز وجل فيستعمل في إزالته على الفور، ولهذا بادر النبي ﷺ لأن الله قبل وجه المصلي، والله أعلم.

إلى أن يظفر بما يريد من بدائل مناسبة له". وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلية وأعيادها ومواسمها وطرق حياتها، لم يترك ذلك فراغاً يتحير المسلمون في ملئه، أو يملأونه دون شعور منهم فيما لا يفيد، بل جعل لهم في الحال عادات أخرى وأعياداً ومواسم وطرائق حياة تملأ الفراغ، كانوا يجتمعون على موائد الخمر والميسر أو لعبادة الأوثان، فجمعهم على عبادة الله يؤدون الصلاة جماعة ويتذكرون القرآن، وكانوا يعيشون في أعيادهم فساداً، فألغاها وجعل بدلاً منها أعياداً كريمة نظيفة زاخرة بالمعاني الطيبة والأهداف الرفيعة، وتلك من أنجح الوسائل في تربية النفس".^(١) فقلما حرّم شيئاً أتى بالبديل المشروع مقابل ذلك الأمر، ولأنه أدرك ﷺ أن النفوس ضعيفة ومجبولة على حب العوض عن الشيء.^(٢)

وفي هذا الحديث تجلت قدرته ﷺ على طرح البديل، بل البدائل المتعددة، فعندما منع المصلي أن ييصق في الجدار الذي من جهة القبلة، ثم منعه عن اليمين؛ لأن الملك يكتب الحسنات، أجاز له أن ييصق في مواضع ثلاثة، ثم هو مخير في اختيار البديل الذي يتناسب معه، وترتاح نفسه إليه، فإما عن جهة اليسار؛ لأن الملك حينها الذي يكون في تلك الجهة لا يكتب شيئاً، لكون المصلي في طاعة الله، وإما أن ييصق تحت قدمه، أو يجعلها في ثوبه ثم يدلكها، وهذا البديل الثالث دلت عليه رواية أبي سعيد رضي الله عنه في حديث آخر: "إن عجل به أمره فليفعل هكذا، يعني يتفل في ثوبه".^(٣)

"إن النبي ﷺ لما ذكر منع التنخم أمام القبلة يعني في قبلة الإنسان ذكر الشيء المباح؛ لأن هذا هو الهدي، وهذه هي الحكمة، أنك إذا ذكرت للناس ما هو ممنوع أن تذكر لهم ما هو جائز، حتى لا تسد الأبواب عليهم، وفيه التعليم بالفعل؛ لقول النبي ﷺ: "أو يقول هكذا، وبصق في ثوبه وحك بعضه ببعض".^(٤)

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٠٦.

(٢) سيأتي تفصيل لهذه النقطة فيما بعد عند الحديث عن طبيعة النفس الإنسانية.

(٣) أخرجه أبوداود في السنن (٧٢/٢) كتاب الطهارة، باب كراهية البزاق في المسجد من طريق عياض بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٦٩٣/١).

٣- حرص الرسول ﷺ على تكوين العادات السليمة في المجتمع المسلم:

لقد حرص النبي ﷺ في هذا النهي على تكوين عادات سليمة تكون جزءاً من شخصية الإنسان يستبطن فيها التبعد لله تعالى؛ لأنه إن لم يفعل السليم سيقع في العادات الخاطئة، وهذا يكون - أحياناً - بغير شعور من المربي عن طريق الغاضي والسكوت عن السلوكيات السلبية التي يراها من المخطئ؛ لذا حاول الرسول ﷺ أن يستأصل من نفوس أصحابه بعض العادات التي اعتاد الإنسان أن يفعلها، وقد لا يراها من قبيل الخطأ، كالصباغ في المسجد مثلاً، ويوصل عادات آداب المسجد.

وبما أن العادة تؤدي دوراً خطيراً في حياة الناس حرص ﷺ أن يكون الخير كله عادة، فالأخلاق تكون بالممارسة والاعتياد وبكثرة التكرار للفعل تتحول السلوكيات السلبية والأخلاق الذميمة إلى حسنة، وبالتالي يكون الفعل الحميد والسلوك الإيجابي عادة تلازم الإنسان، وخلقاً يتطبع به، مع عدم تجاهل أن الخلق الفاضل كسلوك إيجابي عبادة يُتقرب بها إلى الله كما ذكرنا.

فلا يليق بالمسلم أن يقابل الجهة التي أمر الله بتعظيمها بالصباغ؛ لأن في هذا الفعل استخفاف من العبد بمن يزيق إليه "ومن سوء الأدب وأعظم الجفاء أن تتوجه إلى رب الأرباب وملك الملوك وتتختم في توجهك، وقد أعلمنا الله بإقباله على من توجه إليه ومراعاته لحركاته".^(١)

فالنبي ﷺ يستخدم العادة أسلوباً من أساليب التربية، وأن تكون كل العادات الاجتماعية والأنماط السلوكية سواء آداب الأسرة والحديث والمسجد آداب الطعام كلها تتحول بالتعلم والتعود إلى عادات لصيقة بالإنسان، يقوم بها دون جهد أو تعب.

وللمربي ﷺ منهج أصيل في تكوين قيم وسلوكيات جديدة في المتربي، وذلك عن طريق استئصال العادات والسلبيات القديمة أولاً، خاصة إذا كانت تمس المعتقد أو بالتدريج إذا كانت من العادات التي ألفوها في الجاهلية، كعادة الخمر كما بين الله ﷻ ذلك التدرج

(١) شرح ابن بطال (٧٩/٣).

في القرآن الكريم، وأحياناً عن طريق التنفير من العادة كما في عادة البصاق، فقد نفر منها ﷺ وبينت ذلك أحاديث أخرى فكان يقول ﷺ: "أيسر أحدكم أن يُصق في وجهه".^(١) وفي رواية أخرى: "أيكم يحب أن يعرض الله عنه بوجهه".^(٢)، وهذا التنفير يكره لهم السلوك والتصرف السليبي.^(٣)

-
- (١) أخرج هذه الرواية أبوداود في السنن (٧٢/٢) كتاب الصلاة، باب كراهية البزاق في المسجد، وقال الحاكم في المستدرک: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قال الألباني في الثمر المستطاب (٣٠٧/١) وليس كذلك إنما حسن فقط وليس على شرط مسلم.
- (٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥/١٤) باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر، وأبوداود في السنن (٥٤/١) كتاب الصلاة، باب كراهية البزاق في المسجد.
- (٣) انظر: كتاب منهج التربية، لعلي أحمد مذكور ص ٢٥٢، وكتاب إليك أخي المربية، خولة درويش ص ٢٧.

تصحيح الخطأ بالقول

١٧/٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى خَيْبَرَ فَجَاءَهُ بِتَمْرٍ جَنِيبٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَكُلْ تَمْرَ خَيْبَرَ هَكَذَا؟". قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَتَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلَاثِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَفْعَلْ، بَعِ الْجَمْعَ بِالذَّرَاهِمِ ثُمَّ ابْتَغِ بِالذَّرَاهِمِ جَنِيًّا".

التخريج:

أخرجه الدارمي في السنن (٣٣٥/٢٢)، والإمام البخاري في صحيحه (١٧١/١)، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه برقم ٢٢٠١، وفي (١٧٩/١) كتاب الوكالة، باب الوكالة في العرف والميزان، رقم ٢٣٠٢، وفي (٣٤٨/١)، كتاب المغازي، باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر، رقم ٤٢٤٤، وكذا في (٦١١/١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول ﷺ من غير علم، فحكمه مردود لقول النبي ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" رقم ٧٣٥٠، وفي صحيح مسلم (٩٥٤/١)، كتاب المساقاة والمزارعة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل رقم ٤٠٨١، وعند النسائي في المجتبى (٢٣٨٢/١) كتاب البيوع، باب بيع التمر بالتمر متفاضلاً رقم ٤٥٥٧، جميعهم من طريق عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن، عن سعيد بن المسيب، عن أبي سعيد الخدري ؓ.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- إيجاد البديل أسلوب أصيل جاء به القرآن الكريم:

تؤكد أهمية توفير البدائل إذا علمنا أن هذا الأسلوب التربوي كان منهجاً ربانياً يتأمله من يطالع القرآن الكريم، فلم يحرم الله ﷻ على عباده شيئاً إلا أبدهم ما هو خير لهم منه، فحين حرم الربا أباح البيع، وحين حرم الزنا أباح النكاح، ولما حرم أكل الخنزير والميتة أباح الذبائح من بهيمة الأنعام وغيرها.

وحين نهامهم عن إتيان البيوت من ظهورها أعطاهم البديل بقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩).

"ذلك أن الله - ﷻ - إذا همى عن شيء فتح لعباده من المأذون ما يقوم مقامه، وفيه من الفوائد أنه ينبغي لمن همى عن شيء أن يدل الناس على بدله من المباح، فلا ينهاهم ويعلمهم في حيرة". (١) وحتى في مجال الألفاظ والعبارات المنهية عوضهم عنها بما يصح فقد قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَكُفُّوا أُنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ (البقرة: ١٠٤).

فقد نهامهم عن ذلك لما فيه من مشابهة اليهود في قولهم هذه الكلمة للنبي ﷺ قاصدين السخرية منه، فهي الصحابة عن أن يقولوا هذه الكلمة، وأبدلهم بأن يقولوا له انظرنا "وبدأهم بالنهي لأنه من باب التروك فهو أسهل، ثم أتى بالأمر بعده الذي هو أشق لحصول الاستئناس قبل بالنهي وأبدلهم بكلمة تساويها في الحقيقة والمجاز وعدد الحروف" (٢) وكذا في دعوة لوط عليه السلام لقومه قال: ﴿قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (هود: ٧٨).

وهكذا فالإسلام لا يضيق شيئاً لمصلحة العباد إلا ويوسع في مقابله ما هو أزكى لهم وأنفع مما همى عنه، وبذلك يكون إيجاد البديل أسلوباً تشريعياً يربي في المسلم القناعة والرضا والتسليم، وكذا الرغبة في الخير.

٢ - طبيعة النفس البشرية تحتاج إلى توفير البدائل:

إن إدراك وفهم ما تحتاج إليه النفس الإنسانية يعد ضرورة ملحة للمربين؛ إذ إن نجاح التربية يتوقف عليه، ولا بد أن يكون هذا الفهم نابعاً من المنهج الرباني الذي عرف بما،

(١) تفسير ابن عثيمين رحمه الله (٤/٣٠٠).

(٢) انظر: البحر المحیط لأبي حيان (١/٤٥١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١/٦٣٣).

وبالتالي يسهل التعامل معها، وكل فهم غير حديث القرآن عنها وتصوره لها فهو فهم بعيد وخاطئ، لا يُسهِم في سهولة وتطبيق المنهج النبوي الذي يطرح كل الحلول في مواجهة الأخطاء.

ولذلك تفشل الأساليب التربوية المأخوذة من الغرب؛ لأنهم يستمدون معرفتهم عن طبيعة هذا الإنسان، وما تحتاج إليه نفسه من بشر درسوا هذا العلم دراسة، بينما أخذ المسلمون هذه المعرفة من خلق هذه النفس - سبحانه - لأنه أعلم بهذا الإنسان من نفسه، وموقف المربي وطبيعة الإنسان كموقف الصانع بقدر ما يعرف من طبيعة المعدن وصفاته بقدر ما يكون ناجحاً في صناعته، وكذا الأمر بالنسبة للمربي، فبقدر ما يعرف من طبيعة الإنسان ومدى قابليته للتشكيل الذي يريده وما تحتاج إليه نفسه، ومدى استعداده لتحقيق الأهداف المنوطة به، ينجح في تحقيق مهمته التربوية، وبقدر ما يجهل عن هذه الطبيعة يصعب عليه تحقيق ما يرحوه منها.

ولذلك نقول إن من طبيعة الإنسان الميل إلى الشهوات والمنوعات، وفي داخله نفس أمارة بالسوء، توقعه في الإثم والخطأ كما ذكر ذلك القرآن الكريم، في تناوله للنفس الإنسانية من حيث تقسيمها.

والنفس تجمع الكثير من الصفات والخصائص الإنسانية التي تؤثر بشكل كبير وظاهر في السلوك الإنساني، فهي قموى ولها شهوات تعد جزءاً من تكوينها البشري؛ بل - أحياناً - قد تتعلق نفس المخطئ بالخطأ إلى حد قد لا يستطيع أن ينفك أو يتعد عنه، وهنا تأتي مسألة البديل عن السلوك الخاطئ، لأن النفس ضعيفة ومجبولة على حب العوض.

وقد بين ابن تيمية هذا في دعوة الناس إلى السنة حيث قال: "لكن إذا كان في البدعة من الخير فعوض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان؛ إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله أو خير منه إلى أن قال... والنفوس خلقت لتعمل لا لتترك، وإنما الترك مقصود لغيره، فإن لم يشتغل بعمل صالح، وإلا لم يترك العمل

السيئ أو الناقص، لكن لما كان من الأعمال السيئة ما يُفسد عليها العمل الصالح، فهيست عنه حفظاً للعمل الصالح...".^(١)

ولهذا لما بعث الرسول ﷺ أخوا بني عدي الأنصاري^(٢) على خير، جاء بتمر جيد وسأله النبي ﷺ أكل تمر خير هكذا؟ فذكر له ما ورد في الحديث من بيعهم الصاع من الجيد بالصاعين ناه عن ذلك؛ لكنه لم يترك الطريق مسدوداً أمامه، بل أعطاه البديل والمخرج له للابتعاد بوساطته عن حقيقة الربا وصورته إلى طريقة ليس فيها قصد الربا ولا صورته، فقال: بع الرديء بالنقود ثم اشترِ بتلك النقود التي قبضتها من بيع الجمع - وهو الرديء - تمرأ جيداً، لأن قيمة الرديء ليست كقيمة الجيد، وبذلك يخرج مما لا يحل له من الربا إلى ما يحل وهو البيع.

وحول هذا يقول ابن تيمية عن العالم أو المفتي: "إذا أراد تعريف الطريق التي ينال بها الحلال والاحتياط للتخلص من المأثم بطريق مشروع يقصد به ما شرع له، فهذا هو الذي كانوا يفتون به - أي السلف الصالح - وهو من الدعاء إلى الخير، والدلالة عليه كما قال ﷺ: بع الجمع بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم جنيباً".^(٣)

وفي الحقيقة أن هذا الأسلوب مهم جداً في عصرنا الحاضر مع كثرة الفتن والمغريات وانفتاح الدنيا، وضعف النفس أمام الشهوات.

ومن هنا يتحتم على المربين والمصلحين والدعاة الاجتهاد بتقديم البدائل المباحة قدر الإمكان، على أن تكون مستوحاة من هدي الشريعة، وذلك عن طريق التفكير والبحث عن بدائل صالحة وجادة تقضي على الأخطاء والمنكرات لشدة حاجة الناس إليها.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٨٧/٢)، ورسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية بتحقيق صلاح الدين المنجد، والفتاوى (١٢١/٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١٥٥٠/٤) كتاب المغازي، باب استعمال النبي ﷺ على أهل خير، ومسلم في صحيحه (١٢١٥/٣) كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل.

(٣) بيان الدليل على بطلان التحليل ص ١٣٣، وانظر أيضاً حول أهمية البديل أصول الدعوة، لعبدالكريم زيدان ص ٤٨٤.

٤/١٨ - عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهَجِيمِيِّ، عَنْ أَبِي جُرَيْ، جَابِرِ بْنِ سَلِيمٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ قُلْتُ: مَنْ هَذَا قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ. قَالَ: "لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ. فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَيِّتِ قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ... ثم ذكر فيه قصة طويلة".

التخريج:

هذا الحديث رواه المثنى بن عفان - أبو غفار - عن أبي تيممة الهجيمي عن جابر بن سليم رضي الله عنه عن النبي ﷺ ومن أخرجه من هذا الطريق:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٦/٥)، وكذا في مسنده أيضاً (٣٠/٣) ومن طريقه الشيباني كتابه الأحاد والمثاني (٣٩٢/٢)، وأبو داود في السنن (٣٥٣/٤) كتاب الأدب باب كراهية أن يقول عليك السلام، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٧/٦) من طريق أبي خالد الأحمر - سليمان بن حيان - .

وأخرجه أيضاً أبو داود في (٣٥٣/٤) كتاب اللباس، باب ما جاء في الإسبال، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٢٣٦/١٠) والطبراني في المعجم الكبير (٦٥/٧)، وفي الدعاء للطبراني (٢٦٠/٥) من طريق يحيى بن سعيد.

أخرجه الترمذي في السنن (٧٢/٥) من طريق أبي أسامة.

وأخرجه الإمام النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٨١/١) وفي السنن الكبرى (٨٨/٦) والطبراني في المعجم الكبير (٦٥/٧) من طريق عيسى بن يونس.

أربعتهم (سليمان بن حيان، يحيى بن سعيد، وأبو أسامة، عيسى بن يونس) عن المثنى بن عفان - أبو غفار - عن أبي تيممة الهجيمي - طريف بن مجالد - عن جابر به.

وتابع أبو غفار - المثنى بن عفان - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٥/٧) من طريق زيد بن هلال.

كلاهما (أبو غفار، وزيد بن هلال) عن أبي تيممة الهجيمي - طريف بن مجالد - عن جابر

تابعهم خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجيمي، لكن قال عن رجل وقال في رواية عن رجل من قومه ومن رواه على هذه الطريق:

أخرجه الإمام الترمذي (٧١/٥) والإمام النسائي في السنن الكبرى (٨٨/٦)، وفي عمل اليوم والليلة (٢٨١/١) من طريق خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من قومه، ولم يسم جابر بن سليم.

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٢٥/١) رواية من طريق قره بن خالد السدوسي. (أبو غفار، وزيد بن هلال، وخالد الحذاء، وقره بن خالد السدوسي) عن أبي تميمة الهجيمي.

وجاء هذا الحديث من طريق أخرى عن سعيد بن إياس الجري عن أبي السلسل، عن أبي تميمة الهجيمي مرة عن رجل من قومه، ومرة موصولاً بجابر بن سليم مرفوعاً إلى النبي ﷺ ومن رواه على الوجه الأول:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٨٢/٣) من طريق إسماعيل بن إبراهيم، وقال إسماعيل مرة عن أبي تميمة عن رجل من قومه.

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨٧/٦)، وفي عمل اليوم والليلة (٢٨٠/١) باب كيف السلام من طريق عبد الوارث.

وكذا الحاكم في المستدرك (٢٠٦/٤) من طريق جعفر بن عون.

ثلاثهم (إسماعيل بن إبراهيم، عبد الوارث، وجعفر بن عون) عن سعيد بن إياس الجري عن أبي السلسل، عن أبي تميمة الهجيمي، عن رجل من قومه.

وذكر ابن أبي حاتم في العلل (٣٢٥/٢) قال قلت لأبي: إسماعيل بن عليه عن الجري عن أبي السلسل عن أبي تميمة عن رجل من قومه، قلت لأبي: يسمى هذا الرجل من قومه، قال: نعم سماه عبد الوارث عن الجري عن أبي السلسل عن أبي تميمة عن جابر بن سليم ﷺ عن النبي ﷺ.

دراسة الإسناد:

أبو تيممة الهجيمي - طريف بن مجالد - ثقة من الثالثة، بصري سمع أبا موسى وعن أبي هريرة رضي الله عنه، وعنه خالد الحذاء، وأبو غفار، والجريري، وثقه يحيى بن معين قال ابن حجر: ثقة من الثالثة، مشهور بكنيته. ^(١)

وأبو غفار هو المثنى بن سعيد أبو غفار البصري عن أبي قلابة، وأبي تيممة الهجيمي، روى عنه حماد بن زيد وأبو أسامة قال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال البزار: ثقة قال الحافظ: بصري ليس به بأس صدوق من السادسة. ^(٢)

وعن أبي غفار رواه سليمان بن حيان -خالد الأحمر- الأزدي الكوفي روى عن عمرو بن قيس، وليث بن أبي سليم، وعنه أبو بكر وعثمان بن أبي شيبة وأحمد بن حنبل، قال ابن المديني سليمان أبو خالد الأحمر ثقة، وقال يحيى بن معين: لا بأس به، وقال ابن أبي حاتم: صدوق، وعند ابن حجر صدوق يخطئ من الثامنة، مات سنة تسعين أو قبلها. ^(٣)

وعنه أبو بكر بن أبي شيبة الحافظ صاحب المصنف والمُسند، سمع من ابن المبارك وابن عيينة وعنه أبو زرعة والبخاري، ومسلم وأبو داود، وابن ماجه قال العجلي: ثقة حافظ، وقال أحمد: أبو بكر صدوق، من العاشرة مات سنة خمس وثلاثين. ^(٤)

حكم الحديث:

الحديث حسن والله أعلم.

وأما طريق خالد الحذاء ففيها رجل مجهول لا يعرف حاله، فالذي يظهر أنها ضعيفة إلا أن تكون هناك متابعة لخالد الحذاء وفيها ذكر عين هذا الرجل فلعله يرتقي بها إلى الحسن.

حكم العلماء في الحديث:

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ^(١)

(١) الجرح والتعديل (٤/٤٩٢)، تقريب التهذيب (١/٢٨٢).

(٢) المرجع السابق (٨/٣٢٥)، تقريب التهذيب (١/٥١٩).

(٣) المرجع السابق (٤/١٠٦).

(٤) تذكرة الحفاظ (٢/٤٣٢)، تقريب التهذيب (١/٣٢٠).

رمز السيوطي لصحته. (٢)

قال الحاكم عن الطريق الأولى : صحيح الإسناد ولم يخرجاه. (٣)

وذكر ابن حجر في الفتح بعد ذكر الحديث " وصححه أبو داود والترمذي، وصححه غيرهما بالأسانيد الصحيحة عن أبي جري، قال وقوله: بالأسانيد الصحيحة يومهم أنه له طرقاتاً إلى الصحابي المذكور، وليس كذلك فإنه لم يروه عن النبي ﷺ غير أبي جري، ومع ذلك فمداره عند جميع من أخرجه على أبي تيمية الهجيمي، راويه عن أبي جري". (٤)

وصححه الإمام الألباني في كتبه. (٥)

وأخرجه الترمذي من طريق أبي غفار، ولم يسق القصة بتمامها، وقال: حديث حسن صحيح، قلت: ورجاله رجال البخاري، غير أبي غفار وأسمه المثنى بن سعيد الطائي وهو ثقة، ورواه ابن حبان في صحيحه، والنسائي والحاكم من طريق أخرى عن أبي تيمية، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أحمد من طريق خالد الحذاء عن أبي تيمية مختصراً. (٦)

الدلالات والفوائد التربوية:

١- حرص النبي ﷺ على تهذيب الألفاظ:

لقد كان ﷺ حريصاً على المصطلحات والألفاظ التي تصدر من الإنسان؛ حيث كان يعني بالألفاظ الخاطئة منها، ويضع بديلاً عنها يقوم مقامها، خاصة تلك الألفاظ التي تختمل أكثر من معنى، وقد بينا - فيما تقدم - كيف نهى الشارع المؤمنين عن قول "راعنا" للرسول ﷺ، مع أنهم ما قصدوا بها إلا الخير، وهو قصد الطلب وسؤال المراجعة وكانت عند اليهود مسبة وطعن، فنهاهم الله عن هذه الكلمة حتى لا يستغلها اليهود لمقاصدهم الفاسدة، وأعطاهم بديلاً عنها.

(١) سنن الترمذي (٧٢/٥).

(٢) البيان والتعريف (٢١/١).

(٣) المستدرک (٢٠٦/٤).

(٤) فتح الباري (٥/١١).

(٥) صحيح الترغيب والترهيب (٣٧/٣)، صحيح وضعيف أبو داود (٢/١).

(٦) السلسلة الصحيحة (١٨٣/٣).

وفي السنة يتجلى اهتمام النبي بكثير من الألفاظ وعنايته الفائقة بها، وذلك عن طريق النهي عنها واستبدالها بما هو أفضل منها.

وهذا الحديث الذي بين أيدينا له نظائر كثيرة، فمن ذلك نهي ﷺ عن تسمية العنب بالكرم؛ لأن الكرم هو الرجل المسلم، فخشية أن يأتي من يسب الكرم، فيظن الناس أنه يسب شجرة العنب، وهو يقصد أن الإسلام نهي عن ذلك، ونهي كذلك عن أن يقول الإنسان لعبده عبدي؛ لأن حقيقة العبودية لا يستحقها إلا الله، وصوب هذا الخطأ بالبديل وهو قوله ﷺ: "ولكن ليقل فتاي ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي".^(١) كما في الصحيح؛ لأنها ليست دالة على تعظيم المخلوق كاللفظ الأول المنهي عنه.

ومن ذلك قوله ﷺ: "لا يقل أحدكم خبث نفسي، ولكن ليقل قست نفسي".^(٢) ومع أنهما بمعنى واحد إلا أنه ﷺ كره التعبير بلفظ الخبث لبشاعة الاسم، وما يوحى به ويشير في النفوس من معانٍ لا تليق؛ ولأن المؤمن لا يوصف به، فكل خطأ نهي عنه أردفه ﷺ بالبديل الصواب وأرشده فيه إلى الأليق؛ مما يدل على حرصه ﷺ ودقته في تصحيح الأخطاء اللفظية التي قد يقع فيها الإنسان.

وفي هذا الحديث - أيضاً - نهي النبي ﷺ جابر بن سليم عن الابتداء في التحية بلفظ "عليك السلام"، فإن تحية الإسلام لا يجهلها أحد من الصحابة - رضوان الله عليهم؛ لأنها من الأمور المتكررة التي تحدث في اليوم مرات عدة، فلما رأى جهله أرشده إلى تصحيح خطئه بقوله: "لا تقل عليك السلام"^(٣)؛ معللاً له ﷺ هذا النهي عن الخطأ بأنها تحية الميت، "وقد أشكل حديث جابر على طائفة وظنوه معارضاً لما ثبت عنه ﷺ على الأمور بلفظ السلام عليكم بتقدم السلام، فظنوا أن قوله فإن عليك السلام تحية الميت

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨٧/٨) كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، والإمام مسلم في صحيحه (٣٢٥/١١) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى، وأخرجه أبو داود في السنن (١٥٤/١٣) كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب لا يقل خبث نفسي، والإمام مسلم في الصحيح (٣٢٧/١١)، وأبو داود في السنن (١٥٧/١٣) كتاب الأدب، باب لا يقال خبث نفسي عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً.

(٣) المعلم الأول فؤاد الشلهوب ص ٢٤.

إخبار عن المشروع، وغلطوا في ذلك غلطاً أوجب لهم ظن التعارض، وإنما معنى قوله ﷺ
إخبار عن الواقع المعتاد الذي جرى على ألسنة الناس والشعراء، فأنهم كانوا يقدمون اسم
الميت على الدعاء، والإخبار عن الواقع لا يدل على جوازه فضلاً عن كونه سنة، بل فيه
عنه مع إخباره بوقوعه يدل على عدم مشروعيته، والسنة في السلام تقدم لفظه على لفظ
المسلم عليه على الأحياء والأموات، فكره النبي ﷺ أن يُحيَا بتحية الموتى، ومن كراهته
لذلك لم يرد عليه". (١)

وذكر العلماء نكتة حسنة في هذا الحديث، وهي أن السلام دعاء بالخير والأحسن في
دعاء الخير أن يقدم الدعاء على المدعو له كقوله: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٣) (هود: ٧٣). أما الدعاء بالشر فيقدم المدعو عليه على
الدعاء غالباً لقوله لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (ص: ٧٨)، وقوله:
﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (الفتح: ٦).

ومن الشواهد التي تخص هذا الباب:

- عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا
عَبَّاسٍ، إِنِّي إِنْسَانٌ، إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِنْ صَنْعَةِ يَدَيَّ، وَإِنِّي أَصْنَعُ هَذِهِ التَّصَاوِيرَ، فَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا أَحَدُثُكَ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "مَنْ
صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا". فَرَبَّأَ
الرَّجُلُ رُبُوعًا شَدِيدَةً وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ. فَقَالَ: وَيَحَكَ إِنَّ أَيْتٍ إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ
بِهَذَا الشَّجَرِ، كُلَّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ. (٢)

- عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا:
السَّلَامُ عَلَى جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ

(١) زاد المعاد، ابن القيم الحوزية (٣٨٣/٢)، وبدائع الفوائد لابن القيم أيضاً (١٧٤/٢).

(٢) صحيح البخاري (٧٧٥/٢) كتاب البيوع، باب بيع التصاویر التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك.

تصحيح الخطأ بالقول

وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ
اللَّهِ الصَّالِحِينَ - فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ - أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " (١)

أهم النتائج التي يخلص إليها هذا البحث:

- على الدعاة والمربين والمصلحين ابتكار البدائل المباحة والنافعة التي توافق روح الشريعة الإسلامية، عن طريق الاستفادة من تقنية العصر بما يخدم مصلحة الدين.
- تهيئة البديل للمنهى عنه تسد فراغ المخطئ، ذلك الفراغ الذي قد لا يشغله إلا الشر أو الفساد.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦/١) كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة، الإمام مسلم في صحيحه (١٠٣/١) كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، والترمذي في السنن (٨١/٢) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في التشهد.

المبحث الخامس: العتاب على الخطأ

العتاب فن راقٍ وخطاب جميل، وهو دليل على المحبة، وقد عاتب الله ﷻ أحب الخلق إليه محمداً ﷺ لمجرد أنه عبس في وجه ابن أم مكتوم، وفي القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات التي سجلت ذلك الاستدراك والعتاب على الأنبياء والرسل والصالحين في بعض المواقف، وستبقى تُتلى إلى قيام الساعة ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِيبِينَ﴾ (التوبة: ٤٣)، ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ (التحریم: ١).

ولأن العتاب وسيلة تربوية في علاج الأخطاء، إلا أن كثرت قد تأتي بنتائج عكسية؛ لأنه يتحول حين ذاك إلى نوع من التوبيخ الذي تكرهه النفوس وتأتي سماعه، وهو - أيضاً - نوع من اللوم اللطيف الذي يهدف إلى تعديل السلوك وتصحيح الأخطاء بصورة لا تخرج عن حدود الأدب واللباقة.

وهذا الذي يلفت النظر في آيات المعاتبه كوغها تتسم بذلك، ولأن النبي ﷺ كان أحرص الأمة على الأمة، كان ﷺ يعاتب ويعتب على الخطأ، ويصارع المخطئ بعتابه له إذا رأى منه ما يستدعي ذلك، وفي الأحاديث النبوية كثير من ذلك من أظهرها:

١- عن عليٍّ عليه السلام قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَقَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنْ بِهَا طَعِينَةٌ وَمَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا". فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بَنَّا خَيْلَنَا، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِينَ النَّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُتَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَا تَفْعَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَخْذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ

الإسلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ صَدَقَكُمْ". فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".

٢- عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقْصِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُغْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أَنْاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِينَا مَلَكَ آخَرَ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرْغِ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "نَعَمْ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ" فَكَانَ بَعْدَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا.

تصحيح الخطأ بالقول

٥/١٩- عن علي عليه السلام قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَقَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا". فَانْطَلَقْنَا تَمَادَى بَنَّا خَيْلَنَا، حَتَّى التَّهَيْتُنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَغْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَا تَفْعَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَلْفِهَا، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ التَّسَبُّبِ فِيهِمْ أَنْ أَخْجِذَ عَنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ صَدَقَكُم". فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا، وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَذْرِ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٧٩/١)، وأخرجه البخاري في الصحيح (٢٤١/١) كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس: والتجسس: التباحث، وقول الله تعالى: "لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" رقم ٣٠٠٧، وأخرجه في (٣٤٩/١) كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ رقم ٤٢٧٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١١٦/١) كتاب المناقب، باب من فضائل حاطب بن أبي بلتعة وأهل بدر رضي الله عنهم، رقم ٦٤٠١، وكذا أخرجه أبو داود في السنن (١٤١٩/١) كتاب الجهاد، باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً رقم ٢٦٥٠، والترمذي في السنن (١٩٩٠/١) كتاب التفسير، باب من سورة الممتحنة رقم ٣٣٠٥، جميعهم من طريق الحسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع رضي الله عنه.

وتوبع عبيد الله بن أبي رافع في علي عليه السلام، فقد أخرج البخاري - رحمه الله - في صحيحه رواية في (٥٢٧/١) كتاب الاستئذان، باب مَنْ نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره رقم ٦٢٥٩، وأخرجه - أيضاً - في (٥٧٨/١) كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتلهم، باب ما جاء في التأولين رقم ٦٩٣٩، وكذا الإمام مسلم في الصحيح (١١١٦/١) كتاب المناقب، باب فضائل أهل بدر عليه السلام وقصة حاطب بن أبي بلتعة رقم ٦٤٠٢، من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عليه السلام، كلاهما (عبيد الله بن أبي رافع عليه السلام، وأبي عبد الرحمن السلمي عليه السلام، عن علي عليه السلام جميعاً عن النبي ﷺ).

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - العتاب نوع من التأنيب اللطيف:

إن التأمل لسيرة المعلم الأول ﷺ يجد فناً راقياً في كيفية تعامله مع أخطاء أصحابه عليه السلام وغيرهم، فلو تأملت هذه القصة، فإنك تجد منه عظيم العفو والغفران حتى للأخطاء الجسيمة التي قد لا يمكن أن يُصَفَّح عنها، فليس في شريعته السمحة أخطاء لا تحتمل العفو ولا ذنب لا يمكن أن يُغْتَفَر.

وانظر كيف قابل ﷺ خطأ حاطب عليه السلام بجميل العتاب الذي ترى فيه رقة الخطاب منه عليه السلام مع المخطئ في مناداته له باسمه "يا حاطب ما هذا؟" ^(١) مستفهماً منه عليه السلام عن سبب هذا الخطأ الذي بدر منه، ثم - أيضاً - الملاحظ أن الرسول ﷺ كان يسير في معالجته للأخطاء على خطوات معينة دقيقة جداً، تسبق مرحلة الحكم على الخطأ، بداية من تثبته من وقوع الخطأ من الإنسان، وقد جاءه الخبر ها هنا من أوثق المصادر وأصدقها ألا وهو الوحي من الله ﷻ؛ حيث أوحى إليه سبحانه بنجر المرأة حاملة الكتاب الذي أرسله حاطب، وأين مكانها، وأين خبأته، حتى كان الصحابة عليه السلام على ثقة ويقين من صدق علم الرسول ﷺ بما معها؛ حيث جاءت محاورتهم مع المرأة جادة وبأسلوب الأمر الجازم

(١) هي رواية الباب ص ١١٢.

"أخرجني الكتاب"^(١)، ولم يسألوها أمعك كتاب أم لا؟ ثم لما تمادت في الإنكار هددوها بتجريدتها قائلين: "لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب"^(٢).

ثم لما تأكد الرسول ﷺ وجاءه الصحابة بالكتاب، وقرأه وعلم أنه من حاطب إلى مشركي قريش استدعاه ليستفسر عن الأسباب التي جعلته يقع في هذا الخطأ، وهذه خطوة ثانية منه ﷺ في معالجة الخطأ، وهي مسألة مهمة جداً من جهة المربي؛ لأنه سيتدرب عليها نوع العقاب وموقف المربي من المخطئ.

وحذا لو سلك المربون نهج النبي ﷺ في الثبوت ومعرفة دوافع المخطئين، لكان حكمهم أقرب إلى الصواب منه إلى غيره، كما فعل النبي ﷺ حين قال له: "ما حملك على ما صنعت؟" وترك له فرصة ليبيد أعذاره دون مقاطعة أو تكذيب؛ حيث تحدث ﷺ عن الدافع وراء فعله حين يقول: "فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي"^(٣).

"لم يهجره ﷺ ولا عاقبه مع أنه جَسَّ عليه، وإنما لم يعاقب النبي ﷺ حاطباً ولم يهجره؛ لأنه قبل عذره في أنه إنما كاتب قريشاً خشية على أهله وولده، وأراد أن يتخذ عندهم يداً فعذره بذلك"^(٤).

وقدّر النبي ﷺ لحظة الضعف البشري التي قد تعترى الإنسان في بعض المواقف، وعلم أن خطأ حاطب ليس إلا حالة نفسية من الصراع الذي كان يعيشه بين حب الأهل والخوف عليهم، وكان المشركون حين ذاك يؤذون قرابته أشد الأذى، وبين حبه لله ورسوله وولائه لدينه، فأحب أن يتخذ عندهم يداً يحمي بها أهله، فكان هذا هو الذي دفعه وأوقعه في الخطأ.

(١) المرجع السابق.

(٢) رواية الباب أيضاً.

(٣) هي رواية الباب سبق تخريجها راجع ص ١١٢.

(٤) فتح الباري، لابن حجر (١٢٠/٨).

وفي هذا الحديث ما يكشف عن منحنيات النفس البشرية العجيبة، وتعرض هذه النفس للحظات الضعف البشري مهما بلغ من كمالها وقوتها، وأنه لا عاصم إلا الله من هذه اللحظات فهو الذي يعين عليها.

فتأمل كيف أنه ﷺ ينظر إلى العثرة من خلال إدراكه الواسع الشامل للنفس البشرية على حقيقتها ومن كل جوانبها".^(١) ولم يكن منه ﷺ إلا أن وصفه بالصدق بعد سماعه ونهى أصحابه عن إيذائه حتى ولو بالقول".

وفيه من الفوائد أن مَنْ وقع في الخطأ لا ينبغي أن يحجده، بل يعترف ويعتذر لئلا يجمع بين ذنبين".^(٢)

٢- الاستماع للرأي المخالف للمخطئ ثم محاولة إقناعه إن تيسر:

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الموقف ينظر إلى العثرة ذاتها نظرة المؤمن الجاد الحازم فيثور لها حسه؛ ولذلك ناقش النبي ﷺ في قبوله عذر حاطب رضي الله عنه مع أن الرسول ﷺ قال: "صدق لا تقولوا له إلا خيراً" لكن عمر عاد رضي الله عنه إلى القول في حاطب مرة أخرى "دعني أضرب عنق هذا المنافق"^(٣)، ولم يعنف الرسول ﷺ عمر على هذا مع أنه ﷺ موبد بالوحي لسعة صدره ﷺ، وقد ورد في بعض الروايات هذا الحديث^(٤) أن عمر رضي الله عنه كلمه بشأن قتل حاطب مرتين، ومن سعة حلمه واتساع صدره لأصحابه رضي الله عنهم كان يستمع إليهم كما مع عمر ويحاول إقناعه" فأما المرة الأولى فكان عمر رضي الله عنه فيها معذور؛ لأنه لم يتضح له عذره في ذلك، وأما الثانية فكان قد اتضح عذره، وصدقه النبي ﷺ، ونهى أن يقولوا له إلا خيراً، فرجع قول النبي ﷺ أو ليس قد شهد بدرًا؟، حينها انتقاد عمر لحكم رسول الله ﷺ قائلاً: "الله ورسوله أعلم". وفيه تأدب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشفافية نفوس الصحابة ورجوعهم إلى الحق.

٣- الشدة أسلوب تربوي وافق النبي ﷺ عمر رضي الله عنه عليه:

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (١٧٧/٧) بتصرف يسير.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣١٠/١٢).

(٣) هذا اللفظ موجود في رواية الباب.

(٤) صحيح البخاري (٢٥٤٣/٦) كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتلهم، باب ما جاء في التأويلين.

ففي هذا الموقف ظهر غضب عمر رضي الله عنه على ما بدر من حاطب في إفشائه سر النبي ﷺ، فدل على جواز الشدة على بعض المخطئين بالقول، وأنه من الأساليب الشرعية في معالجة الخطأ لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فلا أضرب عنقه". فأقره الرسول ﷺ على هذا التوبيخ الشديد وتأديبه حاطباً بهذا القول القوي، ولم يوافق على قتله.

قال الإمام الأبي: "وفيه الشدة على أهل المعاصي بالقول والفعل وبالسب تأديباً لهم".^(١) وفيه أنه لا يصح أن نبني تصورات سلبية عن الأشخاص مجرد وقوعهم في الخطأ، فعمر رضي الله عنه استأذن رسول الله ﷺ في قتل حاطب وقال إنه نافر، فصار منافقاً في نظره؛ لكنه في نظر مربي الأمة العظيم مخطئ زلت قدمه فأعادته إلى الصف، والذي يظهر أن النفاق شيء والمعصية شيء آخر، والله أعلم.^(٢)

٤ - ضرورة الموازنة بين حسنات المخطئ لعلها تشفع له:

إذا كان عذر المخطئ لا يقاوم خطأه، بأن كان خطأه أشد خطورة، فإنه يصار إلى هذه الخطوة المهمة، وفيها يتم جمع حسنات المخطئ، ثم حشدها إلى جانب ذلك الخطأ، فقد ينغمر في بحر تلك الحسنات، وقد راجع النبي ﷺ سجلات حاطب وأعماله الصالحة فوجد فيها أنه قد شهد بداراً، فكان هذا كافياً لقبول عذره وعدم معاقبته، بعد أن كانت العقوبة قائمة لولا هذه المزية.

وهي أهم خطوة سلكها النبي ﷺ؛ لأنها حالت دون إيقاع العقوبة بالمخطئ، وإلا فالجاسوس يُقتل حتى لو قال لا إله إلا الله دون استثناء؛ لكن الرسول ﷺ لم يمنعه من قتل حاطب رضي الله عنه إلا كونه من أهل بدر، وهي مزية لن تحصل إلى يوم القيامة".^(٣)

وقد ذكر ابن القيم كلاماً مفيداً حول هذا حيث قال: "وإن من قواعد الشرع والحكمة - أيضاً - أنه من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل

(١) إكمال إكمال العلم، للأبي (٤١٥/٨).

(٢) انظر حول الاستماع لرأي الآخر كتاب الخلاف آدابه وأسبابه، للشيخ عايش القرني (١٣/١).

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين رحمه الله (٥٩/١).

له ما لا يحتمل من غيره، ويُعفى عنه ما لا يُعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث بخلاف القليل منه، فإنه يحمل أدنى خبث، ومن هذا قول النبي ﷺ: "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم"، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتيب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغفرة في جنب ما له من الحسنات.

ولما حض النبي ﷺ على الصدقة فأخرج تلك الصدقة العظيمة قال ﷺ: "ما ضر عثمان ما عمل بعدها، وهذا موسى كليم الله ألقى الألواح التي فيها كلام الله حتى تكسرت، ولطم عين ملك الموت ففقاها، وعاتب ربه ليلة الإسراء والمعراج، وكل هذا لم ينقص من قدره شيئاً عند ربه، فإن الأمر الذي قام به موسى والعدو الذي أودى به في الله أمر لا تؤثر فيه أمثال هذه الأمور".^(١)

ثم إن النبي ﷺ لم يقف في معالجة قضية حاطب عند هذا الحد، بل رد له اعتباره عندما أرسله إلى المقوقس ملك مصر ليدعوه إلى الإسلام، ليشعره بثقته ﷺ به واطمئنانه له، ويزرع ثقته في نفسه.

على أنه يجب أن يُعرف أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها؛ مما يدل على عدم إسقاط ما يتوجب عليهم من الحدود في الدنيا، فإن النبي ﷺ ضرب مسطحاً وكان بدرياً يوم أن قذف عائشة - رضي الله عنها - وعمره ﷺ حد قدامة بن مظعون حين شرب الخمر وهو بدري.

وفيه من الفوائد: العفو عن زلة ذوي الهيئة، وفيه جواز غفران ما تأخر من الذنوب قبل وقوعه".^(٢)

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (/) باختصار، وانظر - أيضاً - حول هذا مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح الحميد (٤٢/١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣٠٥/٧)، وعمدة القارئ، للعيني (٤٩/٢٢).

٥/٢٠ - عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَ يَأْتِيَنِي فَذَهَبَ بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُخْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أَنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِينَا مَلَكَ آخَرَ فَقَالَ لِي: لِمَ تُرْعِ؟ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ" فَكَانَ بَعْدَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد (٨٥/١٣) رقم ٦٠٨٤، والبخاري في صحيحه (٨٧/١) كتاب التهجيد، باب فضل قيام الليل رقم ١١٢١، وفي (٧٩/١٢) كتاب المناقب، مناقب عبد الله ابن عمر ﷺ، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٤/١٢) كتاب المناقب، باب فضائل عبد الله ابن عمر ﷺ من طريق معمر عن الزهري عن سالم ﷺ، وكذا في سنن الدارمي (٤٢٥/٦) كتاب الرؤيا، باب في القمص والبئر واللبن والعسل والتمر، وغير ذلك رقم ٢١٥٢، صحيح البخاري (٩٠/١) كتاب قيام الليل، باب فضل من تعار من الليل فصلى رقم ١١٥٢، من طريق نافع كلاهما (سالم، ونافع)، عن عبد الله ابن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ.

الدلالات والفوائد التربوية:

- ١ - عاتب الرسول ﷺ عبد الله ابن عمر ﷺ لتركه قيام الليل بأسلوب المدح والثناء: عندما عاتب النبي ﷺ عبد الله بن عمر ﷺ كما ترى في الحديث ابتدأ بجوانب الصواب التي فيه قبل أن يلفت نظره إلى الخطأ، وهو تركه قيام الليل؛ لتكون تلك النصيحة منه ﷺ فاعلة ومؤثرة في النفس، فأتى عليه بنعم الرجل، والثناء والتشجيع وتبسيط الضوء على مكان الكمال في النفس البشرية والإشادة بما منهج نبوي كريم، يراد منه بعث النفس على الزيادة وإثارة النفوس الأخرى نحو الإبداع والمنافسة، ويستفاد منه - أيضاً - في تدعيم سلوك معين، أو التوجيه إلى عمل مهم يحسن اكتسابه.

وكم يبعث التشجيع في نفس المتعلم من حب للعلم، وكم يساعد على تسارع خطوات التربية نحو الأمام، على عكس ما يأتي به كثرة اللوم والتأنيب أو السكوت عند الثناء عند كل نجاح أو تفوق".^(١)

ولذا أدرك النبي ﷺ أهمية الثناء في تدعيم السلوك الإيجابي لدى الإنسان، فتعامل به مع أصحابه ﷺ سواء في تصحيح سلوكياتهم الخاطئة، أو في تحفيزهم على السلوك الصالح الذي قد يضرهم تركه، كما فعل ابن عمر ﷺ، فأحدث ذلك الثناء انقلاباً في حياته ﷺ، والمدح إنما علق على القيام، فانظر كيف أثرت تلك الكلمات البسيطة منه ﷺ في المتربي؛ لكن الثناء لا يكون دون ضوابط تحكمه، وعلى هذا فإن المربي لا بد أن يكون صادقاً فيما يثني به على الممدوح، وأن يتوسط فيه؛ لأن المبالغة فيه تفقده قيمته، وتُشعر مَنْ يسمعه بأنه ثناء غير صادق ولا جاد، ثم يؤمن فيه من الفتنة على الممدوح من حدوث الكبر، أو دخول العجب، أو الفتور مع سماعه عن العمل الصالح.

ألا ترى أن النبي ﷺ هَمَى الرجل المادح في قوله: "ويلك قطعت عنق صاحبك".^(٢) أما إذا انتفت الموانع وتحققت الضوابط فإن الممدوح لا يزداد بهذا الثناء إلا كمالاً ونشاطاً على العمل والدوام على الخير^(٣)؛ لأن الثناء يعد من التحفيز الذي يحرك السامع إلى سلوك أفضل مما هو عليه، وينمي داخله الدافعية، وإذا نظرت في القرآن الكريم تجد الكثير من الآيات التي يبرز فيها التحفيز للخير، إما بالحث على القيام به، أو الثناء على فاعله كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿آل عمران: ١٣٣﴾. وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) ﴿ص: ٣٠﴾.

(١) أساليب نبوية في التربية والتعليم، إبراهيم صالح الدحيم (٢٠٩/٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٢٢/٤١)، والبخاري في الصحيح (١٥٠/٩) كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجلاً كفاه، وفي (١٣٨/١٩) كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك.

(٣) انظر: المدح.. أنواعه وضوابطه، حمود الحارثي (٣٢/١٢١).

ولا تخلو السنة كذلك، فمن هذا كثير استخدمه النبي ﷺ في تربيته وتعليمه، ولُمست آثاره العظيمة في نجاح العملية التربوية، والمربون اليوم وغيرهم ممن يحمل هم الدعوة أو مَنْ يُعنى بالتعليم هم "أحوج ما يكونون إلى غرس الثقة في النفس والشعور بالقدرة على الإنجاز في ظل جيل يعاني الإحباط، وتسبق هواجس الإخفاق تفكيره في أي خطوة بخطوها، أو مشروع يُقدم عليه، في حين أن اللوم والنقد يسهمان في تكريس الشعور بالفشل ونموه في النفس، فيضيفه صاحبه إلى تجاربه المخففة".^(١)

ومقتضى الحديث: أن مَنْ كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل.

وفيه من الفوائد ما يدل على توعده الله عبادَه، وجواز تعذيبهم على ترك السنن؛ لأن النبي ﷺ نظر في أحوال عبد الله فلم يرَ شيئاً يغفل عنه من الفرائض فيُذكر بالنار، وعلم أنه كان ينام في المسجد، ومن حق المسجد أن يتعبد فيه، فبه على ذلك بالتخويف من النار، وفيه الستر على المسلم، وترك غيبته؛ لأن ابن عمر رضي الله عنهما رأى أناساً في النار ولم يذكرهم، وسكت عن بياهم لئلا يغتابهم، وسكت عنهم، وفيه أن قيام الليل منجاة من النار، وفيه مدح ابن عمر رضي الله عنهما والتنبية على صلاحه، وفيه فضل عبادة الشاب".^(٢)

ومن الشواهد التي تدل على اللوم والعتاب:

- أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَعْمَرِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَاعًا مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَأَتَانِي بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ الصَّوَاعِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةٍ غُرْسِي، فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لَشَارِفِي مَتَاعًا مِنَ الْأَقْتَابِ وَالْعَرَائِرِ وَالْحَبَالِ، وَشَارِفَايَ مُتَاخَنًا إِلَيَّ جَنْبَ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَرَجَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ، فَإِذَا شَارِفَايَ قَدْ اجْتَبَّ أَسْنِمَتُهُمَا، وَبَقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا، فَقُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ فَقَالُوا: فَعَلَ حَزْمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ

(١) الشفاء المضبط وسيلة تربوية، محمد الدويش.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٦/٣)، وعمدة القارئ، للعيني (٢٤٨/١١).

ﷺ فِي وَجْهِ الَّذِي لَقِيتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " مَا لَكَ؟ " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، عَدَا حَمْرَةٌ عَلَى نَاقَتِي فَأَجَبْتُ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، وَهَذَا هُوَذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرِبْتُ. فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِرِدَائِهِ فَأَرْتَدَيْتُ ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي، وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْرَةٌ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنُوا لَهُمْ فَإِذَا هُمْ شَرِبُوا، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُلَوِّمُ حَمْرَةَ فِيمَا فَعَلَ، فَإِذَا حَمْرَةٌ قَدْ نَمِلُ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ، فَتَنْظُرُ حَمْرَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ صَعَدَ النَّظْرَ فَتَنْظُرُ إِلَى رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظْرَ فَتَنْظُرُ إِلَى سُرَّتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظْرَ فَتَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: حَمْرَةٌ هَلْ أَتَمُّ إِلَّا عَبْدٌ لِأَبِي؟ فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ نَمِلَ، فَتَكَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقْبَيْهِ الْقَهْقَرَى وَخَرَجْنَا مَعَهُ. ^(١)

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: صَلَّى بَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: " يَا فُلَانُ! أَلَا تُحَسِّنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَاللَّهِ! لَا أَبْصِرُ مَنْ وَرَائِي، كَمَا أَبْصِرُ مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ ". ^(٢)

(١) أخرجه البخاري (١٥٦٩/٣) كتاب الخمس، باب فرض الخمس، ومسلم في الصحيح (١٥٦٩/٣) كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن النحر والبسر والزبيب وغيرها مما يسكر، وأبو داود في السنن (١٤٩/٣) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب بيان مواضع الخمس وسهم ذي القربى.
(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٣١٩/١) كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها.

النتائج التي خلص إليها هذا المبحث:

- العتاب نافذة واسعة يمكن من خلالها مخاطبة الآخرين، لكن يحذر فيه من أن يتحول إلى نوع من التوبيخ.
- لا بد من التوثق من دقة النقل وصدق الخبر قبل العتاب، وأن يُشعر المخطئ بالإنصاف خاصة إذا كان صادقاً في إبداء العذر.
- على المربي أن يقدر لحظات الضعف البشري التي قد تمر بمن معه.
- رحمته ﷺ بأصحابه والتماسه العذر لهم حتى لو كانت تلك الأخطاء جسيمة وتسبب فشل خطة عسكرية، أو تحت ظل ظروف الحرب التي لا تلتبس فيها المعاذير.
- إن النبي ﷺ يعامل المخطئ بمنطق العدل لا بمنطق الغضب.
- إن فرض العقوبة على المخطئ بعد اعتذاره وندمه ومكانته في الفضل والسبق أسلوب ليس في محله، لا سيما مع قول النبي ﷺ: "أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا حداً من حدود الله".^(١)
- الكلمة الطيبة عند العتاب مطلب مهم في إصلاح الخطأ.
- إن ترك العقاب يعد في بعض الأحيان نوعاً من أنواع العقاب؛ حيث إنه يشعر المخطئ معه بالندم من فعله والخلج من المربي.

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٤٤٧/١١) كتاب الرجم، باب في الحد يشفع فيه عن عائشة - رضي الله عنها - قال الألباني في صحيح وضعيف أبي داود (٢/١) صحيح.

المبحث السادس: إعطاء المخطئ فرصة لمعرفة الخطأ وتصحيحه

هناك نوع من الأخطاء لا تُعالج مباشرة ساعة وقوعها، إنما ينتظر المربي ليأخذ المخطئ فرصته لتصحيح خطأه، ولا تتم هذه الصورة - في الغالب - إلا عن طريق ممارسة المخطئ السلوك الخاطئ حتى يهتدي إلى الصواب أو يطلبه؛ لأن التوجيه النظري وحده دون تدعيم بالتطبيق والممارسة تكون فائدته ضعيفة على المتلقي.

ومن هنا فإن النبي ﷺ كان في مرحلة التعليم والتصحيح مهتماً بالتوجيه والتعليم النظري، دون إهمال أو نسيان للتطبيق العملي الذي يزيد التعليم ثباتاً واستمراراً، وقد مارس ﷺ هذه الإستراتيجية التربوية على الصغير والكبير، وبدأ آثارها في معالجة الخطأ كبيرة ونافعة.^(١)

ويرى كثير من التربويين أن هذا الأسلوب هو أقوى الأساليب وأكثرها أهمية وأجدرها ثباتاً وبقاءً، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والعمل، والنظرية والتطبيق، وهذا لا يلغي أهمية التوجيهات والنصائح النظرية، إلا أن أثرها الفعلي في تعديل السلوك والتفكير وتغيير الاتجاهات يظل محدوداً ما لم يرتبط بتطبيقات عملية وأنماط سلوكية، يمارسها المخطئ أو المتعلم لتحول فيه المعاني والمفاهيم إلى نمط ثابت.

وقد اشتمل القرآن الكريم والسنة على عدد كبير من هذه النماذج السلوكية العملية، حول كيفية التصرف في مختلف المواقف الحياتية، وليس فقط في مواقف العبادة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيهِ أَنْ آكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ٣١) علم ابن آدم كما في هذه الآية عملياً.

(١) انظر: كيف نعالج أخطاء أبنائنا، لعبد الله عبد المعطي (١، ٤٢) بتصرف.

ويترك هذا الأسلوب في التربية آثاراً تربوية مهمة في تنشئة الفرد؛ إذ يعوده الدقة في العمل وتوخي صحة النتائج، وشعوره بالمسؤولية، وتواضعه وحيه العمل كما تؤدي إلى زيادة السرعة في الإنجاز. (١)

ومن الأحاديث التي تندرج تحت هذا الأسلوب ما يلي:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ السَّلَامَ، فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ فَمَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلَّمَنِي، قَالَ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَأْسَكَ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا".

٢- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفْرِ عَلَى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَأَحْسِنِ وَضُوءَكَ" فَرَجَعَ ثُمَّ صَلَّى.

٣- عَنْ كِلْدَةَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ بِلَبَنٍ وَلَبَنٍ وَصَغَائِسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّبِيِّ ﷺ بِأَعْلَى الْوَادِي قَالَ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَسْلَمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "ارْجِعْ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ". وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ صَفْوَانُ.

(١) انظر حول أهمية هذا: كتاب أصول التربية الإسلامية لمحمد شحات الخطيب وآخرين ص ١٢٢، ومداخل إلى أصول التربية الإسلامية، محمد عبد الرحمن الدخيل ص ١٣٥، التربية الإسلامية وتحديات العصر، عبد الغني عبود ص ٢١٨.

٦/٢١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ السَّلَامَ، فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ فَمَا أَحْسَنُ غَيْرَهُ، فَعَلَّمَنِي، قَالَ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠٣/١٩) رقم ٩٢٦٠، والإمام البخاري في صحيحه (٦٠/١) كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر، وما يجر فيها وما يخاف رقم ٧٥٧، وفي كتاب صفة الصلاة (٦٣/١) باب استواء الظهر في الركوع رقم ٧٩٣، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح (٧٤٠/١) كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها رقم ٨٨٥، وأبو داود في سننه (١٢٨٦، ١) كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود رقم ٨٥٦، والإمام الترمذي في السنن (١٦٦٨/١) كتاب الصلاة، باب ما جاء في وصف الصلاة رقم ٣٠٣، والنسائي في المجتبى (٢١٤٤/١) كتاب الافتتاح، باب العمل في افتتاح الصلاة رقم ٨٨٥، وفي (٢١٥٥/١) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه، وفي صحيح البخاري (٥٢٦/١) كتاب الاستئذان، باب من رد فقال: عليك السلام رقم ٦٢٥٠، وكذا (٥٥٦/١) كتاب الإيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الإيمان رقم ٦٦٦٧، وابن ماجه في السنن (٢٥٨٣/١) كتاب إقامة الصلوات، باب إتمام الصلاة رقم ١٠٦٠، عن سعيد المقبري. كلاهما (سعيد، وأبوسعيد المقبري) عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ؛ حيث رواه مرة بواسطة أبيه، عن أبي هريرة ؓ، ومرة مباشرة عنه.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - أهمية الممارسة في التعليم:

هذا الحديث أحد شواهد السنة النبوية التي مارس فيها النبي ﷺ استراتيجية التطبيق التي قدمنا لأهميتها في التربية والتعليم؛ حيث إنه يبرز أهم جوانب تلك الممارسة الفعلية كالنشاط الذاتي، وتمكين المتعلم من استعمال قدراته العقلية في الفهم والاستيعاب، والتعلم عن طريق التجربة الشخصية، ومن ثم مساعدته بالتوجيه والإرشاد اللازم إذا لم يحسن التعلم أو اكتساب المعارف والخبرات.

فقد ترك النبي ﷺ هذا الصحابي الذي أساء في صلاته يعيدها مراراً وتكراراً، ليحاول هو بالممارسة العملية والتجربة الذاتية التفتن إلى أخطائه فيها، ليقوم هو بنفسه بإصلاحها حتى يكون ذلك أرسخ في ذهنه حين يحاول ويخطئ، ثم يهتدي إلى الطريقة الصحيحة في كيفية أداء الصلاة، فتثبت عملية التعلم على مر الزمن ^(١) فكانه ﷺ أوكله بداية إلى علمه ليرى ﷺ هذا التصرف منه ناتج عن علم دون عمل أو هو عن جهل، فلكل واحدة منها أسلوب وطريقة مختلفة يتم التعامل فيها على حدة.

ولهذا كان يقول له في كل مرة: "ارجع فصل فإنك لم تصل". ليرى منه ذلك في كل مرة لعله يحسنها ويتعرف على الخلل الحاصل فيها في المرة الثانية أو الثالثة، وفي فعله ﷺ "دليل على أن من أساء في الصلاة فإنه يؤمر بإحسان صلاته مجملًا حتى يتبين أنه جاهل فيعلم ما جهله". ^(٢)

واستشكل تقريره ﷺ على صلاته وهي فاسدة ثلاث مرات على القول بأن النفسي للصحة، وأجيب بأنه أراد استدراجه بفعل ما جهله مرات، لاحتمال أن يكون فعله

(١) انظر: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد الزنتاني ص ٢١٤ بتصرف.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٢٣/٦).

ناسياً أو غافلاً فيتذكر بفعله من غير تعليم، أو يكون لم يعلمه أولاً ليكون أبلغ في تعريفه وتعريف غيره بصفة الصلاة المجزئة، ولتفخيم الأمر وتعظيمه في نفسه.^(١)

وفي رده ﷺ للمتعلم فائدة أخرى حيث يرجعه ﷺ في كل مرة ليصلي هذه الصلاة التي لا تجزئ منه، من أجل أن يتشوق ويزداد شغفه لمعرفة الصواب، وهذا مطلب مهم في عملية التعليم.

مع أن النبي ﷺ كان قادراً على تعليمه من أول مرة، لكنه ﷺ لم يستخدم معه التعليم المباشر للوصول إلى أسلوب التشويق هذا، "حتى يأتيه العلم ويكون كالمطر النازل على أرض يابسة تقبل الماء، ولهذا أقسم بأنه لا يحسن غير هذا، وطلب من النبي ﷺ أن يعلمه، ومن المعلوم أن النبي ﷺ سيعلمه، لكن فرق بين المطلوب والمجلوب، إذا كان هو الذي طلب أن يُعَلِّم صار أشد تمسكاً وحفظاً لما بلغ إليه، وتأمل قسمه بالذي بعث الرسول ﷺ بالحق، ولم يقل والله من أجل أن يكون معترفاً غاية الاعتراف بأن ما يقوله النبي ﷺ حق".^(٢) حتى علمه صفة الصلاة، ومعروف أن الشيء إذا جاء على الحاجة يكون أشد قبولاً في النفس.

وفي بعض الروايات قال المخطئ: "فأرني وعلمي فلإنما أنا بشر أصيب وأخطئ".^(٣) فتأمل كيف تركه النبي ﷺ بين خيارين، إما أن يحاول ويعدل سلوكه بنفسه، وإما أن يعجز عن ذلك فيطلب ويسأل عن السلوك الصحيح، وهذه الممارسة منه ﷺ هي الأصل الذي تنادي بمثله التربية الحديثة مما تسميه التعلم بالمحاولة والخطأ.^(٤)

٢- القدوة من أهم أساليب تعديل السلوك:

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/٢٨٠) تحفة الأحوذى للمباركفوري (٢/٢٠٦).

(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (١، ٦٨)، والضياء اللامع من الخطب الجوامع للمؤلف أيضاً (٢، ٤١٠).

(٣) سنن الترمذي (٢، ١٠٢) كتاب الصلاة، باب ما جاء في وصف الصلاة رقم ٣٠٢، عن رفاعة بن رافع مرفوعاً وقال الترمذي: حديث رفاعة حديث حسن.

(٤) انظر: أصول التربية للنحلاوي ص ٢٣٥ وما بعدها، وأساليب التربية والتعليم، للشيخ أمين محمد عوض ص ٣٨، وكذا أصول التربية الإسلامية لسعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧، التربية أصولها ومنهجها وعلمها، عاطف السيد ص ٦٨، المدخل إلى أصول التربية الإسلامية لعبد العزيز المعايطة ص ٩٦.

كثيراً ما تتغير سلوكيات الأفراد بسبب ما يلاحظون من سلوك الآخرين كنموذج يحتذون به، بل إن معظم علماء التربية وغيرهم ممن يُعنون بدراسة الإنسان يرون أن أغلب السلوك الإنساني مكتسب من جهة النموذج أو القدوة، وهذا إنما يرجع إلى غريزة التقليد لدى الإنسان، فيرى ما لا يستطيع تطبيقه، فيحاكيه، ويحاول أن يحذو طريقته.

حين نقوم نحن كمعلمين أو مربين بهذا الأسلوب فإن المخطئ أماناً يكشف الجوانب السلبية في سلوكه، وينسخ السلوك الجديد في ذاكرته، حتى يبقى عالقاً لفترة من الزمن تبقى طويلاً، ومعنى هذا أن أسلوب النمذجة يقلل السلوك غير المرغوب فيه أيضاً؛ ولذا كان المصطفى ﷺ يستخدم هذا النوع في التعليم أولاً، فكان يأمر أصحابه بأن يتعلموا صلاته ﷺ فهو النموذج أمامهم فيقول: "صلوا كما رأيتموني أصلي" ^(١) وفي تعديل الخطأ كذلك يعطي المخطئ نموذجاً من خلال مشاركته له بالتوضيح والبيان، فالمربي يعطي وصفاً للسلوك الصحيح ويوجه المخطئ حتى يفهم الطريقة المقصودة من كلامه ويطبقها المخطئ بنفسه، فيكون قد شاركه بالبيان والتعليم حتى أوصله لإتقان الأمر الذي يريد.

وهذا النوع هو المقصود في حديث النبي ﷺ في صلاته؛ حيث تركه يعتمد على نفسه في تصحيح سلوكه، لكنه لما عجز عن الصواب وصف له عن طريق المشاركة النموذج الأمثل، فكان أشد ما يكون وقفاً على نفس المتعلم حين ذاك، ولا يخفى أثر تلك الطريقة على تغيير السلوك. ^(٢)

٣ - الملاحظة التربوية:

ملاحظة النبي ﷺ للخطأ دون أن يشعر المخطئ به، وهذه صفة بارزة في المربي الأول ﷺ وتجدها في الكثير من الأحاديث الشريفة، كان ﷺ يلاحظ الخطأ وينكره ويوجه المخطئ للصواب، ثم يكله إلى نفسه في الامتثال ولزوم طريق الجادة، كما حدث هنا

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٢٢٦/١) كتاب الأذان، باب بين كل أذانين صلاة لمن أشاء.

(٢) انظر: تعديل السلوك الإنساني، لجودت عزة عبد الهادي ص ٧٨، وعلم النفس التربوي وتطبيقاته محمد البليسي وآخرون ص ٢٣١، العلاج السلوكي وتعديل السلوك، لويس كامل مليكه ص ١٠٤.

فقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يدل على ملاحظة النبي ﷺ للمخطئ في صلاته من أول دخوله المسجد قال الراوي: "ورسول الله ﷺ يرمقه و لا يشعر".^(١) وما أحوج كثير من الناس اليوم أن يقال له بعد صلاته: "ارجع فصل فإنك لم تصل". لما ينقصها من الخشوع والطمأنينة فيها.

وهذا النوع من الملاحظة والحرص من المربي يهتم به علماء التربية وينشدونه في التعامل ويسمونه التربية بالملاحظة، وهي من أفضل أسس التربية وأظهرها، وتعد هذه التربية أساساً جسده النبي ﷺ في ملاحظته للأفراد التي يعقبها توجيه منه ﷺ والنصح والإرشاد للمخطئ، فقد كان ﷺ "ينتبه إلى أفعال الناس حوله لكي يعلمهم، فمن صفة المربي أن يكون يقظاً لأفعال من معه".^(٢)

ومن هنا فإنه لحري بالمربين أن ينتبهوا لمن هم تحت أيديهم؛ خاصة من يقع عليهم العبء الأكبر في التربية وهم الآباء والأمهات، فإن أكثر ما يكون من أسباب الانحراف هو ما ينتج عن إهمال الملاحظة لسلوكيات الأبناء الأخلاقية والاجتماعية، فلا يعرفون من يصاحبون ولا مع من يجلسون ومن يتأثرون، وما هي الأفكار التي يتبنونها والتصورات التي يرونها، بل إن بعض الآباء في غفلة شديدة حتى عن مستوى تحصيل أبنائهم الدراسي هل هم منضبطون أم لا؟ وهذه مشكلة كبيرة جداً قد تنجم عنها انحرافات خطيرة في معظم جوانب شخصيته.

"والتابعة لا تعني السيطرة المستمرة للأبوين، وإنما تعني متابعة ودودة مباشرة أو غير مباشرة، المتابعة تعني أن نعطي لأبنائنا وقتاً لمتابعتهم منذ الصغر، ومن خلال فترة المراهقة بالمعيشة والتوجيه الحسن، نتابع أفعالهم، وحركاتهم، وأقاربهم، وأخبارهم في المدرسة، ومن خلال ذلك نقوم ونصحح ونعلم ونناقش".^(٣)

(١) أخرج الرواية الإمام أحمد في المسند (٤، ٣٤٠)، النسائي في المجتبى (١، ٢١١٤) كتاب السهو، باب الرخصة في ترك الذكر في الركوع.

(٢) الأساليب النبوية للتعامل مع أخطاء الناس، للشيخ محمد المنجد ص ٦٣.

(٣) تربية المراهق في رحاب الإسلام، محمد الناصر، حولة درويش ص ١٧١.

وهذه التربية تتطلب من المربي زيادة الوعي والمعرفة من جميع الجوانب بمجالها الخلقية والنفسية والاجتماعية، وأن يكون له إلمام بكل اهتمامات الأبناء واحتياجاتهم؛ لأنه كلما ارتقى المربي في جوانب المعرفة كان أقدر على الملاحظة. ^(١)

وفي الحديث من الفوائد: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه حسن التعليم بغير تعنيف، وإيضاح المسألة وتخليص المقاصد، وطلب المتعلم من العالم أن يعلمه، والتسليم للعالم والانقياد له، والاعتراف بالتقصير، والتصريح بحكم البشرية في جواز الخطأ، وفيه حسن خلقه ﷺ ولطف معاشرته وتأخير البيان في المجلس للمصلحة." ^(٢)

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، محمد راتب النابلسي ص ١٠، وتربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد الدويش ص ٢٧٢، تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان ص ٦٩٥.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٢ / ٢٨٠).

٦/٢٢- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفْرِ عَلى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وَضُوءَكَ". فَرَجَعَ ثُمَّ صَلَّى.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢١/١) رقم ١٣٤، وفي (٢٣/١) رقم ١٣٥، وكذا الإمام مسلم في صحيحه (٧٢١/١) رقم ٥٧٦ كتاب الطهارة، باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة، وابن ماجه في السنن (٢٥١٦/١) أبواب الطهارة وسننها، باب من توضع فترك موضعاً لم يصبه الماء رقم ٦٦٦، جميعهم من طريق أبي الزبير عن جابر عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً. وله شواهد من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخالد بن معدان عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- المتابعة التربوية مطلوبة من قبل المربي:

لا تتوقف مهمة المربي على إلقاء المعلومات وسردها، بل لا بد منه أن يتأكد أن كل تلك المعارف والخبرات التي يقدمها قد تم إتقانها على الوجه الصحيح؛ بحيث تسلم من وقوع الأخطاء فيها، فقد نعلم أبناءنا ونتوقع أنهم فهموا منا ذلك؛ لكن لا نلبث أن نرى الخطأ وقع منهم بعد التعليم بفترة.

وقد صحح النبي ﷺ مثل ذلك فقد علم البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاء النوم؛ لكنه لما رده عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخطأ في كلمة واحدة حيث قال: "وبرسولك الذي أرسلت". فقال ﷺ: "لا وبنيك الذي أرسلت".^(١)

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٩٧، ١) كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، والإمام مسلم في الصحيح (٢٠٨١، ٤) كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، وأبو داود في السنن (٣١١، ٤) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، والترمذي في سننه (٤٦٨، ٥) كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه.

وهذا يجعلنا نقول إن مرحلة التعليم تحتاج من المربي إلى متابعة ودونها ينقص دوره؛ لأن المربي الذي لا يتقن المتابعة أو يجيدها لا يصلح للتربية إطلاقاً؛ إذ يظل عمله بلا فائدة؛ لأنه يقدم جهوده في التربية لكنها بغير توجيه مستمر تضيع سدى.

والمتابعة أسلوب تربوي استخدمه النبي ﷺ مع أصحابه - رضوان الله عليهم - فقد كان يتابعهم في جميع أمورهم، فكان ﷺ يتابع أحوالهم الاجتماعية، ومشكلاتهم النفسية والاقتصادية والصحية، يتابعهم في إتقان صلاتهم وأمورهم التعبدية؛ لأن "التربية عملية مستمرة لا يكفي فيها توجيه عابر من المربي مهما كان مخلصاً ومهما كان صواباً في ذاته، إنما يحتاج إلى متابعة وتوجيه مستمر، ثم إن المتلقي نفس بشرية دائمة التقلب متعددة المطالب، متعددة الاتجاهات، وكل قلب وكل مطلب وكل اتجاه في حاجة إلى توجيه ومتابعة دائمة ومستمرة".^(١)

ولذا أدرك الصحابة رضي الله عنهم أهمية ذلك منه فكانوا يهتدون بهديه ﷺ، ويأتون بطريقته، ويتابعون الكثير من أمور رعاياهم وتلاميذهم. فهذا أبو هريرة رضي الله عنه أدرك أهمية متابعة المتعلمين أثناء التطبيق، فكان يمر على التابعين وهم يتوضئون في المطهرة ويحثهم على تحسين الوضوء ويقول: "أسبغوا الوضوء فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: ويل للأعقاب من النار".^(٢)

والمتابعة التربوية عملية صعبة تحتاج من المربي إلى صبر ومصابرة واحتساب؛ لكنها تعود بآثارها الإيجابية على العمل فتقويه، وهي وسيلة من وسائل نجاح التربية، أما على الفرد فتعالج جوانب القصور فيه، وتعزز نقاط القوة لديه، وتشعره بالثقة لاهتمام المربي به ومتابعته له، ثم إن الخطأ قد يقع في لحظات التطبيق والممارسة فيحتاج - أيضاً - إلى متابعة كما حدث مع هذا الرجل في الحديث، فلم يهمل النبي ﷺ متابعته في الوضوء الذي علمهم إياه؛ حيث أبصره ﷺ وقد ترك موضع ظفر على قدمه لم يغسله بالماء، فأمره بإحسان وضوئه.

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ١٠٤.

(٢) كيف نعالج أخطاء أبنائنا، عبد الله عبد المعطي ص ٤٤.

وإما أن يكون النبي ﷺ يعني بالإحسان إعادة الوضوء من جديد، فعلى هذا فمن الحكمة في التعليم أن يعيد المخطئ العمل إذا لم يأت به على الوجه الممكن حتى يتقنه، وإما أن يكون النبي ﷺ يقصد بقوله: "أحسن وضوءك". أي: أكمله على الصواب، وهذا يعني أنه يكفي في ذلك أن يبل الموضع الناقص منه.

"قال النووي: قال بعض العلماء هذا الحديث يدل على عدم وجوب إعادة الوضوء؛ لأنه أمر فيه بالإحسان لا بالإعادة، والإحسان يحصل بمجرد إسباغ غسل ذلك العضو؛ لأنه لم يقل له اغسل الموضع الذي تركته".^(١)، وسواء كان أتم الوضوء بالإعادة أو بالإحسان المهم أن النبي ﷺ أمره بتعديل السلوك الخاطئ بأي طريقة تجعله يأتي به على الوجه الشرعي المطلوب؛ بحيث لا يترك أي جزء من أجزاء الأعضاء التي يجب استيعابها إلا أسبغ غسله.

ولعل ما يسمى اليوم بالتقييم للصفوف الأولى من التعليم، إنما هو شكل من أشكال المتابعة التربوية للطالب، تتم فيه معرفة جوانب الضعف والقوة لديه، والتعرف على مستوى أدائه.

(١) شرح النووي على مسلم (١٣٢/٣)، وانظر: عون المعبود (٢٠٢/١)، وشرح أبي داود للعيني (٤٠١/١).

٢٣/٦- عَنْ كَلْدَةَ بِنِ حَنْبَلٍ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، بَعَثَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَلَجَنٍ وَجَدَايَةَ وَضَعَايِسَ وَالتَّبِيَّ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَدَخَلَتْ وَلَمْ أَسْلَمْ، فَقَالَ: "ارْجِعْ فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ"، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ.

التخريج:

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤١٤) وابن سعد في الطبقات من طريق الضحاك بن مخلد، وجاء عند ابن سعد مقروناً بروح بن عباد.

وأخرجه الترمذي (١/) باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان، كتاب العلم، وفي أخبار مكة للفاكهي (٣/ ١١١) وأبو داود في السنن (٤/ ٣٣٤) كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، وفي المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ١٨٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٣٩) من طريق روح بن عباد .

وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧١) باب إذا دخل ولم يستأذن من طريق أبي حفص بن علي .

وعند ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٩٧) وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ٣٩٢) من طريق أبي عاصم.

والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١٦٩) باب الضغائيس وفي موضع آخر من السنن أيضاً (٦/ ٨٧) باب كيف يستأذن وفي عمل اليوم والليلة (١/ ٢٨٠) من طريق حجاج .

ثلاثتهم (روح بن عباد، وأبو حفص بن علي، وأبو عاصم) عن ابن جريج عن عمرو بن أبي سفيان عن عمرو بن عبد الله بن صفوان أن كلدَةَ بن حنبل رضي الله عنه .

دراسة الإسناد:

ابن جريج هو الإمام العلامة الحافظ عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج، شيخ الحرم، حدث عن ابن أبي مليكة، ونافع، وعنه روح، وأبو عاصم، وأمم سواهم، قال يحيى بن معين: ثقة في كل ما روي عنه من الكتاب، وهو ثقة حافظ لكنه يدلّس بلفظه، قال

الإمام أحمد: إذا قال ابن جريج قال فاحذر منه، وإذا قال سمعت أو سألت جاء بشي ليس في النفس منه شيء، ثقة فقيه فاضل من السادسة وكان يرسل ويدلس، مات سنة خمسين ومائة. (١)

وعمر بن أبي سفيان بن صفوان بن أمية الجمحي روى عن ابن عم أبيه عمرو بن عبد الله بن صفوان، وعبد الله بن الزبير، وعنه ابن جريج والثوري قال أبو حاتم: مستقيم وقال النسائي: ثقة، وكذا يحيى ابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حجر: يقة من الخامسة. (٢)

وقد روى هذا الحديث عنه عمرو بن عبد الله بن صفوان القرشي الجمحي، سمع منه عمرو بن أبي سفيان، وسمع من كلدة وهو من عباد التابعين يروي عن عدد من أصحاب النبي ﷺ قال ابن سعد: كان قليل الحديث وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حجر - رحمه الله - : صدوق شريف من الرابعة. (٣)

كلدة بن حنبل البغوي الأسلمي، روى عن عمرو بن صفوان ويقال : أنه أخو صفوان بن أمية لأمه، ويقال ابن أخيه، ويقال: صحابي كما في التقريب. (٤)

وعن ابن جريج رواه روح بن عبادة أبو محمد القيسي روى عن شعبة، وعمران بن حيدر، وعنه الإمام أحمد، والمديني وكتب عن ابن جريج، سئل يحيى بن معين عنه فقال: صدوق ثقة، وقال ابن أبي حاتم: صالح محله الصدق، (٥) وهو ثقة فاضل له تصانيف من التاسعة، مات سنة خمس أو سبع ومائتين. (٦)

(١) سير أعلام النبلاء (٣٢٥/٦)، الجرح والتعديل (٣٥٦/٥)، التقريب (٣٦٣/١).

(٢) تهذيب التهذيب (٣٧/١)، الكاشف (٧٧/٢).

(٣) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (٨٤/١)، تقريب التهذيب (٤٢٣/١)، الكاشف (٨٢/٢).

(٤) الإصابة (٦١٩/٥)، تقريب التهذيب (٤٦٢/١).

(٥) الجرح والتعديل (٤٩٨/٣).

(٦) التقريب (٢١١/١)، الكاشف (٣٩٨/١).

تصحيح الخطأ بالقول

وعن روح الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني روى عن إسماعيل بن عليه، وسفيان بن عيينة، وعنه البخاري ومسلم قال القطان حبر من أحبار الأمة، وقال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه منه. (١)

الحكم على الحديث:

الذي يظهر أن الحديث صحيح وقد صرح ابن جريج في أغلب الروايات بالسماع بلفظ "حدثنا وأخبرني" والله أعلم.

حكم العلماء على الحديث:

قال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن جريج، ورواه أبو عاصم عن ابن جريج مثل هذا. (٢)

وصححه الإمام الألباني - رحمه الله - (٣)

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - التصحيح الذاتي بغية التأديب أو نحوه:

يسعى النبي ﷺ من خلال تربيته أصحابه أو أفراد المجتمع أن يكون سلوكهم سلوكاً حميداً ومستمراً عليه، ويحاول ﷺ أن يصحح الخطأ ما أمكن إذا صدر من المخطئ برده إليه لإعادته، وقد فصلنا القول - فيما مضى - عن ذلك، وبقي أن ننوه هنا إلى أن المربي قد يحتاج إلى أن يستخدم قاعدة مهمة في ميدان التربية كنوع من طرق العقاب؛ لكنه يسمّى عقاباً إيجابياً لمساهمة في تقليل السلوكيات السلبية، وفي الوقت نفسه يعزز عند المخطئ سلوكيات إيجابية.

فالمعروف أن العقاب يقمع السلوك السلبي غير المرغوب؛ لكنه لا يكسب المخطئ أي نوع من التعليم أو الخبرات الجديدة كأساليب التربية الأخرى؛ لأنه يكبت السلوك

(١) تهذيب التهذيب (٦٤ / ١) .

(٢) سنن الترمذي (٦٤ / ٥) .

(٣) صحيح الأدب المفرد للألباني (٤٣٠ / ١)، وكذا في صحيح وضعيف أبي داود (٢ / ١)، وصحيح وضعيف

الترمذي (٢١٠ / ٦) .

لفترة ثم لا يلبث - أحياناً - أن يعود إلى الظهور مرة أخرى، بخلاف هذا النوع فهو أفضل طرق العقاب؛ لأنه يقوم على أساس تجربة ذاتية تعزز الإيجابية وفردية من المخطئ نفسه، فيكون أكثر رسوخاً وأعمق في نفسه؛ لأنه هو الذي يمر بها ويمارسها ألا وهي طريقة التصحيح الذاتي أو تصحيح الوضع، وتعد أحد الأساليب العلاجية؛ حيث يُطلب فيه من الفرد إصلاح ما أفسده أو ما جرّه سلوكه من مفساد.

"ويشتمل على توبيخ الفرد بعد قيامه بالسلوك غير المقبول مباشرة، وتذكيره بما هو مقبول، ومن ثم يُطلب منه إزالة الأضرار التي نتجت عن سلوكه غير المقبول، أو تأدية سلوكيات نقيضة للسلوك غير المقبول الذي يُراد تقليله بشكل متكرر لفترة زمنية محددة".^(١)

وتظهر أهميته من ناحية التعاقب والفورية في تصحيح الخطأ، ولأن التصويب يكون ذاتياً بتوجيه من المربي ولا يقوم أحد به نيابة عنه، وقد مارس النبي ﷺ أسلوب التصويب الذاتي للخطأ في كثير من مواقف التربية والتعليم منها هذا الحديث؛ حيث بعث له صفوان بن أمية مع أخيه بلبن وبعض من حشيش يؤكل، فدخل كلدة ﷺ على النبي ﷺ ولم يستأذن، فجعله ﷺ يصوب خطأه بنفسه بأن يخرج ويستأذن، وذلك لدخوله عليه بغير إذن ودون سلام أيضاً.

ويظهر من هذا حرص النبي ﷺ على تعويد أصحابه على الاستئذان، لا سيما مع حديثي العهد بالإسلام والجهلة من الأعراب، ويُلاحظ هنا أن التصحيح الذاتي الذي استخدمه النبي ﷺ كان من جنس العمل الذي تركه المخطئ، بحيث يكون واضحاً ومحددًا له أن هذا الفعل بسبب تركه الصواب من الآداب، وبذلك تكون الرسالة الموجهة إلى المخطئ واضحة وصریحة؛ فلا يكرهه القيام بجميع الأخلاق والآداب بسبب معاقبتنا له.

(١) تعديل السلوك الإنساني، لجمال الخطيب ص ١٩٠.

٢- مواقف يتعذر فيها التصحيح الذاتي:

إن استخدامه ﷺ هذا النوع من الأسلوب لا يعني أنه يصلح لكل موقف تربوي، فبعض المواقف يتعذر فيها القيام بالتصويب، كأن يكون المخطئ صغير السن لا يستطيع فهم هذا القاعدة، أو لا يمكنه إصلاح ما أثلغه أو ما شابه، فلا بد أن تكون واقعية تلائم قدرات الفرد الفكرية والجسدية.

وقد استخدم النبي ﷺ هذا النوع من الممارسة الإيجابية في أكثر من حديث، فالرجل الذي جاء يبايعه ﷺ على الهجرة تاركاً أبويه يكيان جعله ﷺ يصوب خطأه بإضحاحهما بعد أن أبكاهما بسبب فراقه حيث قال له: "ارجع عليهما فأضحكهما كما أبكيتهما".^(١) والذي اكتتب في غزوة وترك امرأته تحج دون محرم، أرجعه ليصلح خطأه في الحال".^(٢)

وهذا الأسلوب يمكن استخدامه في المدرسة والمترل، يستخدمه المعلم في تصويب أخطاء الطلاب الإملائية؛ بحيث يكرر كتابة الجملة الخاطئة، وكذا مع الأطفال، فإن له تأثير كبير وعميق في تهذيب وتنمية سلوكهم؛ لأنه يقوم على التدريب العملي لهم. كما أكدت الدراسات الميدانية في علم النفس أن التصحيح الذاتي من أكثر الوسائل التربوية المفيدة مع الأطفال الذين يحملون السلوك العدواني، بل إن كثيراً من أعمال الشغب والفوضى التي يمارسها الطفل في المترل أو في المدرسة غير المرغوب فيها يمكن مواجهتها وعلاجها بهذا الأسلوب الناجح؛ لأنها تقوم على إطفاء السلوك السلبي أو تقليله، وتعرف المخطئ الخطأ والصواب في آن واحد.^(٣)

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٦٠/٢)، وابن ماجه في السنن (٩٣٠/٢) كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان، وأبو داود في السنن (١٧/٣) كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو وأبواه كارهان، والنسائي في المجتبى (٧)، (١٤٣) كتاب البيعة، باب البيعة على الهجرة من طريق عمرو بن العاص ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩٤/٣) كتاب الجهاد والسير، باب اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجّة، والإمام مسلم في الصحيح (٩٧٨/٢) كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره عن ابن عباس ﷺ.

(٣) انظر: الاضطرابات السلوكية وعلاجها، د. جمعة سيد يوسف ص ٢٢٤، تعديل سلوك الأطفال، جمال الخطيب ص ٦١، الاضطرابات السلوكية، جمال مقال القاسم وآخرين ص ١٨٦.

ومن هنا نرى أن معلم البشرية ورائد التربية ﷺ يستخدم أسلوب الممارسة بأشكالها كافة في جميع جوانب تربية الفرد، دون اقتصار على الشعائر الدينية وحدها لتشمل كل أنماط سلوك الحياة وكل الآداب والأخلاق، مثل آداب التحية، وآداب المسجد، وآداب الاستئذان، وغيرها.

ومن الشواهد على هذا المبحث:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ تَوَضَّأَ وَتَرَكَ عَلَى قَدَمَيْهِ مِثْلَ مَوْضِعِ الظُّفْرِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ ". (١)
- عَنْ خَالِدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي وَفِي ظَهْرِ قَدَمِهِ لُمْعَةٌ قَدَرُ الدَّرْهَمِ لَمْ يُصْبِحْهَا الْمَاءُ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعِيدَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ. (٢)

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (٢١٨/١) كتاب الطهارة، باب من توضأ فترك موضعاً لم يصبه الماء، وأبو داود في السنن (٤٤/١) كتاب الطهارة، باب تفريق الوضوء .
(٢) أخرجه أبو داود في السنن (٤٥/١) كتاب الطهارة، باب تفريق الوضوء .

النتائج التي خلص إليها هذا المبحث:

- التربية العملية أجدر الأساليب على البقاء والرسوخ والثبات.
- إن الممارسة العملية قد تكون من المربي، لكنها إذا تمت من المخطئ نفسه تكون أدعى إلى القبول وأقوى في تثبيت السلوك الصحيح، أضف إلى ذلك أنه يوقظ الفطنة في ذهن المتعلم كلما حاول أو أعاد السلوك غير المرغوب فيه.
- هذا الأسلوب يختصر الطريق على المربي، ويوفر له الوقت والجهد، أما المتربي فيزيده اقتناعاً بالسلوك الصحيح، ويحقق فيه مبدأ الذاتية.

المبحث السابع: الدعاء على المخطئ

كان النبي ﷺ أرفق الناس وألينهم مع المخطئ، وكان متلطفاً في كل أموره، ولا أدل ولا
أصدق على وصفه بذلك من وصف الله له في قوله تعالى ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
أَلَمِهِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ثم وصف أصحابه - رضوان الله عليهم - له في كثير من الأحاديث، ثم ثناؤه هو ﷺ
على الرفق واعتماده ﷺ عليه منهجاً أساسياً في حياته، وسيرته تدل على ذلك، ولولا
هذا الخلق العظيم فيه لما تمكن ﷺ من استقطاب الناس حول دعوته ورسالته، إلا أنه -
أحياناً - قد يضطر المربي أو تقتضي بعض مواقف التربية التعامل مع الخطأ بشيء من
الغلظة والشدة بدافع تأديب المتربي، خاصة إذا كان معانداً مخالفاً لأوامر الله ﷻ وأوامر
رسوله ﷺ، بلا عذر منه، فيلجأ إلى الدعاء عليه أمامه وعلى مسمع منه.

ولأن المربي الناصح أشبه ما يكون بالطبيب الذي يختار من العلاج ما يناسب حال المريض،
وقد لا يزول المرض إلا بشيء من الجفوة والغلظة، فكذلك المربي الناصح في تعامله بهذا
الأسلوب.

ولذلك قد يغلظ الرسول ﷺ على أمثال هؤلاء المخطئين فيعاقبه بالدعاء عليه، لكن هذا لم
يكن هدفاً له يمثلله - دائماً - معهم، إنما كان هدیه الراتب له ﷺ في كل أحيانه وديدنه
في جميع أموره الرفق كما أسلفنا، ومن تلك الأحاديث التي دعا فيها النبي ﷺ على
المخطئ ما يلي:

١- عَنْ إِبَاسُ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: "كُلْ يَمِينِكَ". قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: "لَا أَسْتَطِيعُ". مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ،
قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.

٢- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا صَلَّى قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَيَّ
الْحَمَلِ الْأَحْمَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا وَجَدْتُ إِلَّا بُنَيْتَ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ".

٧/٢٤- عَنْ إِيَّاسُ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: "كُلْ بِيَمِينِكَ" قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: "لَا اسْتَطَعْتُ". مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥٦/٣٣) رقم ١٥٨٩٦، والدارمي في السنن (٢٢٦/٦) كتاب الأطعمة، باب الأكل باليمين، والإمام مسلم في الصحيح (١٠٣٩/١) كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما رقم ٣٧٦٦ من طريق عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه رضي الله عنه.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- الدعاء على المخطئ صورة من صور التأديب:

إن الدعاء على المخطئ أمر لا تخفى عواقبه على أي أحد، ذلك من حيث احتمال موافقته لساعة الإجابة، ونهي النبي الصريح عن الدعاء على الأنفس والأولاد أو غيره مما أنعم الله به عليه.

لكن المربي قد يحتاج إلى هذا الأسلوب النبوي إذا اضطره الموقف التربوي إليه، واستحق المخطئ ذلك لمخالفته للمنهج الشرعي عمداً منه وبلا عذر، كما حصل مع هذا الرجل وهو بسر الراعي في هذا الحديث، فقد رآه النبي ﷺ يأكل بشماله، فنهاه عن ذلك ﷺ، ويحتمل أن يكون فعله لذلك ابتداءً جهلاً منه بالسنة في حكم الأكل بالشمال، لكن النبي ﷺ عرفه بما فقال: "كل بيمينك". أي كما هو الأدب المندوب المحبوب إرشاداً له للأفضل، فأخذته نفسه فلم ينقد للحق، واعتذر بما ليس كذلك في الواقع، وهو عدم الاستطاعة لعله تمنعه من إعمالها، ويحتمل - أيضاً - أن يكون ذلك منه أول الأمر عناداً واستكباراً، فأصابه ما أصابه". ^(١) فدعا عليه النبي ﷺ بأن يصيبه فعلاً فيها بأمر لا

(١) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، محمد البكري الصديقي (٢٦/٦)، وكذا شرح رياض الصالحين، لابن

عثيمين (١٥٧/١)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٦٧/١٧).

يستطيع معه رفع يده اليمنى إلى فمه، فأجاب الله دعوته ﷺ فأصيبت بالشلل وصارت يابسة جافة لا يستطيع أن يحركها أبداً عوقب بهذا والعياذ بالله.

وإنما دعا عليه ﷺ هذه الدعوة مع كمال رحمته ومزيد عفوه ورأفته بالمؤمنين، لما رأى منه من الكذب في الاعتذار والاستكبار على دين الله ﷻ وعدم الانقياد للحق، ففيه جواز الدعاء على مَنْ قصد الخروج عن الشريعة ومخالفة السنة النبوية عمداً منه وبعداً عن متابعة السنة، ولهذا قال النووي - رحمه الله -: "وفيه جواز الدعاء على مَنْ خالف الحكم الشرعي بلا عذر، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل واستحباب تعليم الأكل آداب الأكل إذا خالفه".^(١)

ويتبين من ذلك - أيضاً - أن الأكل بشماله عاص لله ولرسوله، وأثم مشاهمه للشيطان وقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣). قال ابن طاهر: "فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف، فانظر كيف وصل إليه شؤم فعله".^(٢)

(١) فيض القدير للمناوي (١ / ٢٧٩).

(٢) موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ (١، ٢٣٨).

٧/٢٥- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا صَلَّى قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا وَجَدْتُ، إِنَّمَا بُنِيتِ الْمَسَاجِدَ لِمَا بُنِيتَ لَهُ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥/٤٧) رقم ٢١٩٧٣، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦٤/١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن إنشاد الضالة رقم ١٢٦٢، وابن ماجه في السنن (٢٥٢/١) كتاب المساجد والجماعات، باب النهي عن إنشاد الضوال في المسجد، والنسائي في السنن (٢١٣٣/١) كتاب المساجد، باب النهي عن إنشاد الضالة في المسجد، من طريق سليمان بن بريدة، عن أبيه ﷺ.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- للعقاب صور وإشكال عدة:

قد يتبادر إلى ذهن المربين عند ذكر كلمة (العقاب) أن المقصود هو أسلوب الضرب، لكن هذا غير صحيح؛ إذ إن العقاب تتعدد صورته وأشكاله في التربية، ويمكن للمرء أن يختار منها ما يتناسب مع المخطئ من حيث درجة الخطأ، ويجب عليه أن يعلم أن حواس الإنسان الخمس لها تعلق بالعقاب ونوعيته؛ حيث إن هذه الحواس هي منافذ العقاب التي تستخدم مع المخطئ، فإذا تأملنا القرآن الكريم، نجد أن الله ﷻ عاقب الكافرين في النار بما يسبب لهم شدة الألم والعذاب عن طريق جلودهم، فتكون هذه عقوبة عن طريق الإحساس للشمس، ومثل هذا في المعلم الذي يستخدم الضرب في التربية، فإنه يوقع العقاب على الجسد عن طريق هذه الحاسة، ولذلك فإن الله - سبحانه وتعالى - يحرق جلود أهل النار ويجدها في كل مرة، نكاية بهم حيث قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

بَذَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾
(النساء: ٥٦).

أيضاً هذا ممكن في حاسة السمع، وهي التي تعيننا هنا، وهي أحد منافذ العقوبة، يمكن استخدامها عن طريق إسماع الفرد ما يكون سبباً للومه وتوبيخه عن طريق الكلام، وهذه صورة بسيطة إزاء تلك الصور الأخرى على أن يستخدمها الرب كوسيلة لردع المخطئ بحدود، فلا يسمعه تلك الكلمات التي تكون سبباً في تحطيم الذات وانعدام الثقة، كقوله: يا فاشل. يا مهمل. أو غيرها مما تصدر من بعض المعلمين والمعلمات في حق المتعلم، فمثل هذا ليست من العقاب العلاجي في شيء؛ لأننا نهدف من العقاب تقليل السلوك غير المرغوب فيه ما أمكن، ويوقع الألم في نفسه بقدر يجعله ينفر من فعله، لا أن يترك آثاراً نفسية تعود على شخصية المخطئ وتبقى فترات طويلة.

وهذا النوع ذكر كذلك في القرآن الكريم؛ إذ هو من العقاب الموجه إلى أهل النار؛ حيث يذكرون بعضياهم لأمر الله في الدنيا، فيكون كالتقريع لهم من خزنة جهنم، قال تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾

(الزمر: ٧١). وغيرها من الآيات في مثل هذا النوع كثير في القرآن الكريم. ^(١)

وهذا ما استخدمه النبي ﷺ كصورة من صور العقاب السمعي مع المخطئ هنا، لما سمع ﷺ رجلاً ينشد جملة في المسجد دعا عليه بألا يجده وألا يرده الله إليه. "وهذا من باب التعزير له، كما أمر النبي ﷺ بعدم تشميت العاطس إذا لم يحمد الله، ولو فتح المجال للناس أن ينشدوا عن الضوال في المسجد، لامتألت المساجد من أصوات الناشدين وأهوا الناس عن ذكر الله وعن الصلاة". ^(٢)

(١) هذه الفكرة استفدنا من الدكتور إبراهيم الحسينان بجامعة الملك سعود من مقالة له عبر الشبكة العنكبوتية.

(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٢٥١٤/١).

تصحيح الخطأ بالقول

وفي هذا عقوبة له على مخالفته وعصيانته وفعله ما نهى عنه من ذلك، وزجراً له عن ترك تعظيم المسجد، فإنها لم تَبْنِ لمثل هذا، وحيث إن الضالة من بهيمة الأنعام، فالأولى صيانة المسجد عن ذلك، ففيه دليل على جواز الدعاء على الناشد في المسجد بعدم الوجدان، معاقبة له في ماله معاملة له بنقيض قصده، قال ابن رسلان: ويلحق بذلك مَنْ رفع صوته فيه بما يقتضي مصلحة ترجع إلى الرافع صوته، وفيه النهي عن رفع الصوت بنشد الضالة^(١). أما قوله ﷺ: فإن المساجد لم تَبْنِ لهذا، فيحتمل أن هذه الكلمة يضيفها إلى قوله: لا وجدت، ويحتمل أنها تعليل للحكم من النبي ﷺ، وأنها لا تُقال مع الدعاء، لكن إن قيلت تطيب لقلب المخطئ فحسن، وإنما بنيت للذكر، والعبادة، وقراءة القرآن، وطلب العلم، وما أشبه ذلك.^(٢)

وقد بنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجة خارج المسجد تسمى (البطيحاء)، وخصصها لمن نشد ضالة ونحو ذلك؛ تعظيماً وصيانة للمسجد.

إن من حق المربي أن يلجأ - في بعض الأحيان - إلى ما ترتدع به النفوس الشاردة، وترعوي به القلوب الجاحدة من الدعاء عليهم؛ معاقبة منه ﷺ للمخالف العاصي، والنبي ﷺ كالشخص يغضب ويرضى، ولما رأى الرجل يدعو إلى الجمل الفلاني في مكان لا يليق فيه النشد عن الضوال غلبه ﷺ طبع البشرية، فغضب لانتهاك حرمة المسجد. من أجل هذا دعا على المخطئ.

ومن كمال شفقه ﷺ وعظيم رحمته بأمنته وجميل أخلاقه ﷺ أنه سأل ربه ﷻ أن يجعل دعاءه مغفرة ورحمة لمن دعا عليه وقربة وطهوراً له، وإنما كان يقع هذا منه ﷺ نادراً؛ لأنه لم يكن فاحشاً ولا سباباً ولا لعاناً ﷺ، وهذا احتياطاً منه ﷺ ورغبته في كل ما ينفعهم، فخشى أن يكون أحد المخطئين ممن هو ليس بأهلٍ للدعاء عليه، لا من جهة ظاهر المخطئ، بل في باطن الأمر يكون ليس مستحقاً لهذه الدعوة، والنبي ﷺ لا يحكم إلا بظواهر الأمور، فيظهر له ﷺ بأمانة شرعية أن المخطئ مستحق لهذه العقوبة فيستخدمها

(١) نيل الأوطار، للشوكاني (٢١٤/٣)، فيض القدير، للمناوي (٤٥٨/١).

(٢) انظر: وظيفة المسجد في المجتمع، صالح بن ناصر الحزيم (٢٥/١)، وفصول ومسائل تتعلق بالمساجد، لعبد الله بن

جبرين (٣٣/١).

تصحيح الخطأ بالقول

معه زجراً له، وأحياناً يكون دعاؤه ﷺ عليه مما خير بين فعله عقوبة للجاني أو تركه والزجر له بما سوى ذلك، فيكون الغضب لله ﷻ بعثه على الدعاء، وليس في ذلك الغضب خروج عن شرعه وعصمته ﷺ في سلوكه وخلقه، بل في ذلك دلالة على بشرته حيث كان يقول ﷺ: "إنما أنا بشر أَرْضَى كما يَرْضَى البشر، وأغضب كما يغضب البشر".^(١)

وقد يكون ما جرى من دعائه ﷺ على أحد ليس بمقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب كقوله: "عقرى حلقى"، و"تكلتك أمك"، فخاف ﷺ أن يصادف من ذلك إجابة، فسأل الله ﷻ أن يجعل ذلك رحمة وكفارة للمدعو عليه.^(٢)

وأخيراً أقول: إنه في مجال التربية وغيرها من العلوم مبدأ التعميم بالغ الأهمية، فلا تستطيع أن تعمم تجربة العقاب دون دراسة الحدود التي أجريت فيها كما يظهر هنا في الحديث، فإنه كان مختصاً برجل يعاند ويتكبر، وعلى مَنْ؟ على النبي ﷺ، فاستحق ما جاء عليه من الدعاء، وعلى هذا لا يمكن أن تعمم الدعاء على المخطئ في كل موقف تربوي.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٢٣٣٩/٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٩/٤).

(٢) انظر حول هذا: شرح الإمام النووي على مسلم (١٥١/١٦)، فتح الباري، لابن حجر (١٧٢/١١)، عون

المعبود، لشمس الحق العظيم آبادي (٢٧١/١٢)، الرسول المعلم ومنهجه في التعليم ص ٣١.

النتائج التي خلص إليها هذا البحث:

- فيه بيان أن المخالف لسنة المصطفى ﷺ معرض للعقوبة في الدنيا والآخرة، وذلك حسبما يقع منه من إعراض.

- الإعراض والتكبر عن النصيحة مصيبة قد تأتي بأمور لا تحمد عقباها.

- يحتاج المخطئ المعاند إلى أن يُعامل بشيء من الشدة والقوة ليرتدع عن اتباع هواه.

- إن النبي ﷺ لم ينتهج هذا الأسلوب مع المتري إلا في حالات نادرة، وفي أضيق الحدود؛ لما له من عواقب وخيمة على المدعو عليه.

وعلى هذا فليحذر الربون والمريبات كالأمهات وغيرهن من الدعاء على أبنائهم مهما كانت درجة سلوكياتهم، فإن الدعاء عليهم في لحظات الغضب يجر هلاكاً عليهم في الدنيا، وهو بعيد عن منهج النبوة في دعوته للناس، ومنافٍ للخلق الإسلامي ومخالف لمبادئ التربية.

ثم ما يحدثه من أثر - في ظني - على نفسية المخطئ وعلى أخلاقه وقربه من المربي، ولا يليق بالأبوين وهما مظنة الرحمة والشفقة أن يدعوا على أبنائهما بالشر، فقد صح في الحديث قصة جريج العابد ودعاء أمه عليه بأن يريه الله وجوه المومسات^(١)، وكيف تحققت هذه الدعوة كما ورد في الصحيح، ولو دعت عليه أن يفتن بمن لا فتن.

ومن هنا - أيضاً - فإنه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ألا يدعون على العصاة من المسلمين لوقوعهم في الأخطاء، وأن يستبدلوه بالدعاء لهم بالهداية والصلاح، اللهم إلا المعاند المجافي للحق بعد البيان له، فإنه قد يعالج بمثل هذا الأسلوب، وليعلم الربون أن الدعاء للمخطئ وسيلة من وسائل تعديل السلوك، وله أهمية كبيرة في تغييره وحصول الخير به، ويدل على ذلك فعل النبي ﷺ، فإنه لما جاءه

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٨٧٨/٢) كتاب المظالم، باب إذا هدم حائطاً فلين مثله، وفي (١٢٦٨/٣)

كتاب الأنبياء أيضاً، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا ^(١) فوضع النبي ﷺ يده على صدره ودعا له: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه. لم يكن ذلك الفتي يلتفت إلى شيء من ذلك بعد، ولم يكن شيئاً أبغض إليه من الزنا.

وفي قصة أبي مخذورة لما رجع النبي ﷺ من حنين وسمعهم يؤذنون بالصلاة، فجعل يؤذن يستهزئ بهم، فلما انتهى الأذان سأل النبي ﷺ عن ذلك، فأخبر أنه أبو مخذورة فناداه ومسح على ناصيته ودعا له حتى قال أبو مخذورة: مربي يا رسول الله بالتأذين. فأمر له وذهب يؤذن بمكة بأمر من رسول الله ﷺ. ^(٢)

فتأمل كيف استغل النبي ﷺ هذا الموقف ليخرج فيه موهبة من حسن صوته لم تكن تخطر للمخطئ على بال، مع كونه كان مستهزئاً حينها بالأذان، وكانت معاملته ﷺ له وحسن تصرفه ﷺ مع سلوكه ثم الدعاء له سبباً في إسلامه والاستفادة من ملكته. ^(٣)

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥٦/٥) رقم ٢٢٢٦٥ من طريق أبي أمامة مرفوعاً.

(٢) انظر القصة في: مسند الإمام أحمد (٤٠٨/٣)، سنن ابن ماجه (٢٣٤/١) كتاب الأذان والسنة فيها، باب التراجع في الأذان، والنسائي في المجتبى (٧/٢) كتاب الأذان، باب كيفية الأذان.

(٣) وقد وقفت على شواهد لهذا المبحث فيها الدعاء على المخطئ لكنني فضلت استبعادها لما فيه من ضعف ظاهر.

المبحث الثامن: التثبت من المنكر

إن من العدل والإنصاف أن يتثبت المسلم من كل خير أو ظاهرة قبل الحكم عليها، وإن من الظلم والاعتداء الحكم على أمر بمجرد الظنون والأوهام وقبل التثبت التام، والتثبت هو منهج القرآن الكريم ومسلك الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو منهج واضح لا يتغير في أية حال من الأحوال، فهذا سليمان - عليه السلام - تثبت من خير الهدهد حين أرسله ﴿ قَالَ سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٧)، (النمل: ٢٧)،

وقد عاتب الله ﷻ داود في حكمه للخصمين قبل أن يسمع ويتثبت من الآخر ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ إِسْوَإٌ نَّعْمَ إِنَّهُ مُرِئِي بِفَعَالِهِ ﴾ (ص: ٢٤)؛ لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت، والله ﷻ قد أمر بالتثبت ودم العجلة والاستخفاف في الحكم على الآخرين دون تحرر أو دقة؛ لأن التبين والتبصر في الأمور دليل على حسن الرأي وجودة العقل والنظر، وهو من أعظم الأسباب المعينة على الوصول إلى الحق والصواب، وتجاوز الحسرة والندم التي ذكرها الله ﷻ حين تكون الأمور خلاف الشكوك التي توقعناها، والعبد منهى عن اتباع ما ليس له به علم مطلقاً، في كل وقت وفي كل قضية، سواء تتعلق بحقوق الله - تعالى - أو حقوق الآدميين في جميع الأحوال والأمكنة والأزمان، فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)؛ لأن الله سائله عن تلك الظنون واستعمال الحواس فيها، والسؤال هنا كناية عن المواخظة بالتقصير وتجاوز الحق، "تحقيق بالعبد الذي يعلم أنه مسؤول عن كل ما يقوله ويسمعه أو يتلقاه أن يعد للسؤال جواباً" (١).

ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً (٣٦)

إن في هذه الآية دعوة إلى التحري والتثبت من كل حركة ومن كل ظاهرة قبل الحكم عليها فهذا "منهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء

(١) تفسير السعدي (١/٤٥٧).

والتعامل، وهكذا تتضافر الآيات والأحاديث كلها لتقرير ذلك المنهج الكامل المتكامل^(١).

ومن خلال السنة الكريمة تجد المصطفى ﷺ قد مارس أصول التثبت مع المخطئ على أتم وأكمل وجه، ويتبين هذا في الحديث التالي:

١- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقَرِّئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَذْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَقْرَأْنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتُ، فَاِنْطَلَقْتُ بِهِ أَقُوْدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقَرِّئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَرْسَلَهُ، أَقْرَأْ يَا هِشَامُ"، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ"، ثُمَّ قَالَ: "اقْرَأْ يَا عُمَرُ"، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ".

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢١/٥)، وانظر حول هذا: وقفات تربوية في القرآن الكريم، لعبد العزيز الجليل

٢٦/٨- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَذْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلِمَ فَلَبَّيْتُهُ بِرِذَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَقْرَأْنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتُ، فَاِنْطَلَقْتُ بِهِ أَكُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرَأْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَرْسَلُهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ"، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَذَلِكَ أُنْزِلْتُ"، ثُمَّ قَالَ: "اقْرَأْ يَا عُمَرُ"، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَذَلِكَ أُنْزِلْتُ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤/١) رقم ١٥٨، من طريق عبد الرحمن القاري. وفي البخاري في صحيحه (١٨٩/١) كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض رقم ٢٤١٩، وأبو داود في السنن (١٣٣٢/١) كتاب الوتر، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف رقم ١٤٧٥ خ، والنسائي في سنن المجتبى (٢١٤٧/١) كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن رقم ٩٣٧، من طريق عبد الرحمن بن عبد القاري وحده.

والبخاري في الصحيح - أيضاً - (٤٣٣/١) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف رقم ٤٩٩٢ وكذا في (١٩٢٣/٤) كتاب فضائل القرآن، باب مَنْ لَمْ يَرَبَّأَسَا أَنْ يَقُولَ سُورَةَ كَذَا وَكَذَا، وفي (٥٧٨/١) كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين رقم ٦٩٣٦، وفي (٦٣٠/١) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: فاقرءوا ما تيسر رقم ٧٥٥٠، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٠٥/١) كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب بيان أن القرآن أنزل على سبع أحرف وبيان معناها رقم ١٨٩٩. والترمذي في سننه (١٩٤٧/١) كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة

أحرف رقم ٢٩٤٣، والنسائي في سنن المجتبى (٢١٤٨/١) كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن رقم ٩٣٨، جميعهم من طريق المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري. كلاهما (المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - الاستعجال في إطلاق الأحكام أمر مذموم:

على المربي ألا يستعجل عند سماع الخطأ أو رؤيته؛ لأن الاستعجال في إصدار الأحكام على الآخرين أمر ممقوت يعرض صاحبه للزلل والوقعة في الناس، ومخالف - أيضاً - للمنهج الرباني الذي أمر الله فيه بالتثبت والتبصر، ويعيد كل البعد عن طريقة السلف الصالح.

لقد ذم الله ﷻ الاستعجال في الأمور، وشنع على المتسرعين نقل الأخبار دون تثبت وروية أو حتى مشورة، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۝٨٣﴾ (النساء: ٨٣).

فالأصل حسن الظن ما لم يقد دليل على الاتهام؛ لأن الشكوك والقدح في نيات الآخرين كفيلة بإيجاد فجوة بعيدة لا يمكن التلاقي فيها.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أصابه شيء من العجلة على هشام بن حكيم رضي الله عنه حين سمعه يقرأ سورة من القرآن على خلاف ما سمعها، وكان هشام رضي الله عنه حينها في الصلاة، ومن عجلة عمر رضي الله عنه كاد أن يقطع عليه صلاته لينكر عليه هذه القراءة، وهذا إنما يدل على شدته رضي الله عنه، لكنه انتظره حتى ينتهي ويسلم، ثم ظهر من عمر رضي الله عنه بوادر الغضب، فسأله من أقرأك هذه القراءة؟ فأجاب هشام: بتعليم النبي ﷺ له. فكذبه عمر رضي الله عنه إما "إطلاق ذلك منه على غلبة الظن، أو قد يكون مراده كذبت أخطأت؛ لأن أهل

الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ".^(١)، ثم جمع عليه رداؤه عند صدره وجره إلى النبي ﷺ لئلا ينفلت منه ﷺ، فجمع في غضبه عليه بين القول والفعل، في جمعه ثياب المخطئ وجره، وهذا الذي يؤكد أهمية التثبت من أن الأمر فيه قد لا يقتصر على مجرد الكلام، فإن غير المثبت قد يتجرأ بسبب اندفاع الغضب فيه، إلى غير ذلك من التطاول باليد وما شابه.

٢- قيمة الخصمين للاستماع إلى بعضهما أمر مهم في التثبت:

في قول النبي ﷺ: "أرسله يا عمر". وكان ممسوكاً معه يسوقه إلى رسول الله ﷺ فيه قيمة للخصمين للاستماع وهما في حال الهدوء، وفيه إشارة إلى استعجال عمر ﷺ، ولأنه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره "وعمر ﷺ إنما نسبه إلى مخالفته في القراءة، والنبي ﷺ يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ﷺ، ولأنه إذا قرأ وهو يلبث لم يتمكن من حضور البال وتحقيق القراءة ثمكناً المطلق".^(٢) وفيه - أيضاً - أن النبي ﷺ لم يوبخ عمر على هذا الفعل ولم ينكر عليه، بل عذره في إنكاره لعلمه أن ذلك ما صدر منه إلا اجتهداً وظناً بخطأ ما سمع ولم يكن ذلك لغاية في نفسه، ويلتمس العذر لعمر بن الخطاب ﷺ في تعجله في تخطئة هشام "حرصه ﷺ على القرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعه، وساغ له ذلك - أيضاً - لرسوخ قدمه في الإسلام وسابقته بخلاف هشام ﷺ، فإنه من مسلمة الفتح (قريب عهد بالإسلام)، فحشي ألا يكون أتقن القراءة، بخلاف نفسه فإنه كان أتقن ما سمع".^(٣) ولعل عمر ﷺ لم يسمع حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف إلا في هذه الواقعة، فلذلك تعجل في الإنكار.

٣- في سماع النبي ﷺ لكلا الطرفين المختلفين تحقيق لأهم قواعد التثبت:

وهذه من المسائل المهمة في الاختلاف، ومن أهم أصول التثبت الاستماع إلى المختلفين معاً، وكان فعل النبي ﷺ في ذلك أبلغ في تصويهما أمام بعض، وفي بلوغ

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيبي (٢٤٧/٣٦).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٩٩/٦).

(٣) شرح الزرقاني (١٥/٢).

الاقتناع عند كل منهما، وفي قول النبي ﷺ: "إن هذا القرآن أنزل". تطميناً لعمر رضي الله عنه لئلا ينكر تصويب الشيعين المختلفين^(١).

٤ - التخطئة لا بد أن تكون مستندة على دليل شرعي من كتاب أو سنة:

وهذه من أهم القواعد المعتمدة، فلا ينبغي أن يكون ذلك لهوى في النفس ولا على أساس الجهل.

وإذا تقرر ذلك، فإنه لا بد أن نبين هنا أن عمر رضي الله عنه كان في يده دليل من النبي ﷺ أدان به هشام رضي الله عنه في التخطئة، وهو سماعه رضي الله عنه القراءة نفسها من الرسول ﷺ وتلقيها منه؛ مما حمله على الثقة بما عنده، ومما يدل على هذا قوله: "فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها". فهذا استدلال من عمر رضي الله عنه فيما ذهب إليه، لكن سبب الخلاف بينهما مع صدق هشام في قراءته عدم وصول الدليل إلى عمر رضي الله عنه، وهذه من أسباب الخلاف التي ذكرها العلماء^(٢). إما أن يكون المخطئ لم يبلغه الدليل، أو بلغه ولم يصدقه ولم يثق بقائله، أو مثلاً وصله لكن نسيه أو كان منسوخاً، وغيرها من الأمور التي تسبب الخلاف وتؤدي بالتالي إلى عدم الثبوت.

وهذا الذي أوقع عمر في هذا الموقف من التعجل، كون الدليل لم يبلغه فهو رضي الله عنه لم يسمع حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، ثم لما بلغه من هشام رضي الله عنه لم يصدقه منه رضي الله عنه، فهذا أمر آخر أوقعه في عدم الثبوت وكان سبباً للخلاف، وهنا فائدة ألا وهي "انقياد هشام رضي الله عنه لعلمه أن عمر رضي الله عنه لم يرد إلا خيراً، وفيه ما كان عليه عمر رضي الله عنه من الصلابة، وكان هشام رضي الله عنه من أصلب الناس بعده، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا كره شيئاً يقول: لا يكون هذا ما بقيت أنا وهشام بن حكيم رضي الله عنه".^(٣)

٥ - النبي ﷺ يرسم أهم القواعد في منهج الثبوت:

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٢٥/٩).

(٢) الخلاف بين العلماء وموقفنا منه، للشيوخ محمد بن عثيمين ص ٤، وأدب الخلاف، لصالح الحميد ص ١٠.

(٣) عمدة القاري، للعيني (١٧١/١٩).

وهذا يكون النبي ﷺ قد رسم لنا منهجاً واضحاً في الثبوت من خلال الجانب التطبيقي من تعامله مع المخطئ، فلم يكن ﷺ يتسرع في الحكم ولا في تخطئة الفرد مهما كانت ثقة الناقل وعدالته، بل كان يسأل - دائماً - عن الظروف والدوافع، ويسمع من كلا المختلفين، ويحاولهم حتى يفهم سبب اختلافهم ووجهة نظرهم فيه، حتى لا يظلم الطرف الآخر، ونحن إذ نقول إن الرسول ﷺ مارس كل أصول الثبوت وقواعده، فلا نحكم عليه من خلال هذا الحديث فقط، لكن ظهر وضوح ذلك فيمن يتبع سيرته العطرة وتعامله ﷺ مع المواقف بشئى أنواعها.

وفيما تقدم من أحاديث أخر، فحين يطلب من عمر رضي الله عنه أن يستمع إلى مخالفه، فهو يحقق الثبوت في أروع صوره، وحين يسأل حاطب عن دوافع فعله في الإقدام على إرسال الكتاب إلى الكفار بقوله له: "ما حملك على ما صنعت؟".^(١) وعن الأسباب التي أوقعت في هذا الخطأ دون أن يقدم أقل توبيخ، بل يكتفي بقوله: "صدق حاطب". مع جرم فعله وخطورته هو فعلاً يحقق معنى الثبوت والتبصر في حقيقة الأمور.

وكذا تثبت مع أسامة حين نقل إليه أنه قتل مَنْ قال: لا إله إلا الله فقال متبشراً منه: "أقتلته؟" ويعيدها مراراً.^(٢) وإنكاره على من ترك الثبوت في الأمور كإنكاره على موقف خالد بن الوليد في قتل بني جذيمة دون تروٍّ وفهم لمقصدهم. كل تلك المواقف تبين أن الثبوت منهج أساسي في دعوته ﷺ وفي تربيته صحابته، وكان ﷺ يقول للفرد منهم إذا أراد أن يحاسبه على خطأ ما: "ألم أخبر أنك كذا وكذا؟".^(٣) يتبين منه ويتثبت قبل أن يناقشه فيما يريد أن يعرفه أو يفهمه.

"فالتبث منهج إسلامي واضح المعالم، يقوم على صدقية الخير، وسلامة النقل، وهو أدب اجتماعي عام ضروري للحفاظ على وحدة الأمة، واستئصال أسباب المنازعات فيما بينها، إذ لا بد من وضوح المصدريّة للأخبار والمعلومات؛ ليتوافق التصرف على أساسها، ولا يمكن أن تقوم الحياة، وأن يستقر المنهج في واقع التطبيق، من خلال التعامل والأخذ

(١) سبق تفريجه، راجع ص ٧٩.

(٢) سبق بيانه ص ٦.

(٣) والنماذج على ذلك كثيرة في صحيح البخاري وغيره.

والعطاء إلا بمنهجية التبين والتثبت؛ إذ هو مقتضى الذي يطلبه المنهج ويستقر عليه".^(١)
وإن واقع الناس اليوم يشهد تساهلاً مفرطاً في نقل الأخبار وكل ما يسمعون من فتاوى
أو أحكام أو أحداث، سواء تعلقت بعامة الناس، أو بعلماء، أو بدعاة، أو بمشاهير دون
ترو أو تبين، لا سيما مع تقنية العصر الحديث، وسرعة تبادل المعلومات والأخبار في
أقصر وقت.

"وكثير من هذه المنقولات تثير ضغائن النفوس، وتحيي النفس الغاضبة عند الإنسان، وتمزق
العلاقات الكريمة بين المؤمنين، وتصبح هذه الأخبار - بعد ذلك - إحدى معاول التدمير
وأدوات التخريب والهدم؛ بسبب قلة التحقيق والتثبت، وكما قال العلامة ابن خلدون
رحمه الله تعالى: "فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب قليل، والوهم نسيب للأخبار
وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل".^(٢)

ومن الشواهد على هذا المبحث أيضاً:

- عن التَّزَالِ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةَ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ
خِلَافَهَا، فَأَخَذْتُ يَدَهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "كَلَّا كَمَا مُحْسِنٌ"، قَالَ
شُعْبَةُ أَظُنُّهُ قَالَ: "لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنْ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا".^(٣)

(١) التثبت والتبين في المنهج الإسلامي، أحمد العلمي ص ٨.

(٢) نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، أحمد الصويان ص ١٥.

(٣) أخرجه البيهاري (٨٤٩/٢) كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الاشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي.

أهم النتائج التي خلص إليها المبحث:

- إن منهج القرآن في التثبت هو أعظم منهج وأحكم طريق.
- من أهم الأسباب التي توقع الناس في نشر الأخبار وعدم التثبت منها: الفراغ، وضعف التربية الصالحة.
- التفريط في هذا المنهج العظيم من أعظم أسباب الفرقة والعداوة بين الناس.
- كان النبي ﷺ من أعظم الناس أناةً وتبناً، ولسمو الأناة أحبها الله ﷻ.

المبحث التاسع: طلب الكف عن الفعل الخاطي

"إنه من الأهمية بمكان إيقاف المخطئ عن الاستمرار في الخطأ حتى لا يزداد الأمر سوءاً، وحتى يحصل القيام بالإنكار ولا يتأخر"^(١)، وحتى لا يفوت الخطأ في وقته، فلا يؤثر الزجر عنه في غير مكانه.

وإن من الأخطاء التربوية التي يقع فيها بعض المربين - أحياناً - عدم إيقاف السلوك الخاطي حين رؤيته أو سماعه؛ مما يؤدي بالمربي إلى التماهي في خطئه، واستمراره في سلوكياته، وبالتالي إلى ظهور انعكاسات سلبية جداً في حياته، ومن هنا كان لا بد للمربي من ردة فعل تجاه السلوك الذي يظهر أمامه.

إن عدم الحرص على إيقاف السلوك غير المرغوب فيه في الموقف ذاته، وفي اللحظة نفسها يسهم بدور كبير في تشجيع التصرف الخاطي وتعزيزه، بل وتثبيتته في سلوكيات الأفراد صغاراً كانوا أو كباراً، ولهذا كان ﷺ إذا رأى خطأ ما فإنه يطالب المخطئ بالكف عن الخطأ فوراً، وفي السنة العديد من الأوامر النبوية التي يظهر من خلالها طلبه ﷺ المباشر من المخطئ أن يتوقف عن فعله ومنها ما يلي:

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا الْحَبْلُ؟" قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِرَيْبٍ فَإِذَا فُتِرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا، حُلُّوهُ، لِيُصَلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فُتِرَ فَلْيَقْعُدْ".

٢- عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَنْ هَذِهِ؟". قُلْتُ فَلَانَةُ، لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: "مَهْ، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا".

٣- عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرِ: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ".

(١) الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس ص ٦١.

٤- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: تَحَشَّأُ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ

إِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

٩/٢٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا الْحَبْلُ؟" قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِرَيْتَبٍ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا، حُلُوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد (٢٤٢/٢٧) رقم ١٢٠٠٥، والبخاري في الصحيح (٨٩/١) كتاب التهجّد، باب ما يكره من التشديد في العبادة رقم ١١٥٠، ومسلم في الصحيح (٨٠١/١) كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، والأمر بالاقتصاد في العبادة، وهو أن يأخذ منها ما يطيق الدوام عليه، وأمر من كان في صلاة وفتّر عنها ولحقه ملل ونحوه بأن يتركها حتى يزول عنه ذلك رقم ١٨٣١.

وابن ماجه في السنن (٢٥٥٨/١) أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في المصلي إذا نعى رقم ١٣٧١، وأبو داود في السنن (١٣٢٠/١) كتاب التطوع، باب النعاس في الصلاة رقم ١٣١٢، والنسائي في سننه (٢١٩٧/١) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الاختلاف على عائشة - رضي الله عنها - في إحياء الليل رقم ١٦٤٤، جميعهم من طريق عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- فن إصدار الأوامر:

يحتاج المربي في التربية - أحياناً - إلى استخدام أساليب لفظية أو عبارات تهديدية مثل عبارة "لا تفعل"، كتعبير عن رفض السلوك القائم أمامه، ويكثر استخدام مثل هذا النوع كثيراً في العديد من المواقف التربوية والحياتية اليومية في البيت، والمدرسة، وفي المواقف الاجتماعية، وغيرها.

وقد قدف مثل هذه الأساليب إلى تقليل ظهور أشكال السلوك غير المرغوب فيها، ويطلق بعض العلماء على مثل هذا بالأوامر السلبية، ويرون أنها تثقل كواهل الأبناء وهذا غير صحيح - فيما أراه - إذا تم التنوع في الأساليب التربوية دون اقتصار المربي في توجيهاته على كلمة لا دائماً؛ ولذلك تجد بعض الآباء يريد أن يحسن لكنه يقع في هاوية الإساءة؛ بسبب شيء بسيط وهو جهله بفن إصدار الأوامر، فكثيراً ما يطلب من أبنائه الكف عن السلوكيات غير المرضية؛ لكنه يقتصر إلى الأبد على صيغة واحدة ولا يتقن إلا كلمة لا، بينما لم يجرب يوماً أن يأمرهم لكن في صورة التمني منهم أن يتركوا تلك السلوكيات، أو بصيغة الترحي مثلاً، أو ما شابه ذلك، فإن مثل هذه الصيغ قد وردت في القرآن الكريم.

فحين تتأمل ذلك تجد أن الله - تعالى - كثيراً ما يصدر أوامره في صيغة تمنن، أو في صيغة "يريد الله"، أو أنه يذكر صفات المتقين وعباده الصالحين، دون أن يطلب من الناس مباشرة وبفرض؛ لأن الأوامر التي تصدر من المربي في صورة تمنيات ورجاء تدفع المتربي من نفسه إلى تنفيذها، وتسهل لديه عملية تصحيح خطأه؛ لأنه يشعر معها بالاهتمام به، بينما تلك التي تكون بشكل فرضي وبصيغة واحدة - دائماً - تجعله ينفذ وينقاد للنهي بقدر خوفه من إيقاع العقاب به. ^(١)

فحري بالمرين أن ينوعوا في استخدام ألفاظ النهي؛ لأن النبي ﷺ يستخدم ما يشير إلى الكف عن السلوك الخطأ بكلمة لا وبغيرها، فعند الشافعي قال ﷺ: "لا تفعل تصلي ما عقلت فإذا غلبت فلتنم". ^(٢)

والنبي ﷺ هنا يدخل فيرى حبلاً مربوطاً بين عمودين من أعمدة المسجد وكأنهما كانا معهودين لدى المخاطبين، فيسأل ﷺ: ما هذا؟ استفسار منه ﷺ عن سبب مده في هذا المكان، فأخبروه بصاحب السلوك وكأنهم علموا أنه يسأل عن الفاعل، فقالوا: لزئيب تربطه فإذا تبعت من العبادة والصلاة تعلق به، وتعلقها به إما في حال فتورها فتعلق به

(١) انظر: كتاب كيف تسعد أبنائك وتربيهم بنجاح ص ٧٧، وكذا كتاب دليل الآباء في تربية الأبناء، د. لين كلارك ص ٣٨ بتصرف.

(٢) السنن المأثورة للشافعي (٣٢/١).

تصحيح الخطأ بالقول

لتكامل الصلاة، ففي هذا استعانة منها به، وإما أن يكون هذا الحبل لترتاح عليه إذا تعبت من الصلاة والأولى أكد؛ لأنها لو كانت تستعين به للراحة قليلاً لما قال النبي ﷺ: "إذا فتر فليقعد". فالذي يظهر أنها تتعلق به لتستعين على القيام إذا فترت قدمها، وهذا من كمال حرصها وقوة اهتمامها بالصلاة.^(١)

هنا أنكر النبي ﷺ على زينب في شدها للحبل حيث قال: لا ويحتمل النفسي أي: لا يكون هذا الحبل ممدوداً، وفي هذا رفض للسلوك الذي صدر منها، والمطالبة في الحال بحل هذا الحبل، حيث قال: حلوه، أو لا يحمد ويحتمل للنهي أي: لا تفعلوه. وتأمل كيف أن النبي ﷺ ينكر السلوك لا الفاعل نفسه، وهذا مطلب مهم في التربية لا بد أن يشعر به المخطئ حين تعديل سلوكه، فلا بد أن يفصل بين ذات المخطئ وشخصيته وبين سلوكه؛ لأن المخطئ لا يمكن أن يحسن سلوكه إذا فقد الإحساس بقيمته وكان تقديره لذاته متدنياً، ولا بد أن تكون هذه القاعدة منطلق كل مربٍ عند معالجة أي سلوك.

٢- التوازن في التوجيه والتصحيح:

النبي ﷺ يري أصحابه ﷺ على التوازن ففي قوله ﷺ: "ليصل أحدكم نشاطه". توجيه عام ليس للمخطئ وحده، بل للجميع أي ليصل أحدكم مدة نشاطه، فإذا تعب فليرقد".

ففي هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان ألا يتعمق في العبادة، وألا يكلف نفسه ما لا تطيق؛ لأنه إذا صلى مع التعب تشوش فكره وشم ومل وربما كره العبادة، وربما ذهب ليدعوا لنفسه، فإذا به يدعو عليها، ولهذا أمر النبي ﷺ بحل هذا الحبل، وهذا وإن ورد في الصلاة فإنه يشمل جميع الأعمال، فلا تكلف نفسك ما لا تطيق بل عاملها بالرفق واللين".^(٢)

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٦/٣) بتصرف.

(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (١٦٥/١).

إن الدين الإسلامي يرفض الإفراط في كمية العبادات الشرعية، ويحث على القليل الدائم؛ لأنه أفضل من الكثير المنقطع، والاقتصاد يعين العبد في المداومة على العمل الصالح، والتشدد والغلو قصير العمر، والاستمرار عليه في العادة غير متيسر، والإنسان بطبعه ملول وطاقته محدودة، فإن صبر يوماً على التشدد والتعسير، فسرعان ما تصعب مطيته في السير، فيسأم الطريق الذي كان عليه، ويتحول من الإفراط إلى التفريط، ومن التشدد إلى التسبب، فضلاً على أنه يقتل في النفوس النواحي الإيجابية الفعالة".^(١)

ولهذا كان لزاماً أن يُطلب من المتشدد أن يتوقف عن سلوكه ومنهجه في التعامل مع العبادة.

إن كثيراً من الناس يستمر لسنوات طويلة على الخطأ؛ لأنه لم يطلب منه أحداً يوماً ما أن يتوقف عن السلوك الخاطئ حتى من قبل والديه الذين عاش معهم وتلقى تربيته منهم، ولهذا يفيد علماء التربية أن أحد أهم أسباب عصيان الأبناء آباءهم هو تساهلهم في السكوت عن أخطائهم والتغاضي عنه فترة طويلة دون تصحيح أو توجيه.^(٢)

وفي الحديث من الفوائد: استدلل بهذا الحديث على كراهية التعلق في الحبل في الصلاة، وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط، وفيه إزالة المنكر باللسان واليد لمن تمكن منه، وفيه دليل - أيضاً - أن الصلاة جميع الليل مكروهة، وذلك لتيسير المكلف على نفسه.^(٣)

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني ص ٣٠٩.

(٢) انظر: مشكلات الأطفال النفسية والأساليب الإرشادية لمعالجتها، د. سوسن شاكر مجيد ص ١٦٠.

(٣) انظر: فتح الباري (٣/٣٧)، شرح النووي على مسلم (٦/٧٣).

٩/٢٨ - عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَنْ هَذِهِ؟". قُلْتُ فَلَانَةٌ، لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: "مَهْ، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد (٢٦٧/٤٩) رقم ٢٣١١١، والبخاري في صحيحه (٥/١) كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه رقم ٤٣، وفي (٨٩/١) كتاب التهجد، باب ما يكره من التشدد في العبادة رقم ١١٥١، وابن ماجه في السنن (٢٧٣٤/١) كتاب الزهد، باب المداومة على العمل رقم ٤٢٣٨، والنسائي في السنن الصغرى (٢١٩٧/١) باب الاختلاف على عائشة - رضي الله عنها - في إحياء الليل رقم ١٦٤٣، جميعهم من طريق عروة بن الزبير، عن عائشة - رضي الله عنها.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - الثناء وسيلة لمعالجة الخطأ:

يعد الثناء نوعاً من أنواع التعزيز الإيجابي الذي يؤدي فيه حدوث السلوك إلى توابع إيجابية، ويزيل الكثير من السلوكيات السلبية؛ بل إنه يعد في كثير من الأحيان من أقوى وسائل التعزيز الإيجابي اللفظي الذي يدعم السلوك الحسن.

إلا أنه يفقد ما فيه من قيمة تربوية إذا تم استخدامه مع المترين بإسراف، وكذا إذا قُدم بشكل مستمر بحيث يفقد قوته؛ لأنه حينها يخلق عنده الشعور بالغرور والمبالغة في تقدير الذات، كما أنه قد يبعث على الفتور في الأداء ما لم يحظَ المتعلم بمزيد من الثناء؛ حيث يصبح الثناء شيئاً مألوفاً لديه، لا يستثير همته، ولا يحرك دافعيته، ويقل وقعه مع التكرار، وبمضي الزمن يميل المتعلم إلى الاعتقاد أن هذا الثواب حق ثابت له، وهو جدير به جدارة لا تقبل الشك أو المناقشة، فيؤدي ذلك إلى غروره وتواكله، وربما إلى الكسل

والإهمال، وإذا تغير الثناء أو ضعف أو توقف أحدث لديه ردة فعل يكون فيها الإحباط، وقد يغضب أو يصخب". (١)

ولهذا لا بد أن يكون ذلك المديح في التربية بالقدر الذي يعدل السلوك ويعززه بالقدر المناسب، بحيث يكون متزنًا، وإذا لم يكن كذلك وجب الكف عنه، ومن هنا حرص النبي ﷺ على تحقيق ذلك في التربية، وإذا سمع ما يخالف ذلك نهي عنه وطالب ﷺ بالتوقف مباشرة عن المديح الزائدة، وكان له أسلوب ﷺ في طرح تلك الأوامر؛ حيث كانت صريحة في الكف عن الشيء غير المرغوب فيه، خاصة في الموضوعات المهمة التي تكون لها عواقب نتيجة عدم الانصياع أو الإذعان، كما أنها تتسم بالوضوح والتحديد.

ومن هنا كان على المربي أن يعطي أوامر واضحة بحيث يستطيع المخطئ فهمها وتطبيقها، ويتأكد هذا إذا كان المخطئ صغيراً، فكثيراً من الآباء يعطون أوامر بصيغ غامضة وعبارات عامة لا يفهم من خلالها ما يعنيه بالتحديد، ولذلك تجدد الطفل لا يعرف ماذا يجب عليه فعله، فلا بد أن يتم الكف عن السلوك بقاعدة مباشرة وبصيغة أمر مفصلة وواضحة أفضل من الغامضة؛ لأنها حينئذ تكون أوامر فعالة. (٢)

وهكذا كانت عبارات النبي ﷺ حين زجر عائشة - رضي الله عنها - صريحة في التوقف عن السلوك، وواضحة فلما ذكرت المرأة ممتدحة لصلاتها وقيامها بكثرة النوافل والعبادات، وكأنها ذكرت ذلك وهي جالسة تسمع فقال ﷺ: "مه". وهي كلمة نهي وزجر تعني الأمر بالكف فوراً، فأنكر عليها ﷺ أن تمدحها في وجهها، ويحتمل وهو الأظهر "أن النهي إنما هو لمدحها بعمل ليس بممدوح في الشرع، وعلى هذا فكثير مما يذكر في مناقب العباد من الاجتهاد المخالف للشرع يُنهى عن ذكره على وجه التمدح به والثناء على فاعله". (٣)

(١) تعليم بلا عقاب، محمد عمّار ص ١٨٦.

(٢) انظر: حول أهمية صيغ الأوامر كتاب دليل الآباء في تربية الأبناء د. لين كلارك ص ٣٩، المشكلات السلوكية، أسبابها وعلاجها، طرق الوقاية منها، محمد دماس ص ٣٤.

(٣) فتح الباري، لابن رجب (٨٣/١).

ولما كان المدح يأتي بمخاطر على الممدوح في دينه وعلى شخصيته، وربما ضيع العمل اتكالاً على ما وصف به، نهي عنه الرسول ﷺ، وجعل له شروطاً تضبطه بحيث لا يكون فيه إفراط ولا تفريط، ولعل عائشة - رضي الله عنها - أمنت عليها من الفتنة، فلذلك مدحتها في وجهها.

وفيه احتمال أن يكون الخطاب للمرأة بالكف عن هذا العمل الكثير الذي يشق، وقد تعجز عنه في المستقبل كما شق على ابن عمر رضي الله عنهما وتمنى لو أنه قبل رخصة النبي ﷺ^(١) في التخفيف، ولهذا قال ﷺ: "عليكم بما تطيقون فالذي يُكثر على نفسه ينقطع فيقطع الله عنه الثواب، والله لا يقطع ثواباً حتى يمل صاحبه من العبادة".

وليس المعنى منع الإكثار من التنفل والصلاة، فإن هذا من الأمور المحمودة، ولكن المراد منع الإفراط المؤدي إلى الملل، وفي كثير من الأحيان تكون الالتزامات القاسية وليدة ردة فعل مؤقتة، لا تلبث أن تضعف وقد تتلاشى وتدفع صاحبها في اتجاه معاكس تماماً لما هو عليه، فالاعتدال والتوازن سنة مطردة لا يشذ عنها شيء، وتبدو آثار فقدانها سيئة على تصرفات وسلوكيات المرء.

وقد يغرس ذلك - أيضاً - في المتعلم لديه، فيريه على الغلو والتشدد في الآراء والأفكار والتصرفات، وحتى في التعامل مع المواقف، ومن الفوائد في الحديث: أنه ينبغي للإنسان إذا رأى عند أهله أحداً أن يسأل من هو؟ لأنه قد يكون هذا الداخل ممن لا يُرغب في دخوله، كما سأل النبي ﷺ عائشة - رضي الله عنها - عن المرأة التي عندها، وفيه مدح الشخص بالعمل الصالح.^(٢)

(١) صحيح البخاري (٦٩٧/٢).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠١/١)، شرح رياض الصالحين، لـ محمد بن عثيمين (١٦١/١).

٩/٢٩- عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرِ: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ".

التخريج:

هذا الحديث جاء من طريق معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه ورواه عن معاوية جمع من التلاميذ منهم:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨٨ / ٤) و٢٩٢ وفي مسند البزار (٨ / ٤٣٢) من طريق زيد بن الحباب .

وأخرجه أبو داود في السنن (١ / ٢٩٢) كتاب الصلاة، باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، والخطيب البغدادي في موضع أوهام الجمع والتفريق (١ / ٥١٢) من طريق بشر بن السري، وليس فيه " وآيت".

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً (٤ / ١٩٠) وزاد فقد "آذيت وآيت"، وابن خزيمة في الصحيح (٣ / ١٥٦) كتاب الجمعة، باب النهي عن تخطي الناس يوم الجمعة والإمام يخطب، وإباحة زجر الإمام عن ذلك في خطبته، وعند الحاكم في المستدرک (١ / ٤٢٤) كتاب الجمعة، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٥ / ١٧١) ٦٤٣ وفي الأحاديث المختارة للمقدسي (٩ / ٤٧) وفي (٩ / ٤٩) جميعهم من طريق عبد الرحمن بن مهدي .

وفي الأوسط لابن المنذر (٥ / ٤٦٤) جماع أبواب الأذان والخطبة في الجمعة، باب ذكر النهي عن تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، والإمام يخطب، وإباحة نهي الإمام عن ذلك في خطبته من طريق أسد بن موسى.

وفي السنن الكبرى للنسائي (١ / ٥٢٨) باب النهي عن تخطي رقاب الناس والإمام يخطب

وابن الجارود في المنتقى (١/ ٣٤١) باب الجمعة، وفي شرح معاني الآثار للطحاوي (١/ ٣٦٦)، وعند البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣١) أبواب التكبير إلى الجمعة، باب لا يتخطى رقاب الناس.

وكذا ابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٩) باب ذكر الزجر عن تخطي المرء رقاب الناس يوم الجمعة في قصده للصلاة، وأخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٩/ ٤٧) من طريق عبد الله بن وهب .

جميعهم (زيد بن الحباب، بشر بن السري، وعبد الرحمن بن مهدي، وأسد بن موسى، وعبد الله بن وهب) عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه .

دراسة الاستناد:

معاوية بن صالح الإمام الفقيه أبو عمرو الحضرمي الحمصي قاضي الأندلس، حدث عن شريح وأبي الزاهرية وعنه الليث وابن وهب وغيره، وثقه أحمد بن حنبل وقال ابن عدي: هو عندي صدوق، ولم يحتج به البخاري وهو من أوعية العلم ومن معادن الصدق، وهو صدوق كما قال ابن حجر له أوهام من السابعة، مات سنة ثمان وخمسين، وقيل بعد السبعين. ^(١)

وعنه أبو الزاهرية الشامي وهو حدير بن كريب سمع أبا أمامة، وعبد الله بن بسر، وعنه معاوية بن صالح، قال يحيى بن معين شامي ثقة، وقال ابن أبي حاتم: ليس به بأس. ^(٢)

وعبد الله بن بسر المازني رضي الله عنه من أصحاب النبي ﷺ، روى عن النبي ﷺ وعن أبيه روى عنه أبو الزاهرية حدير، وخالد بن معدان. ^(٣)

ورواه عن معاوية بن أبي صالح عبد الرحمن بن مهدي بن حسان أبو سعيد البصري، اللؤلؤي، وهو الإمام الحافظ المعروف سمع شعبة والثوري ومالكاً، وعنه الإمام أحمد وعلي

(١) تذكرة الحفاظ (١٧٦/١)، التقریب (١/ ٥٣٨)، والکاشف للذهبي (٢/ ٢٦٧).

(٢) الکنى والأسماء للإمام مسلم (٣٥٠/١) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٢٩٥).

(٣) تهذيب التهذيب (٥/ ١٣٩).

وإسحاق قال أبو حاتم: إمام ثقة أثبت من يحيى بن سعيد، وأتقن من وكيع وقال أحمد: إذا حدث أحمد عن رجل فهو حجة. ^(١)

وعنه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في المسند. ^(٢)

الحكم على الحديث:

الحديث حسن والله أعلم.

أقوال العلماء في الحكم على الحديث:

قال ابن حجر في تلخيص الخبير (٢ / ٧١) وضعفه ابن حزم بما لا يقدر. ^(٣)

وقال في الفتح: صححه ابن خزيمة وغيره من حديث عبد الله بن بسر. ^(٤)

وقد ذكر الشوكاني في نيل الأوطار: أن الحديث سكت عنه أبو داود والمنذري وصححه ابن خزيمة وغيره، وكذا الشيخ الألباني حكم عليه بالصحة. ^(٥)

وله شاهد عند ابن ماجه في السنن (٣ / ٤٢٥) باب فيمن تخطى رقاب الناس يوم الجمعة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ يخطب فجعل يتخطى الناس فقال رسول الله ﷺ: اجلس فقد آذيت وآنت.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - صيغة الطلب المباشر:

تتطلب بعض المواقف أن تكون طريقة الأمر بالتوقف عن السلوك الخاطئ بصيغة الطلب المباشر لأهمية الأمر؛ لأن المخطئ يكون فيه ملزماً بالتطبيق الفوري كما سيتضح ها هنا.

(١) التاريخ الكبير (٥ / ٣٥٤).

(٢) سبق ترجمته راجع ص ١٤٣.

(٣) راجع المحلى لابن حزم (٥ / ٧٠) وحجة ابن حزم في ذلك أنه لم يروه غير معاوية بن صالح قال: وهو ضعيف.

(٤) فتح الباري (٢ / ٤٠٩).

(٥) الجامع الصغير (١ / ١٥٥) وكذا في كتاب صحيح وضعيف أبي داود (١ / ٢) وغيره.

تصحيح الخطأ بالقول

الأصل أن الخطيب لا يتكلم بكلام خارج خطبته؛ لأنه في مقام صلاة لكن قطع النبي ﷺ خطبته، واحتاج إلى ذلك لمصلحة مهمة وهي الإنكار، وكان الإنكار أمام الناس في المسجد بحيث لم ينتظر النبي ﷺ حتى انتهاء الصلاة وينكر على المخطئ لوحده، خشية فوات وقت الخطأ، ولئلا يظن من رأى الرجل يتخطى رقاب الناس أمام النبي ﷺ وهو ساكت، أن ذلك إقرار منه ﷺ بفعل محضرته وبين يديه ﷺ ولم ينكر ويصبح من السنة التقريرية، وهذا خطأ.

إن وقف السلوك السيئ يوصل رسالة للمخطئ مفادها أن هذا التصرف غير مقبول، ويجب أن يتوقف الآن، ولهذا طلب منه ﷺ طلباً مباشراً بالتوقف عن تخطي رقاب الناس، فلا يحق بمن جاء متأخراً أن يتخطى الناس ليصل إلى الصفوف الأولى، بل حقه أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويقف حيث ينتهي به الموقف.

والعلة في ذلك هي حصول الأذية للمسلمين جراء تخطيه، وفي التخطي زيادة رفع رجليه على رؤوس المصلين وأكتافهم، وربما تعلق في ثياهم شيء من ذلك مما في رجليه، وهذا - أيضاً - تحصل به الأذية.

واستثنى العلماء من ذلك من رأى فرجة لا يستطيع الوصول إليها إلا بالتخطي، فإنه يجوز ذلك؛ لأنه كان الأولى لمن وراء الفرجة أن يسدها، فحصل التقصير على من تركها هكذا. (١)

والنبي ﷺ يحاول جاهداً إنكار أي سلوك خاطئ عن طريق رفضه أو التوجيه، وبهذا يعطي ﷺ توجيهات للمربين وغيرهم ممن يحمل هم التربية منهجاً في إنكار الخطأ، وعدم الموافقة أو السكوت حين رؤيته.

وبعد السكوت عن السلوك الخاطئ من الأساليب التربوية الخاطئة التي ينتهجها بعض الآباء والمربين، والتي تعكس آثاراً من ممارسات سلبية تعرقل تطور الفرد، بحجة أن الطفل ما زال صغيراً أو أنه يتعلم كلما كبر، وهذا خطأ يجني ثماره المربي في المستقبل

(١) انظر: شرح أبو داود، للعيني (٤/٤٦٢)، عون المعبود (٣/٣٩٢) موضوعات خطبة الجمعة، عبد الرحمن اللويحي (١/٥٣).

تصحيح الخطأ بالقول

ولا بد أن يتعلم الصغير التوقف عن السلوكيات السيئة منذ سن التمييز، حتى ينشأ على معرفة وفهم السلوك الصائب من غيره.

"وكذلك فإن التغاضي عن الخطأ أو التساهل فيه أو التشجيع عليه - أحياناً - سوف يوحى للصغير بأنه لم يرتكب ما يوجب المواجهة، فيؤمن بأن تصرفه سليم لا غبار عليه، فيتمادى حتى تتأصل تلك السلوكيات في قرارة نفسه، وترسخ، ويصبح من العسير بل من المستحيل أن يقلع عنها فيما بعد".^(١) وأكثر الأبناء إنما جاء فسادهم من إهمال الإنكار.

وتأمل كيف أن النبي ﷺ مع شغله بالجمعة والخطبة، كان يراقب من حوله ويتنبه لتصرفاتهم وسلوكياتهم، وهذا أساس مهم في التربية، فشعور المتربي بذلك يوقف الكثير من الأخطاء، فإن كثيراً من المتربين لا يرتكبون العديد من المخالفات والأخطاء إلا عندما يشعرون بغفلة المربين عنهم، ومن هنا تتجه أهمية التربية بالملاحظة.^(٢)

(١) من كتاب رسائل إلى الآباء، صلاح الدين العباسي ص ٢٩ بتصرف يسير، سياسات تربوية خاطئة، محمد دقاس ص ٥٦.

(٢) قد سبق بيان ذلك، راجع حول ذلك ص ٩٣.

٩/٣٠- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "كُفَّ عَنَّا جُشَاءُكَ فَإِنْ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطَوَّلَهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

التخريج:

أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (١/٣٤٦)، وابن ماجه في السنن (١/٢٦٧٩) كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع رقم/٣٣٥٠ والطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٧٨) من طريق عمرو بن رافع

وأخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (١/٣٤٦)، والترمذي في السنن (١/١٩٠١) رقم/٢٤٧٨ كتاب صفة القيامة، باب أكثرهم شبعاً في الدنيا، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٦) في ذم كثرة الأكل .

من طريق محمد بن حميد الرازي .^(١)

وعند المزي في تهذيب الكمال (١٨/١٦٤) من طريق نعيم بن يعقوب

ثلاثتهم (عمرو بن رافع، ومحمد الرازي، ونعيم بن يعقوب) من طريق عبد العزيز بن عبد الله القرشي عن يحيى البكاء- وهو ابن سليم- عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

دراسة الإسناد:

عبد العزيز بن عبد الله القرشي هذا هو أبو يحيى الرازي روى عن يحيى البكاء وعنه عمرو بن رافع القزويني، ومحمد بن حميد الرازي .

قال أبو حاتم: منكر الحديث، وكذا ابن حجر في التقریب. وروى له الترمذي وابن ماجه حديثاً واحداً عن ابن عمر رضي الله عنه ^(٢) وذكر ابن حجر رحمه الله حديث الباب

قال ابن حبان في الثقات: يعتبر حديثه إذا بين السماع .^(٣)

(١) وقال فيه الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه .

(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر (٦/٣٠٩)

(٣) طبقات المدلسين، لابن حجر (١/٤٠)، والثقات لابن حبان (٨/٣٩٤) .

ويحيى البكاء - هو ابن سليم - روى عنه حماد بن زيد، وعبد الوارث وعبد العزيز القرشي سمع ابن عمر رضي الله عنه وقال عنه ابن معين: ليس بذلك، وقال أبو زرعة: ليس بالقوي ^(١) وقال ابن سعد: ثقة إن شاء الله، وقال الدارقطني: ضعيف وقال الآجري: ثقة مات سنة ثلاثين ومائة روى له الترمذي وابن ماجه. ^(٢)

وابن عمر رضي الله عنه هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي المعروف.

الحكم على الحديث:

الذي يظهر لي والله أعلم انه لا يحكم على الحديث بمفرده وإن كان ضعيفاً، فلعله يرتقي بالشواهد التي في السنن لأن ضعفه ليس شديداً.

أقوال العلماء في الحكم على الحديث:

قال ابن أبي حاتم في العلل: سألت أبي عن حديث رواه عبد العزيز النمرقي الرازي عن يحيى البكاء عن ابن عمر رضي الله عنه: "تجشأ رجل عند النبي ﷺ فقال: كف .." قال أبي: هذا حديث منكر. ^(٣)

وقال الإمام الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. ^(٤)

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح لغيره وقال أيضاً بعد ذكر شواهد الحديث:

"وجملة القول أن الحديث قد جاء من طرق عن ذكرنا من الصحابة وهي إن كانت مفرداتها لا تخلو من ضعف، فإن بعضها ليس ضعفها شديد، ولذلك فإني أرى أنه يرتقي بمجموعها إلى درجة الحسن على أقل الأحوال، والله سبحانه وتعالى أعلم" ^(٥)

(١) التاريخ الكبير (٨/ ٢٨١)، الجرح والتعديل (٩/ ١٨٦).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٥/ ٣٥٠)، تهذيب الكمال للزمري (٣١، ٥٣٥) تهذيب التهذيب (١١/ ٢٤٤).

(٣) علل ابن أبي حاتم (٢/ ١٣٩) رقم/ ١٩١٠.

(٤) سنن الترمذي (١/ ١٩٠١).

(٥) انظر: (١/ ٦٧٢) من السلسلة الصحيحة للشيخ رحمه الله وانظر: صحيح وضعيف ابن ماجه (٧/ ٣٥٠) حيث

قال عن الحديث: حسن.

تصحيح الخطأ بالقول

وله شاهد عند الطبراني وغيره من حديث أبي جحيفة، وسلمان الفارسي وابن عباس، وابن عمرو رضي الله عنه وليس فيه طلب الكف عن الجشاء، وإنما اقتصر فيه على الطرف الثاني من الحديث .

شواهد الحديث:

حديث أبي جحيفة وله عنه طرق:

الأولى: عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه: "أكلت ثريدة بلحم سمين، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتمشأ فقال: اكفف عليك جشاءك أبا جحيفة، فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا، أطولهم جوعاً يوم القيامة، فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا، كان إذا تغدى لا يتعشى وإذا تعشى لا يتغدى، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٧٨/٨) من طريق الوليد بن عمرو بن ساج عنه.

والوليد ابن عمرو هذا ضعيف، ضعفه يحيى ابن معين والنسائي وقال ابن حبان: يروي عن الثقات الأشياء المقلوبات، ربما سبق إلى القلب أنه المتعمد لها، لا يجوز الاحتجاج به، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا يحتج به، وقال ابن عدي مع ضعفه يكتب حديثه. ^(١)

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٤٦ / ٤) وقال: صحيح الإسناد، والطبراني في المعجم الأوسط (١١٣ / ٤) وفي المعجم الكبير (١٣٢ / ٢٢)، وفي شعب الإيمان للبيهقي (٢٦/٥) من طريق علي بن الأقرع عن أبي جحيفة بلفظ قريب من السابق.

الحكم على هذه الطريق:

الذي يظهر والله أعلم أن هذه الطريق فيها ضعف، فلم يرو هذا الحديث عن علي بن الأقرع إلا علي بن موسى تفرد به فهد بن عوف، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٩٩ / ٣) بعد تصحيح الحاكم للحديث: "بل واه جداً، فيه فهد بن عوف وعمرو بن موسى".

(١) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١٨٦ / ٣)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (١٣٥/٧) .

الطريق الثانية: وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦/٥) من طريق محرز أبي رجاء عن حدثه عن أبي جحيفة بنفس اللفظ وزاد في آخره: فما شبت منذ ثلاثين سنة.

وهذه الطريق فيها رجل لم يسمه أبو رجاء وهو مجهول الحال.

الحكم على هذه الطريق:

الذي يظهر لي والله أعلم أن هذه الطريق ضعيفة لأن فيها راوٍ مجهول.

الشاهد الثاني: جاء عن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أهل الشيع في الدنيا هم أهل الجوع غدا في الآخرة".

هذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٧/١١).

الحكم على الحديث:

هذا الحديث فيه رجل ضعيف، وهو يحيى بن سلمان ولعلها تتقوى بغيرها.

قال المنذري (٩٩ / ٣) رواه الطبراني بإسناد حسن، وقال الهيثمي: فيه يحيى بن سليمان القرشي الحضرمي، وفيه مقال وبقية رجاله ثقات، وقال أبو نعيم في الحلية (٣٤٦/٣): هذا حديث غريب من حديث فضيل ومنصور وعكرمة لم يروه عن فضيل إلا يحيى بن سليمان وفيه مقال.

الشاهد الثالث: من طريق عطية بن عامر الجهني قال سمعت سلمان وأكره على طعام يأكله فقال: حسبي أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا، أطولهم جوعاً في الآخرة، وزاد: يا سلمان الدنيا سجن المؤمن، جنة الكافر".

أخرج هذه الحديث البزار في المسند (٤٦١/٦) من طريق عطية بن عامر.

وأخرج ابن أبي الدنيا في الجوع (٤/١) وفي الزهد (٥/١) والحاكم في المستدرک (٢٠٨/١٥) والطبراني في المعجم الكبير (٢٣٦/٦)، من طريق زيد بن وهب عن سلمان مباشرة.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٤/٦) من طريق زيد بن وهب عن عامر بن عطية^(١) عن سلمان.

البيهقي في شعب الإيمان (٢٧/٥) وللزمري في تهذيب الكمال (١٥١/٢٠) من طريق زيد بن وهب عن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت سلمان بلفظ: "أطول الناس شعباً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة، وقال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر".

كلاهما (عطية بن عامر، وزيد بن وهب) عن سلمان الفارسي.

وهذا الحديث من هذه الطريق قال فيها العقيلي في الضعفاء (٣٦٠/٣) عطية بن عامر عن سلمان الفارسي في إسناده نظر، وذكر الحديث.

وأما الألباني - رحمه الله - فقال: صحيح لغيره.^(٢)

وأما الزيادة المذكورة عن سلمان عليه السلام فهي صحيحة جاءت من طريق أخرى عن أبي هريرة عليه السلام في الصحيح وغيره.^(٣)

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - التربية النبوية تهدف إلى التغيير الجذري للسلوك:

تهدف التربية النبوية من خلال النهي عن السلوكيات السلبية إلى إحداث تغيرات مفيدة في حياة الأشخاص تكون سبباً في تغير أنماط السلوكيات غير المرغوبة، أو سبباً في بناء سلوك مرغوب.^(٤)

ليس هذا فحسب، بل الأهم من ذلك هو الاستمرار عليه فعلاً، ولما كان من الواجب على الفرد أن يتجنب كل سلوك ينفر الجالسين منه، فضلاً عن كونه يؤدي من حوله

(١) يقال عقبة بن عامر، ويقال عطية بن عامر وهما أسماً واحداً للراوي.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٤٥).

(٣) أخرج الحديث الإمام مسلم في الصحيح (٢٢٧٢/٤) كتاب الزهد والرقائق، وابن ماجه في السنن (١٣٧٨/٢) كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، والترمذي في السنن (٥٦٢/٤) كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

(٤) انظر: الإرشاد والتوجيه النفسي، د. سلوى محمد عبد الباقي ص ٢٢٧ بتصرف.

أوقف النبي ﷺ هذا السلوك من الرجل، لما فيه من قلة الذوق العام ولمناقاته الآداب الإسلامية ومكارم الأخلاق، بل قد يكون من خوارم المروءة، حيث كان عنده ﷺ وهب أبو جحيفة وكان يتجشأ بحضرته ﷺ، والتجشؤ هو إخراج الصوت نتيجة الشبع، فنهاه النبي ﷺ وأمره بالتوقف عن ذلك بقوله: "كف عَنَّا جشَاءك". أي: اصرفه أو ادفعه عنا.

والنهي عن الجشء هو نهي عن سببه وهو الشبع؛ لأنه السبب الجالب له، وهو مذموم طباً وشرعاً، فما ملأ أبو جحيفة بعد هذا النهي من النبي ﷺ بطنه حتى فارق الدنيا، فكان إذا تغدى لا يتعشى، وإذا تعشى لا يتغدى، وكان يقول عن نفسه بعد هذا النهي: فما ملأتُ بطني منذ ثلاثين سنة. ^(١)

فالأولى كظم التجشؤ، وردده، وتغطية الفم، خاصة أمام الناس وبين المصلين؛ لما فيه من إيذاء لهم، "وكثير من الناس يتساهلون في ذلك ويفعلونه في مجامع الناس دون مبالاة، وكأنه يرى أن من الصحة إخراج التجشؤ بأعلى صوت ممكن، ولا يبالي بتغطية فمه ولا بغير ذلك، وهذا من قلة الأدب". ^(٢)

ويذكر بعض علماء التربية أن طلب الكف عن العمل يعد من العقوبات التربوية الهادفة التي استخدمها النبي ﷺ، ويمكن أن يستخدمها المعلم نحو المخالفين آداب الدرس ومكانة الأستاذ؛ لأنها مأمونة العواقب ومضمونة النجاح. ^(٣)

وكما أن هذه الأسلوب يعد وسيلة من وسائل تأديب الأولاد؛ لكن على المربي أن يحرص في هذا الأسلوب على وحدة التوجيه، سواء داخل البيت أو المدرسة والمجتمع بأكمله، أو أي مؤسسة لها تأثير مباشر في تربية الأبناء وتربيتهم وتأديبهم، "وذلك لأن من أنجح وسائل التربية اتفاق الأبوين على نهج موحد يسلكانه في معاملة أبنائهما حتى لا تتضارب آراؤهما؛ إذ ليس هناك ما هو أشد خطراً على تنشئة الأطفال من اختلاف

(١) تحفة الأحوذى (١٨٢/٧).

(٢) سلسلة الآداب الإسلامية، محمد المنجد (١٤/١٩).

(٣) انظر: نداء إلى المربين والمربيات لتوجيه البنين والبنات، محمد جميل زين ص ٥١.

الأبوين، بل إن هذا الاختلاف قد يكون هو السبب الرئيس للانحراف".^(١) فإذا حصل تناقض في التوجيه أو حتى اختلاف بين الأبوين في توجيه السلوك، بحيث يأمر الأب بإيقاف السلوك السلبي، بينما لا تبالي الأم بذلك، وترى في بعض السلوكيات أنه ليس من المهم إيقافها، فإن التربية حينها تصبح متناقضة على المتربي مما يؤثر سلباً في شخصيته، ويسبب اضطرابات انفعالية وسلوكية بالغة.

فعلى الوالدين أن يتفقا في هذا الأسلوب على نهج تربوي موحد؛ لأن الأبناء يحتاجون في تعديل سلوكياتهم إلى الشعور بانسجام وتوافق بين الوالدين، وأي تضارب بينهما في المواقف تجاه السلوك الذي يصدر منه، يشعره بخلل يعوقه حين ذاك عن السلوك الصحيح بسبب التوجيه المتناقض.

٢- أهمية تحقيق دور القدوة:

من المهم في هذا الأسلوب التربوي لكي يحقق نجاحه تحقيق دور القدوة أمام المتربي، "إن إحدى أقوى الأدوات التعليمية التي يملكها الإنسان منذ صغره هي قدرته على تشرب ومحاكاة كل ما يراه حوله، وهذا يعني أن الوالدين والأخوة الكبار، والمدرسين، والتربويين كل أولئك لهم أثر هائل في سلوكه".^(٢)

فلا يليق بالوالد أن ينهى عن سلوك معين ويطلب الأبناء بالتوقف عنه، ثم هو يمارس أمامهم السلوكيات السلبية التي نهى عنها؛ لأن أعظم ما يؤثر في توجيه الأبناء وتعديل سلوكهم، أن يروا الأفعال وهي تترجم الأقوال، والتطبيقات تبرهن النظريات التي كثيراً ما سمعوها من والديهم ومعلميهم، فتتحول الكلمات إلى سلوك حي، والمثاليات إلى حقائق، والخيال إلى واقع محسوس، وهذا الذي نسميه بأسلوب القدوة في التربية، وإنما نطالب المربين بتحقيقها؛ لما لها من تأثير في النفس، وفي تعديل السلوك السلبي، وتقليل درجته أو حذفه نهائياً، أكثر من تأثير المواعظ والأوامر والنواهي.

(١) رسائل إلى الآباء، صلاح الدين العباسي ص ١٩، سياسات تربوية خاطفة، محمد دماس ص ٦٠.

(٢) دليل الآباء الحائرين لإيقاف سلوكيات الطفل السيئة، كات كيلبي ص ٢٦.

وقل مثل ذلك في تقوية السلوك الإيجابي، فإن أكثر السلوكيات التي يتعلمها الإنسان إنما تتم عن هذا الطريق، وهذا أمر ملموس في الحياة اليومية، خصوصاً مع الأطفال؛ لأن الطفل يعد والديه النموذج الأول في السلوك.

فالأب الذي يتقاعس عن أداء الصلاة مطالب بأن يحرص عليها، إذا أراد حقاً من أبنائه أن يكونوا من رواد المساجد، وكذا الأم التي تريد من ابنتها أن تكون حريصة على ارتداء الحجاب، مطالبة بأن تحرص هي أولاً على الحجاب الشرعي.

ولهذا نجد أن أكبر المشكلات التي واجهتها الجهود التربوية في كل زمان ومكان، تلك المساحات الفاصلة بين أقوال المربين وأفعالهم، وربما لهذا السبب كان تأثير الأستاذ في الطالب أعظم من تأثير أبيه فيه؛ لأنه لا يرى أستاذه إلا في أفضل أحواله، فهو لا يرى إلا الاتزان والكمال منه. ^(١)

(١) انظر: كتاب دليل التربية الأسرية، عبد الكريم بكار ص ٧٥.

أهم النتائج التي خلص إليها هذا البحث:

- عدم إقرار الخطأ أو السماح به وسيلة مؤثرة في تعديل السلوك.
- السكوت عن الأخطاء يكرس ويزيد السلوكيات السيئة.
- تحقيق القدوة من أقوى الأساليب وأعظمها لتحويل السلوك.
- عدم الثبات في التربية من قبل الوالدين يؤدي بالأبناء إلى عدم معرفتهم ما هو مسموح وما هو ممنوع.
- لا يعني الرفق بالمخطئ السكوت عن خطئه؛ لأن في هذا تشجيعاً له على الخطأ، بل يجب زجره عنه بالرفق المناسب لظروف الخطأ والتي هي أحسن.

المبحث العاشر: توضيح مضرة الخطأ

الإنسان - دائماً - بحاجة إلى التوجيه والإرشاد والنصح، والتذكير بما قد لا يحظر له على بال من ضرر الأمور التي قد يغفل عنها، والمربي المحب المشفق هو الذي يوجه أبناءه إلى الخير، ويجنبهم جاهداً كل ما فيه شر، من مكامن الخطأ ومزالق الخطر، عن طريق تحذيرهم من الضرر الذي قد تجرهم إليه ممارستهم للخطأ.

ولهذا التوضيح من المربي أثر بالغ وكبير في تصحيح الأخطاء التي قد يقعون فيها، وقد يكون من أهم أسباب تقويم سلوكهم وانضباطه، وأحياناً يكون سبباً في التمسك بالسلوك السوي مخافة الوقوع في الضرر.

وبالرغم من أن بعض علماء التربية يفضل أن تترك المتربي يعيش ويرى نتائج سلوكه السلبي، حتى يرتدع ويعود إلى الالتزام بالسلوك الحسن عن اقتناع، إلا أن هذا الرأي لا يُلغى أهمية توضيح الخطأ له وإبراز خطورته، من أجل تجنبه والابتعاد عنه قبل أن يقع في الخطأ ويعتاد على ممارسته، وقد لا يستطيع الانفكاك منه.

ولقد كان بعض أفراد الرعييل الأول يتعلمون مثل تلك الأمور ويعرفونها لثلا يقعوا فيها ويكون لديهم هذا العلم من رسول الله ﷺ حصانة من الوقوع في الخطأ، ولا يخفى ما هو معروف من حديث حذيفة بن اليمان ؓ حين كان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني".^(١) فمن شدة خوفه وحرصه على ما قد يسبب له الخطأ من أضرار كان ﷺ يتعلم الشر لا حباً فيه، ولكن حتى يسلم من الزلل فيه، فعلم ﷺ أن الخير واضح بين لمن يطلبه، لكن الشر قد يتخفى ويتنكر وقد لا يُعرف فيبتلى الإنسان بالوقوع فيه.

ومن هنا وجب على الأريب الفطن أن يعنى بدراسة الشر، فتبين أن هذا أمر تربوي مهم جداً في التربية أدركه المربي ﷺ غاية الإدراك، فكان ينبه أصحابه إلى أضرار الأخطاء، ومن أوضح الأدلة على هذا الأسلوب ما يأتي:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٩٥/٦) كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ومسلم في الصحيح (١٤٧٥/٣) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، وأبو داود في السنن (٩٥/٤) كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها.

تصحيح الخطأ بالقول

١- عَنْ سَمَاقِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ: "عِبَادَ اللَّهِ لَتُسَوُّنَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ".

٢- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا، لَعَنَ الرِّيحَ، وَقَالَ مُسْلِمٌ إِنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَعَنَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَلْعَنَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ".

٣- عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ قَالَ كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا، قَالَ عَمْرُو: وَكَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ تَفَرَّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بَسَطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ".

تصحيح الخطأ بالقول

١٠/٣١ - عَنْ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكْبِرُ، فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرَهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ: "عِبَادَ اللَّهِ! لَتَسَوْنَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيَخَالَفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٧١/٤)، والإمام البخاري في صحيحه (٥٧/١) كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، وليس فيه ذكر الرجل خارج الصف رقم ٧١٧، ومسلم في الصحيح (٧٤٧/١) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول، فالأول منها رقم ٩٧٨ من طريق سالم بن أبي الجعد الغطفاني.

وأخرجه مسلم - أيضاً - في الصحيح (٧٤٧/١) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقدم أولى الفضل وتقريبهم إلى الإمام رقم ٩٧٩، وابن ماجه في السنن (٢٥٣٥/١) أبواب إقامة الصلوات، باب إقامة الصفوف رقم ٩٩٤ وأبو داود في السنن (١٢٧٢/١) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف رقم ٦٦٣، والترمذي في سننه (١٦٥٩/١) كتاب الصلاة، باب ما جاء في إقامة الصفوف رقم ٢٢٧، والنسائي في المجتبى (٢١٣٩/١) كتاب الإمامة، باب كيف يقوم الإمام الصفوف رقم ٨١١ من طريق سماك بن حرب. كلاهما (سالم بن أبي الجعد، وسماك بن حرب)، عن النعمان بن بشير به مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- توضيح مضرة الخطأ من أهم الأسباب التي تقي منه:

إن التربية الوقائية اليوم في ظل كثرة المؤثرات باتت ضرورة ملحة لجميع المؤسسات التربوية، خاصة الأسرة التي تعد أهم وأقدم مؤسسة تربوية لها التأثير الأول في الأفراد قبل أي مؤسسة.

ولقد اعتمد النبي ﷺ في منهجه حول تعديل السلوك على الأسلوب الوقائي تربيةً وتعليمًا وتطبيقًا؛ حفاظاً على الأفراد، وصيانة للمجتمعات، وتحقيقاً منه ﷺ للسلامة من الوقوع في الخطأ، وحرصاً بالغاً لتدارك المخطور قبل وقوعه، آخذاً ﷺ بمبدأ الوقاية - دائماً - خير من العلاج.

ولهذا كان النبي ﷺ يوضح مضرة الخطأ لأصحابه وأمنه منطلقاً من هذا المبدأ (مبدأ الوقاية)، وهذا من عظيم تربيته ونصحه للأمة، فإنه لم يكن ﷺ يسعى إلى تصحيح ومعالجة الخطأ بعد وقوعه فحسب، إنما يسعى جاهداً لتفاديه قبل وقوعه، عن طريق التوضيح والبيان لخطورتها لو تم الانزلاق فيها.

والنهج النبوي في هذا المجال يتبع النهج القرآني الكريم سواء بسواء؛ لأنه ترجمه له؛ ولأن في القرآن الكثير من الآيات الكريمة التي تعتمد على تربية الإنسان على الوقاية أكثر من اعتمادها على العلاج كآيات غض البصر وغيرها كلها من باب الوقاية من وقوع أخطار محتملة كالزنا وفساد القلب والوقوع في المحرمات، ومثل ذلك ما جاء فيه النهي عن سب آلهة المشركين وما ذاك إلا صيانة لرب العالمين أن تناله ألسنة المشركين ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨)

(١٠٨)

وفي صيانة أخلاق الأسرة وحملها على أحسن الآداب شرع الاستئذان في ثلاث أوقات من الليل والنهار وسماها الله عورات، وفي المحافظة على الأهل من نار وقودها الناس والحجارة شرع التأديب لهم وتعليمهم الخير، وكذا السنة جاءت كذلك، والمتتبع لخطوات النبوة يجدها زاخرة بالوصايا والتوجيهات الوقائية على كل صعيد، فما تكاد

ترى جانباً من جوانب الحياة إلا وضعت السنة للأفراد والمجتمعات فيه من التدابير الوقائية ما يصونهم من الزلل ويحفظهم من الخطر.

مما يؤكد أن عملية التربية في الإسلام تهدف إلى قطع الطريق على العلة قبل حدوثها، ذلك أن العلة إذا انتشرت استحال علاجها، أو قلت جدواها، أو على أقل تقدير ربما كلف ذلك من الجهد والوقت والمال الشيء الكثير.

وبهذه التربية تبقى البيئة الإسلامية معافاة من العلل والمشكلات والآفات التي قد تفتك بها، ومن تلك التشريعات الوقائية في السنة - مثلاً - التفريق بين الأولاد في المضاجع إذا بلغوا سن العاشرة، فقد راعى الإسلام هذا الجانب، وكذا في المنع من اتخاذ القبور مساجد وقاية للعقيدة من الانحراف، وفي وقاية العقل من الانحراف نزل تحريم الخمر في آيات عدة وغيرها من الأحاديث التي تظهر فيها هذا النوع من التربية. إن الاهتمام بهذا الأمر في العملية التربوية بحيث تكون وقائية بالدرجة الأولى كفيل بخفض نسبة حدوث الأخطاء والمشكلات في الحياة، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات. ^(١) ومن تلك الأمور التي كان النبي ﷺ يوليها عناية من التوضيح والتحذير من مخالفتها تسوية الصفوف في الصلاة؛ حيث كان ﷺ يبالغ في تسويتها حتى توعده على تركها ﷺ بالمخالفة بين الوجوه، هنا يتضح ضرر المخالفة في التسوية حين رأى ﷺ الخطأ من الرجل الذي تقدم عن الصف بئ ضرر ذلك بالمخالفة الحقيقية التي تكون عقوبة له ولهم، وهي من جنس الجناية التي قاموا بها، فلما خالفوا في التسوية عوقبوا بالمخالفة في الوجوه، فالضرر هنا عام للجميع المخطئ وغيره.

ومن هنا تتبين ضرورة الوقاية من الخطأ كونه يمس الضرر جماعة وليس أفراد فقط، واختلف في الوعيد المذكور فقليل هو على حقيقته، وهو تحويل الوجه إلى القفا بحيث تلوى الأعناق، وتكمن المخالفة في كون وجه هذا مخالف لوجه هذا، وهذه عقوبة حسية عظيمة، وقليل هو إيقاع العداوة والبغضاء بينهم؛ وذلك لأن تقدم الشخص على

(١) انظر: التربية الوقائية، فتحى يكن ص ٣٤، وكتاب التربية الوقائية في الإسلام، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن ص ١٣٩ وما بعدها بتصرف.

غيره هي مظنة الكبر المفسد للقلب، وبالتالي إلى القطيعة وإعراض الواحد بوجهه عن الآخر، ولعل هذا هو الأرجح، وهذه المخالفة معنوية. ^(١)

وعلى هذا فإنه على المأمومين الاهتمام بتسوية الصفوف بحيث تكون على سمت واحد، وأنهم إذا أهملوا ذلك عرضوا أنفسهم للعقوبة، ولقد كان ﷺ يمشي بين الصفوف في الصلاة ويسويها بيده الكريمة، ولما كثر الناس في زمن الخلفاء أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يسوي الصفوف إذا أقيمت الصلاة، فإذا جاء وقال إنها قد استوت كبر للصلاة، وكذا فعل عثمان رضي الله عنه؛ مما يدل على اعتناؤهم بهذا الأمر وإدراكهم ضرر مخالفته. أما اليوم فقد وجد في صفوف المسلمين أقوام قد فتنوا بحب الخلاف في ذلك، والله المستعان.

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٢/٢٥٧)، وشرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (١/١٨٢).

١٠/٣٢ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا ، لَعَنَ الرِّيحَ وَقَالَ مُسْلِمٌ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ: ^(١) إِنْ رَجُلًا نَارَعَتْهُ الرِّيحُ رَدَّاهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَعْنَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَلْعَنَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ".

التخريج:

أخرجه أبو داود في السنن (٢٧٨ / ٤) كتاب الأدب، باب في اللعن، والترمذي في السنن (٣٥٠ / ٤) كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في اللعنة .

وابن حبان في صحيحه (٥٥ / ١٣) باب ذكر الزجر عن لعن المرء الرياح لأنها مأمورة تأتي بالخير والشر معا، والطبراني في المعجم الصغير (١٦١ / ٢) وكذا في المعجم الكبير (١٦٠ / ١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٠٨ / ٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٣١٦)، وكذا في الآداب للبيهقي أيضاً (٤٤٨ / ١)، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٧ / ١٠)

جميعهم من طريق أبان بن يزيد العطار عن قتادة عن أبي العالية رضي الله عنه عن ابن عباس مرفوعاً^(٢)

دراسة الإسناد:

أبان بن يزيد العطار هو البصري صاحب قتادة^(٣)، سمع قتادة وعمرو بن دينار، وعنه يحيى بن سعيد القطان وابن المبارك وأهل العراق، وهو من طبقة معمر والثوري.^(٤)

قال الإمام أحمد بن حنبل: أبان العطار ثبت في كل المشايخ، وقال يحيى بن معين: أبان بن يزيد ثقة^(١) وهو من ثقات البصريين وحفاظهم^(٢) وقال العجلي: بصري ثقة كان

(١) مسلم بن إبراهيم هو الراوي عن أبان بن يزيد.

(٢) وذكر الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة (٦٢ / ٢) أنه صحيح وكذا في كثير من كتبه كصحيح

وضعيف الترمذي (٤٧٨ / ٤) وغيره .

(٣) المقتنى في سرد الكنى (١٥٤ / ٢) .

(٤) طبقات الحديث، للذهبي (٥٩ / ١) .

يرى القدر ولا يتكلم فيه، وقال النسائي: ثقة وذكره ابن عدي في الكامل وقال: له أحاديث صالحة عن قتادة وغيره وعامتها مستقيمة ^(٣) مات في حدود الستين . ^(٤)

عن قتادة رحمه الله هو السدوسي، أبو الخطاب البصري الضرير أحد أئمة الأعلام والحافظ روى عن أنس بن مالك ﷺ وسعيد بن المسيب وأبي العالية وعنه شعبة وسعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي وخلق كثير.

ثقة ثبت ^(٥) وكان الإمام أحمد يقول : أحفظ أهل البصرة وكان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في الحفظ رحمه الله مات سنة سبعة عشر ومائة بالطاعون. ^(٦)

وأبو العالية الرياحي بصري أعتق سائبة مولى امرأة الأنصاري، اسمه رفيع بن مهران ^(٧) وهو الحافظ المفسر الإمام المقرئ أحد الأعلام ثقة من كبار التابعين سمع علياً وابن عباس وعمر وعائشة ﷺ وعدة، وعنه قتادة ويقال لم يسمع منه إلا أربعة أحاديث فقط مات في شوال سنة تسعين. ^(٨)

وعبد الله ابن عباس ﷺ صحابي معروف.

وممن روى هذا الحديث عن أبان: بشر بن عمر بن عقبة الزهراني الأزدي، أبو محمد البصري ثقة من التاسعة، روى عن شعبة ومالك وأبان، وعنه إسحاق بن راهوية، وزيد بن أحرم، وجماعة، قال ابن سعد: ثقة، وكذلك وثقه ابن حبان، والعجلي، وقال أبو حاتم: صدوق مات سنة: ٢٠٧ بالبصرة. ^(٩)

(١) الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٩).

(٢) مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان (١/ ١٥٨).

(٣) تهذيب التهذيب، لابن حجر (١/ ٨٧).

(٤) تقريب التهذيب (١/ ٨٧).

(٥) المرجع السابق (١/ ٤٥٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٠).

(٧) الأسامي والكنى لابن حنبل (١/ ٧٣).

(٨) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٨)، معرفة الثقات (٢/ ٤١٢).

(٩) تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٩٩)، تذكرة الحفاظ لابن طاهر القيسراني (١/ ٣٣٨).

تصحيح الخطأ بالقول

ومن روى هذا الحديث عن بشر: زيد بن أخزم الطائي البصري، أبو طالب مشهور باسمه وكنيته، الحافظ الإمام، روى عن عبد الصمد بن عبد الوارث، ووهب بن جرير، سمع منه أبو حاتم في الرحلة الثانية كما نقل عنه ابنه، روى عنه الجماعة سوى مسلم، قال ابن أبي حاتم: ثقة. (١)

الحكم على الحديث:

الذي أراه أن الحديث صحيح، والله تعالى أعلم.

حكم العلماء على الحديث:

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعلم أحداً أسنده غير بشر بن عمر. (٢)

وصححه الإمام الألباني. (٣)

وله شاهد عن أسير بن جابر التميمي رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: "أن رجلاً لعن الريح فقال رسول الله ﷺ: لا تلعنها فإنه من لعن شيئاً ليس من أهله رجعت عليه" (٤).

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - كثيراً ما تعود مضرة الخطأ على المخطئ نفسه:

أحياناً يكون ذلك من جهله بخطورة خطئه، وما قد يجره عليه من ضرر عظيم، وتعود مسؤولية بيان ذلك على الوالدين حين التنشئة له منذ الصغر ولعل "أدق وأخطر ما يصادفه الأبوين في حياتهما هو الطريقة المثلى الواجب اتباعها حيال تنشئة أبنائهم التنشئة الصحيحة، فجميع الشواذ من أفراد المجتمع وكل المنحرفين إنما هم

(١) الجرح والتعديل (٥٥٦/٣) وكذا تذكرة الحفاظ (٥٤٠/٢).

(٢) قال الحافظ: وبشر هذا ثقة احتج به البخاري ومسلم وغيرهما، ولا أعلم فيه جرحاً أنظر: المنذري في الترغيب والترهيب (٣١٥/٣).

(٣) السلسلة الصحيحة المختصرة (٦٢/٢) وكذا في كثير من كتبه كصحيح وضعيف الترمذي (٤٧٨/٤) وغيره.

(٤) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (١٣٤/١).

النتيجة الحتمية لوسيلة التربية الخاطئة، ولجهل الأبوين بأبسط قواعدها".^(١) فعليهم مهمة توضيح وبيان عاقبة السلوك السلي، إما عن طريق طرح القصص، وبيان مصير الذين وقعوا في مثل هذه الأخطاء، وكيف الحقوا بأنفسهم الضرر أو عن طريق التوجيه والتبصير لهم، فإن هذا الإجراء منهم يعمل على إضعاف السلوك القائم لديهم.

وإلا فوقع الخطأ من الأبناء أمر لا مفر منه، ولا بد للآباء أن يتوقعوا من أبنائهم سلوكاً غير مناسب، خاصة فيما لم يسبق لهم أن حذروهم منه.

والحاصل اليوم مع كثير من المربين هو إهمال الأبناء حتى يقع منهم الخطأ ويتكرر مرات ومرات، ثم إذا استفحل الأمر بالمشكلة ذهب يذل كل جهد في علاجها، وهذا خلل في التربية، مع أنه كان بالإمكان منع وقوع الخطأ من الأصل عن طريق تنبيه الأبناء إلى خطورتها، وتحذيرهم من الضرر الذي قد يقعون فيه عند كل مناسبة تحين لذلك؛ حتى يغرس في نفوسهم كراهية السلوك السيئ فينفرون منه، خاصة ما كان ضرره بالدرجة الأولى على أنفسهم فقط، فيتجرعون عواقبه.

وحول ذلك يبين أحد التربويين أهمية هذا فيقول: "قد يلاحظ بعض الآباء - أحياناً - مظاهر في سلوك أطفالهم تدل على خطأ في سلوكهم، وسوء في تصرفاتهم، ولكنهم لا يعيرون هذه المظاهر أية أهمية، ولا يتخذون إزاء ذلك أي إجراء يحول بينهم وبين التماهي في هذا السلوك. إن من واجب الآباء أن يعيروا هذه الدلائل والإشارات المبكرة اهتمامهم؛ ليتمكنوا من المبادرة إلى معالجة هذا الأمر قبل أن يستفحل وتشتد الأعراض، ويصبح حالة مستعصية على العلاج والشفاء منها، مهما كانت المرحلة العمرية التي يمر بها".^(٢)

ومن أمثلة ذلك في السنة النبوية ما بينه النبي ﷺ من الضرر الذي يلحق باللاعن لشيء لا يستحقه، وهذا الرجل الذي أنكر النبي ﷺ سلوكه في لعن مَنْ لا يستحق اللعن

(١) رسائل الآباء، صلاح الدين العباسي ص ١٦، وانظر: أساليب التربية الخاطئة وأثرها في تنشئة الطفل، يحيى محمد النبهان ص ٢٢.

(٢) الآباء وسلوك الأبناء، محمد عبد الرحيم علس ص ٣٦.

كالريح حين نازعته رداءه فلعنها، وهي مسخرة غير مريدة لما تفعل، مأمورة حتى بهذه المنازعة التي هي من خصائصها ولوازم وجودها عادة، أو تكون مأمورة بابتلاء العباد بهذا، والمأمور بلا شك معذور، ومن لعن شيئاً ليس بأهل للعتة، رجعت لعنته على نفسه؛ لأن اللعنة أو الرحمة تعرف طريق صاحبها قال النووي: "فيه الزجر عن اللعن؛ لأن اللعنة في الدعاء يُراد بها الإبعاد عن رحمة الله، وليس بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله بالرحمة فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى، وإنما هذا من نهاية المقاطعة والتدابير، وهذا غاية ما يوده المسلم بالكافر؛ لأنه بذلك يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله".^(١)

وإن مما يؤسف له قماون الناس اليوم في اللعن بكثرة حتى بات أمراً سهلاً على ألسنتهم، فيلعنون أولادهم ودواهم ومن يختلفون معهم، بل ربما لعنوا من يمازحونه، ولا يتنبهون إلى أنهم يخالطون أشياء قد لعنوها، وهذا خلاف فعل النبي ﷺ في السنة.

والتأمل في سيرته يجد أنه ﷺ قد أرسى له منهجاً كاملاً حول اجتناب اللعن، يتناسب مع مقاصد الإسلام، ويتوافق مع رحمته العظيمة بالأمة، ومع نهيه وتحذيره من خطورته بحيث فاض هذا الأمر عنه ﷺ وتواتر، بل إنه بين أنه يناقض المقصد من بعثته ﷺ؛ حيث بعث بالرحمة الواسعة للبشرية كافة لا بالطرد منها، وكان هو ﷺ في قمة الالتزام والقُدوة بهذا، فلم يكن سباً ﷺ، ولا لعناً، ولا فاحشاً بالقول، ثم من ذا الذي يتألى على الله، فيبعد عن رحمته من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية.^(٢)

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٤٨/١٦) بتصرف يسير.

(٢) ذكر ذلك النووي في الشرح على صحيح مسلم (٢، ٨٧) وأوردتها هنا لكن بصيغة أخرى.

تصحيح الخطأ بالقول

١٠/٣٣ - عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا، قَالَ عَمْرُو: وَكَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْصَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بَسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَهُمْ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٩٣/٤)، وأبو داود في السنن (١٤١٧/١) كتاب الجهاد، باب ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته رقم/٢٦٢٨، والنسائي في السنن الكبرى (٢٦٩/٥) رقم/٨٨٥٦ باب النهي عن التفرق في الشعب والأودية، وابن حبان في صحيحه (٤٠٨/٦) باب المسافر رقم/٢٦٩٠، والحاكم في المستدرک (٤٠٨/٢) رقم/٢٥٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٢/٩) باب ما يؤمر به من الانضمام رقم/١٣٦، والمزي في تهذيب الكمال (٥٤٥/٢٧) رقم/٥٩٤٥ جميعهم من طريق عبد الله بن العلاء بن زبر عن مسلم بن مشكم به مرفوعاً.

دراسة الإسناد:

عبد الله بن العلاء بن زبر، الإمام المحدث، أبو زبر الشامي الدمشقي، روى عن أبي سلام الأسود، ومكحول وعبد الله بن عامر، روى عنه الوليد بن مسلم، وأبو مسهر، سئل عنه دحييم: فوثقه جداً، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال: هو أحب إلي من حفص بن غيلان. ^(١)، وثقه يحيى بن معين، وابن سعد وقال الإمام أحمد: مقارب الحديث، وقال أبو داود والدارقطني: ثقة، قال العجلي: شامي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات قال ابنه: مات أبي سنة خمس وستين، وهو ثقة من السابعة. ^(٢)

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٢٨/٥).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥٠/٧)، معرفة الثقات للعجلي (٤٧/٢)، تهذيب التهذيب (٣٠٦/٥) والتقريب

(٣١٧/١).

تصحيح الخطأ بالقول

ومسلم بن مشكم أبو عبيد الله الدمشقي كاتب أبي الدرداء، تابعي سمع أبا ثعلبة الخشني وأبا الدرداء، روى عنه ابن زبر ويزيد بن عبيدة قال أبو مسهر: كان مسلم بن مشكم: ثقة^(١)، وقال العجلي: ثقة من كبار التابعين، وهو من ثقات أهل دمشق وكان خيراً فضلاً، من كبار الثالثة^(٢) وقال يعقوب بن سفيان ودحيم: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات.^(٣)

وأبو ثعلبة الخشني صاحب النبي ﷺ اسمه جرثوم^(٤)، وقيل: جرهم وقد اختلف في اسمه وأسم أبيه اختلافاً كثيراً، روى عن النبي ﷺ، وعن معاذ بن جبل، حدث عنه أبو إدريس الخولاني وجبير، صحابي مشهور بكنيته، مات سنة خمس وسبعين، وقيل بل قبل ذلك بكثير في أول خلافة معاوية بعد الأربعين.^(٥)

الحكم على الحديث:

هذا الحديث صحيح، والله أعلم.

حكم العلماء على الحديث:

قال الحاكم بعد أن رواه: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".^(٦)

وصححه الألباني في بعض كتبه، وفي بعضها قال: جيد.^(٧)

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - بيان ضرر الخطأ سبب في الإقلاع عنه:

(١) الكنى والأسماء لإمام مسلم (١/٦٣٠)، والمقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/٣٧٩)، التاريخ الكبير (٧/٢٧٢)،

الجرح والتعديل (٨/١٤٩).

(٢) معرفة الثقات للعجلي (٢/٢٧٨)، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (١/١١٩)، تقريب التهذيب

(١٠/١٢٥).

(٣) تهذيب التهذيب (١/٥٣٠).

(٤) الأسماء والكنى لابن حنبل (١/٤٧).

(٥) تهذيب التهذيب (١٢/٥٢)، تقريب التهذيب (١/٦٢٧)، سير أعلام النبلاء (٢/٥٦٩).

(٦) المستدرك (٢/٤٠٨) رقم/٢٥٤٠.

(٧) صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/٢)، وكذا في مشكاة المصابيح (٢/٣٨٩).

تصحيح الخطأ بالقول

لقد كان المربي ﷺ يهدف من راء توضيح مضرة الخطأ لأصحابه هو إقناعهم بتركه بصورة غير مباشرة؛ لذا لما بدا منهم الخطأ الذي يضر بهم نهيهم عليه ﷺ، وكان يرى منهم كل ما يتزل بهم متزلاً تفرقاً عن بعضهم وبعداً، بحيث تكون بينهم مسافات في الأودية والشعاب، فنهاهم عن ذلك وحذرهم منه؛ لما فيه من إغراء العدو بهم واستدراجاً لبعضهم، ولأنه من فعل الشيطان ليخوف أولياء الله ويحرك عليهم الأعداء.

وكان ﷺ يكره التفرق في كل أحواله حسياً كان كما في الحديث، أو معنوياً من اختلاف في الكلمة أو في المواقف أو في الأحوال، بل حتى في الأبدان إذا كان تفرقاً على غير سبب، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

وكان شديد التحذير من عواقبهما السيئة، وكان ﷺ يحارب كل أشكال التفرق والشذوذ وكل مظهر ينشئ التشتت أو الانقسام، وكان ﷺ إذا رآهم على هذه الحال في المسجد يقول: "ما لي أراكم عزين؟" (١).

حتى إنه ﷺ استخدم أسلوب التهيب مع مَنْ شذ عن الجماعة في الصلاة، فعن أبي هريرة ؓ قال: كان ﷺ يقول: "أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار". (٢).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٣٢٢/١) كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد، وأبو داود في السنن (٢٥٨/٤) كتاب الأدب، باب في التحلق من طريق جابر بن سمرة ؓ مرفوعاً.
(٢) صحيح البخاري (٢٤٥/١) كتاب الجماعة والإمامة، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، وصحيح مسلم (٣٢٠/١) كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود، وابن ماجه في السنن (٣٠٨/١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب النهي أن يسبق الإمام بركوع أو سجود، وأبو داود في السنن (١٧٩/١) كتاب الصلاة، باب التشديد فيمن يرفع قبل الإمام أو يضع قبله، والترمذي في السنن (٤٧٥/٢) باب ما جاء في التشديد في الذي يرفع رأسه قبل الإمام، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الصغرى (٩٦/٢) كتاب الإمامة، باب مبادرة الإمام.

تصحيح الخطأ بالقول

وهكذا تهرب السنة الكريمة كل خروج عن الجماعة، وتهدد مَنْ يشذ عنها حتى ولو كان يؤدي عبادة، وكان ﷺ كثيراً ما ينيهم إلى ذلك، فهموا ذلك بصورة واضحة وانتهوا عما عهد منهم في التفرق، فما نزلوا متراً إلا اجتمعوا جميعاً؛ لأن ذلك أقوى لهم وأحفظ لو تسلط عليهم العدو فجأة وأمكنهم من المدافعة، لكن لو تفرقوا بمنة ويسرة توزعوا وفشلوا، ومن شدة انضمام وتقارب بعضهم لبعض بعد استجابتهم لنصيحة رسول الله ﷺ لو وضع عليهم ثوب لوسعهم، وهذا مبالغة في ترك ما كانوا عليه من التفرق إلى كونهم مجتمعين. (١)

ومن الشواهد على توضيح مضرة الخطأ ما يأتي:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أَمَّا يَخْشَى أَحَدُكُمْ - أَوْ لَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ". (٢)

- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ لَا تَرْجِعْ إِلَيْهِمْ". (٣)

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَزَعَهُ فطَرَحَهُ وَقَالَ: "يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ" فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ! لَا أَخْذُهُ أَبَدًا، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (٤)

(١) انظر حول شرح الحديث: عون المعبود (٢١٠/٧)، وشرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (١١٠٣/١).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٥/١)، كتاب الآذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، وصحيح مسلم (٣٢١/١) كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما "بلفظ أما يأمن"، وأبو داود في السنن (١٦٩/١) كتاب الصلاة، باب التشديد فيمن يرفع رأسه قبل الإمام أو يضع قبله.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود أو نحوهما (٣٢١/١)، وابن ماجه في السنن (٣٣٢/١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الخشوع في الصلاة، ويقاس عليه أيضاً قوله ﷺ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ..." الحديث.

(٤) صحيح مسلم (١٦٥٥/٣) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، ونسخ ما كان من إباحته قبل الإسلام.

تصحيح الخطأ بالقول

- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتْنِي رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ"، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ . مَرَارًا ثُمَّ قَالَ: " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فَلَانًا وَاللَّهُ حَسِيْبُهُ، وَلَا أَرْكَبِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذًّا وَكَذًّا؛ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ " .^(١)

- وما ورد عن النبي ﷺ من بيان مضرّة الخطأ ما قد يتعدى ضرره على الجماعة كلها، لا على الفرد فحسب ما ورد عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: "إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاخَى فَلَانٌ وَفَلَانٌ فَرَفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَّمِسُوهَا فِي السَّعِ وَالْتَسِعِ وَالْخَمْسِ" .^(٢) فتأمل كيف أن الخصومة بين هذين الرجلين كانت سبباً للعقوبة الواقعة ضررها على الجماعة بل على الأمة بأكملها، ورفّع خبر ليلة القدر عنها بلا سبب مباشر منها في الدنيا .^(٣)

أهم النتائج التي خلص إليها هذا المبحث:

- عدم تنبيه المخطئ على عواقب السلوكيات السيئة يفتح على المربي مبدءاً غير تربوي آخر وهو مكافأة السلوك السيئ بغير قصد.
- توضيح الضرر من الأخطاء وسيلة فاعلة في اكتساب السلوك الإيجابي.
- قد يقع أبنائنا في الخطأ؛ لأنهم لم يحذروا مسبقاً منه.
- على المربين أن يولوا جانب التربية الوقائية عناية كبيرة كما أولاها القرآن الكريم والسنة النبوية، معتمدين في ذلك على تقوية المناعة لدى مَنْ يقومون على تربيته قبل أن يتمكن الشر منه، فيصعب على المربي إصلاحه، وقد يستحيل أحياناً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٤٦/٢) كتاب الشهادات، باب إذا زكى فلاناً كفاه، والإمام مسلم في

الصحيح (٢٢٩٦/٤) كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة .

(٢) صحيح البخاري (٢٧/١) كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٣) انظر لمزيد من البيان حول هذا: فتح الباري، لابن حجر (٢٦٧/٤).

المبحث الحادي عشر: محاوراة المخطئ

بعد الحوار من أحسن الوسائل الموصلة إلى الإقناع وتغيير الاتجاه الذي يدفع إلى تعديل السلوك إلى الأفضل؛ لأن الحوار ترويض للنفس على قبول النقد، واحترام آراء الآخرين، وتجلّي أهميته - أيضاً - في دعم النمو النفسي، والتخفيف من مشاعر الكبت والقلق التي قد يعانيها الفرد، فأهميته تكمن في أنه وسيلة بناءة علاجية تساعد على حل كثير من المشكلات.

لقد اهتم الإسلام بالحوار كوسيلة من وسائل المعرفة اهتماماً كبيراً؛ لأن الإسلام يرى أن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها إلى الحوار أو الجدال، كما يطلق عليه القرآن الكريم في وصفه للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٥٤) (الكهف).

بل إن صفة الحوار أو الجدال لدى الإنسان في نظر الإسلام تمتد حتى إلى ما بعد الموت، إلى يوم الحساب كما يخبرنا القرآن في قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١) (النحل).

ولأن الحوار ضروري وملح في التربية والدعوة الإسلامية، فقد رسم ﷺ أروع الأخلاق في الحوار، وأحسنها وأسمها وأنبهها، من خلال تعامله ﷺ مع أصحابه في المواقف التربوية والتعليمية التي كان كثيراً ما يستخدم معهم فيها أسلوب الحوار إذا رأى منهم ما يحتاج إلى تقويم؛ لأن الغاية المقصودة من الحوار هي إقامة الحجة، أو تصحيح الخطأ، أو دفع شبهة، أو دفع باطل، وكلها غايات مهمة كان ينشدها النبي ﷺ في دعوته وتعليمه، ومن خلال بحثي وقفت على حديث واحد استخدم فيه النبي ﷺ الحوار بهدف تصحيح الخطأ، وهو كالتالي:

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أُنْكَحِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كِتَابَهُ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِهَا، فَقَوْلُ: نَعَمْ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفْتَشْ لَنَا كَنْفًا مُذْ أُتِيَئَهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "الْقَنِي بِهِ"، فَلَقِيَتْهُ بَعْدُ فَقَالَ: "كَيْفَ

تصحيح الخطأ بالقول

تَصُومُ؟" قُلْتُ: أَصُومُ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: "وَكَيْفَ تَخْتَمُ؟"، قَالَ: كُلُّ لَيْلَةٍ، قَالَ: "صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ"، قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ ثَلَاثَةً، أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ". قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "أَفْطِرُ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا"، قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ، صَوْمِ دَاوُدَ، صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ. وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ لَيْالٍ مَرَّةً"، فَلَيَّتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْحَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَفْرُوهُ يَغْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةً أَنْ يَتْرَكَ شَيْئًا فَارَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ. قَالَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ: بَعْضُهُمْ فِي ثَلَاثٍ وَفِي سَبْعٍ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ.

تصحيح الخطأ بالقول

١١/٣٤ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَلْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَتْنَهُ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِهَا، فَتَقُولُ: نَعَمْ. الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَتْنًا مُذْ أَتَيْتَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "الْقَنِي بِهِ"، فَلَقِيَتْهُ بَعْدُ فَقَالَ: "كَيْفَ تَصُومُ؟" قُلْتُ: أَصُومُ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: "وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟" قَالَ: كُلُّ لَيْلَةٍ، قَالَ: "صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ"، قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ ثَلَاثَةً، أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ". قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "أَفْطِرُ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا"، قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ، صَوْمُ دَاوُدَ، صِيَامُ يَوْمٍ وَإِفْطَارُ يَوْمٍ. وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ لَيَالٍ مَرَّةً"، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السَّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ يَغْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخْفَ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةً أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا فَارَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ. قَالَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ: بَعْضُهُمْ فِي ثَلَاثٍ وَفِي سَبْعٍ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٨/٢) رقم ٦٤٧٧، والبخاري في صحيحه (٤٣٧/١) كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن وقول الله تعالى: (فاقرؤوا ما تيسر منه) رقم ٥٠٥٢، ورقم ٥٠٥٣، ورقم ٥٠٥٤، وفي كتاب الصيام (١٥٥/١) باب صوم يوم وإفطار يوم رقم ١٩٧٨، والنسائي في المجتبى (٢٢٤١/١) كتاب الصيام، باب صوم يوم وإفطار يوم، وذكر اختلاف الناقلين في ذلك لخبر عبد الله بن عمرو ؓ رقم ٢٣٩١ من طريق عن مجاهد. وفي كتاب الصحيح عند البخاري (١٥٤/١) كتاب الصوم، باب حق الضيف في الصوم رقم ١٩٧٤، وفي كتاب الصوم أيضاً (١٥٤/١) باب حق الجسم في الصوم رقم ١٩٧٥، وعنده كتاب النكاح (٤٥٠/١) باب لزوجك عليك حق رقم ٥١٩٩، وفي كتاب الأدب (٥١٧/١) باب حق الضيف رقم ٦١٣٤، والنسائي في المجتبى (٢٢٤١/١) كتاب الصيام، باب صوم يوم وإفطار يوم، وذكر

اختلاف الناقلين في ذلك لخبر عبد الله بن عمرو ؓ رقم ٢٣٩٣، من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن فقط. وعند البخاري في الصحيح كتاب الصيام (١٥٤/١) باب صوم الدهر رقم ١٩٧٦، وفي كتاب أحاديث الأنبياء له أيضاً (٢٧٨/١) رقم ٣٤١٨، ورقم

٣٤١٩ باب ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ ذُبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣)

من طريق سعيد بن المسيب مقروناً بأبي سلمة ؓ، وفي كتاب الصوم للبخاري (١٥٤/١)، باب حق الأهل في الصوم رقم ١٩٧٧، وباب صوم داود عليه السلام (١٥٥/١) رقم ١٩٧٩، ورقم ١٩٨٠، والنسائي في المجتبى (٢٢٤١/١) كتاب الصيام، باب صوم يوم وإفطار يوم، وذكر اختلاف الناقلين في ذلك لخبر عبد الله بن عمرو ؓ رقم ٢٣٩٤، من طريق أبي العباس المكي الشاعر، وفي كتاب التهجد، باب من نام عند السحر رقم ١١٣١، وفي كتاب أحاديث الأنبياء أيضاً (٢٧٩/١) باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً، رقم ٣٤٢٠، من طريق عمرو بن أوس الثقفي. وفي كتاب الاستئذان (٥٢٩/١) باب من ألقى له وسادة رقم ٦٢٧٧ من طريق زيد، والنسائي في المجتبى (٢٢٤١/١) كتاب الصيام، باب صوم يوم وإفطار يوم، وذكر اختلاف الناقلين في ذلك لخبر عبد الله بن عمرو ؓ رقم ٢٣٩٥/٢٣٩٤، جميعهم (مجاهد، وأبو سلمة، وسعيد بن المسيب، وأبو العباس الشاعر، وعمرو بن أوس الثقفي، وزيد)، عن عبد الله بن عمرو ؓ جميعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- الحوار أحد أبرز أساليب القرآن الكريم:

تعددت الأساليب البيانية في القرآن، وكان الحوار هو أبرز تلك الأساليب حتى لا تكاد تخلو سورة من سورة إلا وقد تضمنته، وذلك أمر لا غرابة فيه أبداً؛ لأن هذا الأسلوب هو الطريق الأمثل للاقتناع الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض فرضاً على أي أحد.

وكانت أهم قضايا القرآن التي تناولها تدور حول أساس الإيمان بالله ورسله، ووحديته، وأحقية بالعبادة دون غيره، والإيمان بالبعث والجزاء. هذه العناصر الثلاثة من أهم القضايا الرئيسة في القرآن الكريم؛ لهذا كانت موضع حوار.

وقد شكلت منهجيته أنموذجاً لأرقى فنون الحوار التي عرفها التاريخ البشري، ففي منهجيته أتيح للخصوم كافة أن يدلوا بحججهم كاملة غير منقوصة ولا مختزلة، بعيداً عن تقويلهم ما لم يقولوه في الوقت نفسه الذي أخذت فيه تلك المنهجية على عاتقها تفنيد حججهم باستخدام المنطق العقلائي.

وقد حكى القرآن صوراً مختلفة للحوار منها ما كان بين الأنبياء وأقوامهم، ومنها ما كان مع الملائكة، وحواره تعالى مع إبراهيم عليه السلام حين سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى وكأنه غير متيقن من البعث كل اليقين، ومع ذلك حاوره - سبحانه - حواراً علمياً مقنعاً، وصورة أخرى من حواره - جل وعلا - مع موسى عليه السلام حين طلب بكل إلحاح أن يأذن له برؤيته لكي يزداد يقيناً وليحاج قومه بما رأى حيث قال فيه: ﴿ قَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَيْنَا وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِينَا ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

وغيرها من أشكال الحوار التي يصعب حصرها في القرآن الكريم، والتي تدل دلالة واضحة على جواز الحوار، بل - أحياناً - وجوبه إذا تعين أنه السبيل الوحيد لإبلاغ وإيصال الدعوة إلى الله. ^(١)

٢- الحوار طريقة نبوية:

يعد الحوار منهجاً نبوياً من مناهج التربية التي ربي الرسول ﷺ الصحابة والأمة عليه، وبالرغم من تعدد المناهج التربوية، إلا أن الحوار يبقى أساس هذه المناهج، وعلى رأسها وفي مقدمتها. ويتضح ذلك من خلال سيرته العطرة. ^(١)

(١) انظر: الحوار في القرآن الكريم آدابه وفضائله، لخليل إبراهيم فرج، الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه،

محمد شمس الدين خوجة ص ١٩.

فقد تضمنت السنة نماذج راقية من تعامل النبي ﷺ مع أصحابه بأسلوب الحوار سواء في التعليم أو التربية وإصلاح الخطأ، وأسهم في تنوعها وغناها حسن خلق النبي ﷺ وحلمه وسعة صدره في التعامل مع المواقف، وتميزه ﷺ في فهم نفسيات الناس، وحسن استماعه إلى الآخرين، وتفهمه ﷺ مشكلاتهم وحاجاتهم على اختلافها، واتسع حواره ﷺ حتى شمل أعداءه ومخالفيه.

ولأن الحوار وسيلة للتعرف على المشكلات والقضاء عليها؛ لذا كان يسمع منهم وجهة نظرهم ويناقشهم فيها. أما مع أصحابه فكان ﷺ حريصاً على تعليمهم وتربيتهم بطريقة الحوار، وكانت رغبته أشد في أن يكونوا هم البادئون بالسؤال، فيما يسألونه ليكون التعليم على رغبتهم وأشد وقعاً في نفوسهم، وأحياناً كان حواره ﷺ معهم بهدف التعليم، وأحياناً بهدف الإقناع، كما حاور مَنْ جاء يستأذنه في الزنا. (١) (٢)

وهذا الحديث هو من أبرز النماذج التي برز فيها الحوار كأسلوب من أساليب التربية النبوية، فقد ترك له النبي ﷺ فرصة للتعبير عن رأيه بحرية، ودون أدنى قلق، من حوله، خاصة أنهم أرادوا أن يسكتوه بعد سؤاله بقولهم: مه، مه، لكن النبي ﷺ أحاط بجوانب نفسية المخطئ، ولم يجره كما زجره القوم، وحاوره ليشعر أنه له رأي يستطيع أن يطرحه، لأن الحوار يفتح جوانب المتعلم والمعلم فتتقارب بينهما الأفكار، وبالتالي يخرجون بنتائج إيجابية، ولم يكتف النبي ﷺ بسماعه ومخاطبته عن بُعد، بل أدناه منه ليتم التواصل البصري بينه وبين هذا المتكلم، وليضفي عليه مزيداً من الحظوة والاهتمام وهذا أبلغ في الأثر والتأثير.

هذا الحوار المستمر بين النبي ﷺ وبينه يعتمد على الإقناع، متناولاً ﷺ صلب المشكلة التي يعاني منها هذا الشاب، واستخدم النبي ﷺ مناقشته معه بطريقة طرح الأسئلة، بحيث

(١) الحوار آدابه ومنطقاته وتربية الأبناء عليه، محمد شمس الدين خوجة ص ٢٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٥٦/٥) من طريق أبي أمامة رفقاً.

(٣) هذا الحديث ليس من أحاديث الكتب الستة التي يدور البحث عليها، ولكن لأهميته في باب الحوار، ولكونه من أبرز النماذج في هذا الباب فضلت ذكره على عجلة هنا.

يجب عنها المخطئ بنفسه، فيُفصح عن جميع الجوانب الكامنة في نفسه، وهذا من أبلغ العلاجات التربوية حينما تكون الإجابة منه،^(١)

ثم حاصره النبي ﷺ بذكر أصناف المحرمات عليه، أترضاه لأمك؟ لأختك؟ لعمتك؟ وهكذا ليولد لديه الحس الاجتماعي، والاهتمام بمشاعر الآخرين إذا انتهكت أعراضهم، أو أعتدي عليها، فيقرر النبي حقيقة مهمة أن الناس أيضاً لا يرضونه لأهوائهم، ولا لعماقهم، ولا لغيره من محارمهم ومن ثم رفض المخطئ للفكرة التي تدور في مخيلته، وختم هذا الحوار بالدعاء له^(٢) ووضع يده الكريمة ﷺ على صدر المخطئ ليشعره بالارتياح النفسي.

أما الثمرة التي نتج عنها هذا الحوار أن الشاب لم يكن يلتفت إلى شيء مما جاء يسأل عنه من إباحة الزنا، وهذا كله بفضل الأسلوب الذي عالج النبي ﷺ به الخطأ

فكل حوار له شكله وطريقته، وقد حاور النبي ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ عندما شكاه أبوه عند النبي ﷺ عن تقصيره في حقوق زوجته، وكان قد لاهمه قبل ذلك ولم يتعجل عمرو ؓ في شكواه إلى النبي ﷺ؛ رجاء أن يتدارك عبد الله خطأه، وما كان ذلك منه ﷺ إلا حرصاً على أن يكون من السابقين في العبادة، فخشي أبوه عليه أن يلحقه إثم بتضييع حق الزوجة، فاشتكاها إلى النبي ﷺ فقال له: ألقني به؟ فاجتمع معه النبي ﷺ ليعرف منه سبب المشكلة، وحاوره في طريقة صيامه، وطريقة ختمه القرآن، وأصبح يتدرج معه في كل ذلك ليأخذ بالقليل حتى يتيسر عليه المداومة على الخير.

وكل هذا منه ﷺ رجاء أن يُقَيِّ لِعَبْدِ اللَّهِ وقتاً كافياً يصرفه لأهله، ومع كون انشغاله عنهم كان بسبب العبادة، إلا أنه لم يُعْذِر في تضييعه حقوقهم مهما كان السبب في ذلك. فبين له النبي ﷺ أن أي عبادة تُبنى على تضييع حق الزوجة أو الأبناء، أو تكون سبباً في إهمال مَنْ لهم حقوق، فإن صاحبها مُلَام عليها، ومطالب بإعطاء كل ذي حق حقه،

(١) انظر أساليب الرسول ﷺ في التربية لنحيب العامر، ص ١٠٦. بتصرف.

(٢) قد سبق بيان أهمية الدعاء في تعديل السلوك راجع ص ١٦٣.

فمنهج النبي ﷺ الذي رسمه في العبادة هو أكمل منهج، وهو الذي يرقى بالإنسان ويسمو به إلى درجة القرب.

لقد كان النبي ﷺ - دائماً - يرجع أصحابه إلى التوازن في حياتهم، وهكذا أراد النبي ﷺ أن يحقق في حوارهِ مع عبد الله مبدأ التوازن معه، فما زال ﷺ يقول: افعل هذا. فيقول: أطيق أفضل من ذلك. وبالفعل لما كبر ﷺ تمنى أن لو قبل برخصة النبي ﷺ، فكان إذا أراد أن يصوم أفطر أياماً يتقوى بها، ثم يصوم مثلها بعد ذلك، وكان يقرأ على بعض أهله القرآن بالنهار ليتذكر ما يقرأ به في قيام الليل؛ خشية أن يكون خفي عليه شيء من النسيان، بعد أن كان يختم في كل ليلة.

٣- أثر الحوار وأهميته في سلوك الأبناء:

يعد الحوار رغبة واستعداداً من كلا الطرفين، وإذا افتقد الحوار أحد هذه العناصر فلن تكتمل فعاليتها، ولأن التربية تعد قضية عظيمة الأهمية، خلد القرآن الكريم وصايا وحوارات الأنبياء في تربيتهم أبناءهم لتكون قدوة للآباء والأمهات، وأسوة للمربين والمربيات، فمن ذلك وصية لقمان لابنه، فقد حوت منهجاً سليماً وأسلوباً سديداً؛ حيث اختار في توصيل مراده لابنه، وفي تربيته وتعليمه طريقة الحوار؛ حيث كانت مليئة بكلمات الود والرحمة به، فكان يردد يا بني في معظم حوارهِ معه.

وكذا يعقوب ونوح - عليهما السلام - مما يدل على أن الحوار لا بد أن يكون فيه ما يدل على المحبة والود من المحاور حتى يجد أذنًا صاغية متقبلة للنصح، وهذه الوسيلة تعد من أنجح وسائل التربية وأكثرها أثراً وأفضلها عاقبة ونتيجة، وهو منهج الرسول ﷺ في تربيته صحابته .

ولزاماً على المربين أن يحذو حذو النبي ﷺ ويتبعوا طريقته في اتخاذ أي وسيلة تكون سبباً في تقويم السلوك وتعديله، ومنها الحوار مع المترين والإنصات إليهم، فهو أحد أبرز مقومات الحوار الفعّال مع الأبناء وغيرهم، وبانعدامه ينعدم الحوار؛ لأن وجوده يغري الأبناء على الحديث، ويكون ذلك بتعويد الآباء على محاوره أبنائهم منذ الصغر، حتى يكسبهم هذه المهارة عند الكبر، فالطفل الذي يصغي إليه والداه حين يتحدث،

ويشجعونه على الحديث دون مقاطعة منهم أو إسكات له، ويشجعونه على الإفصاح عما يجول بخاطرهم لهم يتعلم الصراحة في كل ما قد يخطر بخاطرهم، وقد يطور الحوار العلاقة بينهم إلى صداقة تتلاشى معها كل الحواجز التي قد تمنع الأبناء من مصارحتهم، بالإضافة إلى أن الحوار بين الآباء والأبناء يؤدي إلى التآلف والتعاطف، وبناء علاقة ودية يشعر فيها كل منهما بقرب الآخر واهتمامه بمشكلاته. ^(١)

أهم النتائج التي خلص إليها هذا المبحث:

- الحوار منهج الأنبياء - عليهم السلام - جميعاً؛ إذ هو وسيلة مهمة من وسائل الإقناع.
- الحوار أسلوب تربوي إيجابي واسع الانتشار يمكن استخدامه في أغلب الأحيان، ومع مختلف الأعمار والطبقات كافة.
- استغلال الحوار في تربية الأبناء أمر مهم له دوره في تقويم سلوكهم.
- على الآباء - أيضاً - تعويد أبنائهم على التفاوض معهم، فتلك تربية أخرى مهمة تسمى (التربية على الحوار).

(١) انظر: الحوار وبناء شخصية الطفل، سلمان خلف الله ص ٦٧.

المبحث الثاني عشر: الإنكار الصريح والتنديد المباشر

إنكار المنكر والتنبية عليه، وتعديله يأخذ أشكالاً متعددة، ومختلفة - قد بينا - الكثير منها في المباحث السابقة، ويختلف هذا الأسلوب عن غيره من الأساليب التربوية، أن الإنكار يكون أوضح، وأشد صراحة في الأسلوب، كما أن بعض المواقف تحتاج للزجر بشدة حين يكون الخطأ يتعلق بأمر كبير كحق المؤمنين، وفي أحيان أخرى يحتاج المنكر إلى تضيق أشد وزجر أكبر، وذلك حين يكون الخطأ يسبب هلاك الأمة وذلك يتضح في الأحاديث الآتية:

١- عَنْ الْمَعْرُورِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِستَهُ كَأَنَّهُ حُلَّةٌ، وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ. فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَأَنَّهُ أُمُّهُ أَغْحَمِيَّةٌ، فَلَنْتُ مِنْهَا فَذَكَرْنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: "أَسَأَيْتَ فَلَانًا؟". قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "أَفَلَنْتَ مِنْ أُمِّهِ". قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "إِنَّكَ أَمَرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ". قُلْتُ: عَلَى حَسِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ قَالَ: "نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْنَاهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنِّهِ عَلَيْهِ".

٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقْرَةَ قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ: إِنَّهُ مُتَافِقٌ. فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنْ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ، فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ فَتَجَوَّزْتُ، فَرَعَمَ أُنِّي مُتَافِقٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا مُعَاذُ أَتَانُ أَنتَ ثَلَاثًا أَقْرَأَ (وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا)، وَ(سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، وَنَحَوَهَا

٣- عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ قُرَيْشًا، أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ النَّبِيِّ سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟". ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلُكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ

فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَائِمُّ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ
فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا".

١٢/٣٥ - عَنْ الْمَعْرُورِ وَهُوَ ابْنُ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْذًا، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْذًا، فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِستُهُ كَأَنَّ حُلَّةً، وَأَعْطَيْتُهُ ثَوْبًا آخَرَ، فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَبَلَغْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: "أَسَأَيْتَ فُلَانًا؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "أَفَبَلَغْتَ مِنْ أُمِّهِ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ". قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ، مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: "نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْنَاهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْنَاهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد (١٦١/٥) من طريق حجاج، والبخاري (٤/١) كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي ﷺ: "إنك امرؤ فيك جاهلية". وقول الله تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به"، وفي كتاب العتق (٢٠٠/١) باب قول النبي ﷺ: "العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون"، وقول الله تعالى: "واعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً" رقم ٢٥٤٥، والإمام مسلم في صحيحه (٩٧٠/١) كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه رقم ٤٣١٥، والترمذي في السنن (١٨٤٧/١) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان إلى الخادم رقم ١٩٤٥، وليس فيه موضع الشاهد - أيضاً - وهو الإنكار، من طريق واصل الأحمد.

وأخرجه البخاري في كتاب الأدب أيضاً (٥١١/١) باب ما يُنهى من السباب واللعن، رقم ٦٠٥٠، والإمام مسلم في صحيحه (٩٦٩/١) كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه رقم ٤٣١٣، وابن ماجه في السنن (٢٦٩٧/١) كتاب الأدب، باب الإحسان إلى المماليك رقم ٣٦٩٠ من غير موضع

الشاهد وهو التنديد به ﷺ، وأبو داود في السنن (١/١٦٠) كتاب الأدب، باب في حق المملوك رقم ٥١٥٧ من طريق الأعمش.

ثلاثتهم: (حجاج، واصل الأحذب، والأعمش) عن المعرور بن سويد عن أبي ذر ﷺ.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - الإرشاد إلى الخطأ بالتوبيخ والتأنيب الشديد:

إن الإنكار الصريح للخطأ حين رؤيته أو سماعه، وتوبيخ المخطئ على فعله هو أسلوب من أساليب التربية عند الرسول ﷺ يقتصر فيه على اللوم بالكلام، أو الإشعار بالخطأ، أو العتاب الشديد عليه، وتشدت اللهجة فيه وحدة الكلام منه ﷺ على الفاعل حسب نوعية الخطأ المرتكب، وشخصية المخطئ.

فتراه يؤنب على خطأ ما تأنيباً شديداً، في حين يكون التأنيب خفيفاً أو معدوماً على آخر ارتكب الخطأ نفسه أو أشد منه، وكل ذلك حسب ما يراه ﷺ من حال المخطئ، وطبيعته النفسية، وانكساره، وحججه حال الخطأ، وما يظهر له ﷺ من الظروف المحيطة بالخطأ، وملابسات الموقف. كل هذه الأمور يختلف فيها الإنكار من حيث شدة التوبيخ من عدمه.

فإذا تأملت بعض النصوص النبوية تجد ذلك واضحاً بيناً، فمثلاً يتضح لمن يقرأ حديث أبي ذر ﷺ هذا التأنيب الشديد له والتنديد بعيوبه التي لم يكن يعلم بوجودها فيه، حيث وصفه ﷺ بالجهل؛ لأنه عَرَّ بلال مؤذن رسول الله ﷺ إثر مشادة جرت بينهما حول شيء ما، في حين لو تأملت - أيضاً - تعامله ﷺ مع خطأ شخص آخر كحاطب ﷺ، ومع موقفه تجده مغاير تماماً، فلا ترى هذا التأنيب منه ﷺ أبداً، بل منع ﷺ عن إيذائه ولو بالقول كما تبين فيما مضى^(١) مع أن الناظر إلى الموقفين يرى مما لا مجال فيه للشك فداحة موقف حاطب ﷺ، فهو أكبر فيما يظهر للناظر بكثير من خطأ أبي ذر ﷺ، في مقابل خيانتة لله ولرسوله كما وصفه عمر ﷺ، وإفشائه سر النبي ﷺ، ومع ذلك أخذ نصيباً من العتاب والتأنيب أقل بكثير مما أخذ أبو ذر ﷺ.

(١) راجع حول ذلك ص ١٢٠ من هذا الفصل.

والذي يظهر والله أعلم أن النبي ﷺ كمرب ومعلم عظيم كان يدرس ملابسات الموقف وظروفه ودوافع المخطئ والضعف الذي قد يطرأ على نفسه، مراعيًا في ذلك شخصية المخطئ ومدى حساسيته تجاه الموقف، والعقوبة المناسبة لمثله، وعلى هذا تختلف درجة توبيخه من مخطئ لآخر. (١)

٢- استخدام النبي ﷺ التأنيب بصيغة الاستفهام الإنكاري:

عندما اشتكى بلال ؓ ما كان من أبي ذر ؓ إلى رسول الله ﷺ، دعاه ووبخه وهو غاضب من فعله غضب الحريص على المخطئ من أن يدنس نفسه بصفة من صفات الجاهلية القبيحة، ثم أنكر عليه مستفهماً منه فقال له: "أسأبت فلاناً؟" كعادته ﷺ في الثبوت من صدق ما يُنقل إليه، هذا السؤال فيه - أيضاً - إنكار صريح على سلوك أبي ذر ؓ يهدف منه إلى علاج قضيتين مهمتين صدرتا منه.

الأولى وهي الأهم: ما صدر منه ﷺ من السب ابتداءً "فلم تشغل الرسول ﷺ خطأ سب الأم وشمها عن خطأ السب أصلاً، فعالج بسؤاله هذا القضية العامة أولاً وهي (السب)، وأشعر صاحبها بخطأ ذلك وحرمة، وفي هذا السؤال علاج لأصل المشكلة واجتثاث جذورها، ثم طرح السؤال التقريري الأخص بقوله: "أفنت من أمه؟" أي أتكلمت في عرضها، فعالج القضية الخاصة: وهي: "سب الأم والنيل منها"، وفي هذا إشعار للمخطئ وقوع الخطأ منه من جهتين، وتعظيم حجم المشكلة في نفسه، وأن القضية الخاصة أكثر". (٢)

وقد أشار ابن حجر - رحمه الله - إلى شيء من ذلك حيث قال: "والظاهر أنه وقع بينهما سباب وزاد عليه التعبير، ويدل عليه رواية مسلم قال: "أعيرته بأمه؟ فقلت: من سب الرجال سبوا أباه وأمّه". (٣)

"يقصد أنه سبني ومن سب إنساناً سب ذلك الإنسان أباً الساب وأمّه، وإنما يباح للمسبوب أن يسب الساب نفسه ولا يتعرض لأبيه ولا لأمه". (١)

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمود العاني ص ٤٦٤.

(٢) أسئلة الرسول في الصحيحين، لنعمات الجعفري ص ١٠٦.

(٣) فتح الباري (١/٨٦).

تصحيح الخطأ بالقول

فتبين بعد ذلك أن تعبيره له ﷺ فيما يظهر والله أعلم كان قد نتج من السباب أولاً، وهذه واحدة من أهم الآثار السلبية الناتجة عن انتشار السب والشتم، وهي أن أمثال تلك الشتائم قد يتطور فيها الأمر إلى أكثر من ذلك؛ بسبب احتداد الكلام بين الطرفين، ومع ثورة الغضب قد يؤدي هما إلى وقوع قضية كبيرة نتيجة خطأ بسيط بدأ بالشتم والسب، وقد تتأصل هذه الخصلة في الفرد إن لم ينبه عليها منذ الوهلة الأولى، ولذلك شدد الرسول ﷺ على أبي ذر في التوبيخ والنصيحة. (٢)

٣- تصحيح الخطأ بالمصارحة مع ما فيها من التنديد وبيان العيوب:

عندما أخطأ أبو ذر ﷺ فسبّ أم الرجل وتكلم في عرضها، صحح له النبي ﷺ خطأه وأشعره بأن هذا التصرف منه يعد من عادات الجاهلية، وأنه لا تزال فيه بقايا من تلك العادات البغيضة.

وكان ﷺ صريحاً مع أبي ذر ﷺ من غير محاملة، ويتضح ذلك من عبارته ﷺ: "إنك امرؤ فيك جاهلية". وهذا غاية في ذم السب وتقيحه؛ لأن أمور الجاهلية حرام منسوخة بالإسلام، فوجب على كل مسلم اجتنابها.

والمعنى أنك في تعبير أمه على ما يشبه أخلاق الجاهلية أي أهلها، وهي زمان الفترة قبل الإسلام، ويحتمل أن يراد بالجاهلية الجهل أي أن فيك جهلاً. (٣)

"وهذا الخطاب من الرسول ﷺ يعكس ثورة الغضب في نفسه ﷺ، ورغبته في نقل هذا الانفعال والاهتمام إلى المخاطب حتى يستشعر بحجم الخطر، ويدفع تساهل المخاطب في هذا الخطأ.

وقوله: "فيك جاهلية" فيه إشارة إلى تمكن الجاهلية فيه تصعيداً لنبرة التوبيخ التي بدت من أول الأسلوب تركيزاً على موضع الخطأ وبياناً لموضع الداء، وهو الجهل وبقايا عادات السوء الجاهلية التي قضى عليها الإسلام". (١)

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/١٣٢).

(٢) انظر: من أساليب الرسول ﷺ في التربية، نجيب العامر ص ٣٢ بتصرف.

(٣) انظر: شرح ابن بطال (١٧/٢٦٩)، عمدة القاري (٣٢/٢٣١).

واستدل العلماء بهذا الحديث على أن الرجل الصالح قد يكون فيه شيء من خصال الجاهلية؛ لأن أبا ذر رضي الله عنه من خيار المؤمنين، ومع ذلك كانت فيه هذه الخصلة التي حذره النبي ﷺ منها.

٤- أثر ذلك التوبيخ البالغ على نفس أبي ذر رضي الله عنه:

لقد أثر هذا التوبيخ تأثيراً بالغاً في نفس أبي ذر بقي معه طيلة عمره، جعله يستغرب من أثر تلك الجاهلية التي وصفه بها النبي ﷺ على كبر سنه أنما ما زالت فيه كيف ذاك؟ وهو رابع أربعة كانوا أول الناس إسلاماً، فكيف تبقى فيه جاهلية بعد ذلك؟ ولذلك بادر فوراً بسؤال للنبي ﷺ: "على ساعتى هذه من كبر السن" كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه أي: هل في جاهلية أو جهل وأنا شيخ كبير؟ فقال النبي ﷺ: نعم. وفي رواية لمسلم قالها مؤكداً: "نعم على حال ساعتك من الكبر".^(١)

ثم وجهه ﷺ إلى سبب التوبيخ في ذلك أن الخدم المسلمين إخوان لنا على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وطلب منه أن يواسي خادمه في الملبس والمطعم، وألا يكلفه فوق طاقته، وأن يعينه على الشيء إذا كلفه به، فهو وإن كان خادماً إلا أنه لم يزل عن مرتبة الأخوة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أسبق الناس إلى امتثال أمر الله ورسوله؛ حيث كانت أوامره ﷺ تمثل بالنسبة لهم التزاماً سلوكياً عميقاً يبقى في نفوسهم متحققاً ما بقيت لهم حياة.

التزم أبو ذر رضي الله عنه بما نهى النبي ﷺ وبقي هذا التنبيه نصب عينيه، فكان في أعلى مستويات الامتثال، ويظهر ذلك في مساواته للخدام بنفسه في الملبوس وغيره، آخذاً بالأحوط وإن كان لفظ الحديث يقتضي المساواة في ذلك لا المساواة.^(٢)

٥- قرب النبي ﷺ من أصحابه رضوان الله عليهم:

إن هذا الرجل الذي عُبر بأمره وجد في النبي ﷺ ملاذاً يشتكي إليه مما ألم به من السبِّ والتعير، فلم يمنعه اختلاف لونه عن الوصول إليه ﷺ وعرض شكاته؛ لأنه كان ﷺ قريباً

(١) بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ناصر راضي الزهري ص ٢٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في (١٢٨٢/٣) كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه.

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٨٦/١) بتصرف بسيط.

من أصحابه ﷺ كلهم، ليبادر هو ﷺ باهتمام بهذه الشكوى، فيعاتب أبا ذر ﷺ ويوبخه هذا التوبيخ الشديد على الرغم من سابقته للإسلام ﷺ ومزلته عند رسول الله ﷺ، ولو لم يفعل ﷺ ذلك لظل أثر ذلك في نفس بلال ﷺ مدى حياته، فنعم المؤدب هو ﷺ ونعم المربي ﷺ.

١٢/٣٦ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقْرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاصِحِنَا، وَإِنْ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا مُعَاذُ أَفَتَأَنَّى أَلْت؟ ثَلَاثًا أَقْرَأَ وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا وَسَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَنَحَوَهُمَا.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٩٩/٣) والبخاري في صحيحه (٥٦/١) كتاب الأذان، باب من شك إمامه إذا طول رقم ٧٠٥، وفي المجتبى للنسائي (٢١٥١/١) باب القراءة بالمغرب بسبح اسم ربك الأعلى رقم ٩٨٥، وفي كتابه أيضاً (٢١٥١/١) باب القراءة في العشاء الآخرة بسبح اسم ربك الأعلى، وباب القراءة في العشاء الآخرة بالشمس وضحاها رقم ٩٩٨، والنسائي في المجتبى (٢١٤٠/١) كتاب الإمامة، باب خروج الرجل من صلاة الإمام وفراغه من صلاته في ناحية المسجد رقم ٨٣٢، من طريق محارب بن دثار. وفي صحيح البخاري (٥٦/١) كتاب الأذان، باب إذا طول الإمام، وكان للرجل حاجة فخرج رقم ٧٠٠، وفي صحيح البخاري (٥١٥/١) كتاب الأدب، باب مَنْ يَرَى إِكْفَارَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مَتَوَلًّا أَوْ جَاهِلًا رقم ٦١٠٦، والإمام مسلم في صحيحه (٧٥١/١) كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء رقم ١٠٤٠، وعند أبي داود في السنن (١٢٨١/١) كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة رقم ٧٩٠، وعند النسائي في المجتبى (٢١٤١/١) كتاب الإمامة، باب اختلاف نية الإمام والمأموم رقم ٨٣٦، من طريق عمرو بن دينار، كلاهما (محارب بن دثار، وعمرو بن دينار) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - تقويم خطأ إطالة الصلاة حين تصل إلى حد التنفير:

لقد كان معاذ ﷺ يصلي يوماً العشاء مع النبي ﷺ، ثم رجع إلى قومه بني سلمة فصلى بهم وأبدأ القراءة بسورة البقرة أو النساء؛ مما جعل رجلاً منهم يتخلف عن صلاة الجماعة فيصلي وحده صلاة خفيفة، والظاهر أنه لم يقطع الصلاة لكنه استمر فيها منفرداً، فلما انتهى معاذ ﷺ من الصلاة قيل له: إن الرجل تجاوز فنال منه ﷺ، وذكره بسوء ووصفه بالنفاق.

فبلغ الرجل ذلك فاشتكى إلى النبي ﷺ من معاذ ﷺ وبين للنبي ﷺ سبب صنيعه وخروجه من الصلاة، وهي أنه من أصحاب النواضح وهم أصحاب الإبل التي يستقون عليها، وأراد بهذا أنهم أهل عمل وتعب، ومن كانت هذه حاله فإنه لا يطيق القيام الطويل بالليل. ^(١)

فأقبل النبي ﷺ بعد هذه الشكوى على معاذ ﷺ ينكر عليه هذا السلوك منه واصفاً له بالفتنة، بقوله: "يا معاذ أفتان أنت؟" ^(٢) وأبدأه بالنداء زجراً له وتنبهاً على الخطأ الذي وقع منه، ثم أنكر عليه بأسلوب الاستفهام "أفتان أنت؟" أي: أمنفر وصاد للناس عن الدين، وموقع لهم في الفتنة قال الطيبي: "استفهام على سبيل التوبيخ، وتنبهه على كراهة صناعه لأدائه إلى مفارقة الرجل الجماعة فافتتن به". ^(٣)

وهذا الأسلوب منه ﷺ فيه مبالغة ومعناه أنت توقع الناس في الفتنة والمشقة على وجه الكمال، فإن هذا العمل لا يفعله إلا مَنْ يقصد الفتنة بالناس، ومعنى الفتنة هنا أن التطويل يكون سبباً لخروجهم من الصلاة، وللتكره للصلاة في الجماعة، ويحتمل أنه يريد بقوله: "فتان" أي معذب؛ لأنه عذبهم بالتطويل، ومنه قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِبُوا فَنَذَرْنَا كَذَبَاتٍ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا وَمَا نَكُنُ مِنَ الْمُحْذَرِّينَ﴾

وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ (البروج: ١٠)

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٩٥/٢)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٢/٤).

(٢) هو مقطع من حديث الباب سبق تخريجه ص ١٥٧.

(٣) عون المعبود (٤/٣).

قيل معناه: عذبوهم وأمره بسورتين من أوسط المفصل. ^(١)

وعلى الرغم من أن إطالة معاذ ﷺ كانت في صلاة وللتلذذ بمناجاة الله ﷻ، إلا أن هذا الأمر حين صار شاقاً على الناس سماه النبي ﷺ فتنة، لحرصه ﷺ على الرفق بأمتة في كل شيء حتى في التكليف، ولذلك لم ينهر ﷺ الرجل الشاكي لمعاذ ﷺ على خروجه من الصلاة، ولم يهتمهم بتفضيل حاجاته الدنيوية على الصلاة لاهتمامه بأحوال الناس وظروفهم، وإنما وبخ ﷺ الإمام الذي دفع الرجل إلى هذا الفعل بتطويله في الصلاة.

"فالناس يختلفون بمستوياتهم وطاقتهم، فلا يصح أن يقيس الإنسان الناس على نفسه؛ لأنه قد يفتن أخيه من حيث لا يدري، ويظن أنه يفعل الخير والصالح والفائدة، وما يدري أنه قد كلف أخاه بأكبر من طاقته بالعبادة، فتكون القاصمة له". ^(٢)، وفي الحديث جواز الاكتفاء بالتعزير بالكلام.

٢- استخدام الرسول ﷺ أسلوب التكرار مع معاذ ﷺ ثلاثاً:

مما يدل على شدة غضبه ﷺ من هذا الفعل، وكذلك لتقرير المعنى المراد وهو حصول الفتنة وتأكيد، ولتقوم الخطأ ولفت النظر إليه "وهذا التكرار منه ﷺ ثلاثاً كما حكى الصحابي في الحديث، يؤكد خطر الخطأ، وينفي التساهل في رعاية حال المأمومين بما لا يخرج بهم عن أهداف الصلاة". ^(٣)

(١) حاشية السندي (٩٨/٢)، مرقاة المفاتيح (٣/٣٧٥).

(٢) من أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية، يوسف الخاطر ص ٣٤.

(٣) من كتاب بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ناصر راضي الزهري ص ٢٧٠.

١٢/٣٧ - عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ قُرَيْشًا، أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حَبِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟" ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا".

التخريج:

أخرجه الدارمي في السنن (٢٢٧/٢) كتاب الحدود، باب الشفاعة في الحدود دون السلطان، والبخاري في الصحيح (٢٨٣/١) كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، رقم ٣٤٧٥، وفي (٥٦٦/١) كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع وليس فيه صورة الإنكار رقم ٦٧٨٧، وفي (٥٦٦/١) كتاب الحدود أيضاً، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان رقم ٦٧٨٨، وكذا عند مسلم (٩٧٦/١) كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود رقم ٤٤١٠.

وعند ابن ماجه (٢٦٢٩/١) كتاب الحدود، باب الشفاعة في الحدود رقم ٢٥٤٧، وفي سنن أبي داود (١٥٤٢/١) كتاب الحدود، باب الحد يشفع فيه رقم ٤٣٧٣ والنسائي في المجتبى (٢٤٠٤/١) كتاب قطع السارق، باب ذكر الاختلاف ألفاظ الناقلين لخبر الزهري في المخزومية التي سرقت رقم ٤٩٠٣، جميعهم من طريق الليث بن سعد. وأخرجه النسائي في المجتبى (٢٤٠٤/١) كتاب قطع السارق - أيضاً - رقم ٤٩٠٢، للباب السابق كذلك من طريق شعيب. وفي الموضع نفسه - أيضاً - من المجتبى (٢٤٠٥/١) رقم ٤٩٠٥، من طريق إسحاق بن راشد، وكذا رقم ٤٩٠٤ من طريق إسماعيل بن أمية، وكذا رقم ٤٩٠٧ من طريق يونس. جميعهم: (الليث بن سعد، وشعيب، وإسماعيل بن أمية، ويونس) عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير رضي الله عنه، عن عائشة مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - الإنكار الصريح المباشر لأسامة ﷺ على جرأته في طلب الشفاعة:

لما سرقت المرأة المخزومية حلياً، وهي فاطمة بنت الأسود بنت أخي أبي سلمة ﷺ الصحابي الجليل المعروف، الذي كان زوج أم سلمة - رضي الله عنها - أم المؤمنين، وكانت تستعير المتاع وتجمعه، أحزن قريش أمرها وأوقعهم في الهم؛ خوفاً من لحوق العار وافتضاحهم بها بين القبائل، فقال أهلها من يتجاسر عليه ﷺ إلا أسامة ﷺ ويشفع فيها إما بعفو أو فداء.

وفي هذا الخطاب ما يدل على استعظام المشكلة واستفحالها، فبحثهم عن الرجل المناسب لهذا الموقف العظيم يدل على ذلك، فأتى أسامة ﷺ للنبي ﷺ شافعاً فأنكر عليه، وواجه بسؤال يوجّه ويبيّن فيه خطأ هذا السلوك الذي بدر منه قائلاً له: "أتشفع في حد من حدود الله؟" أي في تركه بمهزة الاستفهام الإنكاري مستعظماً منه ذلك لعلمه؛ ولأنه سبق له منع الشفاعة في الحد قبل ذلك.^(١)

فالاستفهام فحواه أنه لا ينبغي ذلك منك، ولا ينبغي لك يا أسامة؛ لأنه أمر جلي فيه حكم الله ﷻ، فالمرأة ثبت عليها ما يستوجب الحد، فأنى لك أن تطلب الشفاعة فيها، وأنت لك من الفهم والوقوف على حدود الله ما يمنعك من ذلك، وإذا كان هذا الذي قبل به أسامة ﷺ وهو حب النبي ﷺ، فكيف بمن هو دونه؟

"ولا يكتفي ﷺ بعتاب أسامة ولومه، بل يقوم في الناس خطيباً، ويلقنهم درساً في علم الاجتماع وفي سنن هلاك الأمم"^(٢)؛ لذا انتقل بالخطاب من الخصوص إلى العموم للناس في الخطبة لخطورته أولاً، ولسد الباب على الجميع، فحين تجاوز الخطأ الفردي تحول الأمر به إلى خطبة منبرية، فكانه ﷺ يقول: لا أنت يا أسامة ولا غيرك يحق له أن يطلب الشفاعة في الحد إذا وصلت إلى الإمام، فالشفاعة إذن مرفوضة من الجميع،

(١) فتح الباري، لابن حجر (٨٧/٢١)، وعون المعبود (٢١/١٢).

(٢) هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، حنان اللحام ص ٥٤١.

وفيه أن شرف الجاني لا يسقط الحد عنه، وأن أحكام الله - سبحانه - يستوي فيها الشريف والوضيع.

٢- إصرار النبي ﷺ على تنفيذ العقوبة:

حين يقسم الرسول ﷺ ليقر حكماً بإنزال العقوبة المستحقة بالمخطئ، فهو ﷺ يزيل من الأذهان أي فكرة يتسرب إليها تراجع عن تنفيذ العقوبة بالمخطئ، أو تنفيذ حكم الله فيه، ويؤكد بهذا التصرف إنكاره على سلوك أسامة رضي الله عنه، ويضرب مثلاً بابنته التي هي بضعة منه عليها السلام، والتي يستحيل في حقها السرقة، بأنها لو سرقت فسيكون تعامله معها ﷺ كأني فرد مخطئ من أفراد أمته، وذلك للجزم بوقوع العقاب إذا كان في الحدود وتنفيذه دون محاباة، فإنه لا يسقط أبداً لقرابة ولا يخفف لهوى.

٣- حرص الرسول ﷺ على تأكيد مبدأ العدل والمساواة عند تقويم الخطأ مع جميع المخطئين:

فقد ضرب ﷺ أروع المثل في تطبيق مبدأ العدل والمساواة، وأي عدالة بعد قسمه ﷺ بقطع يد ابنته لو سرقت، وما ذاك إلا لسد باب الشفاعة والوساطة في الحدود إذا بلغت الإمام.

وفي هذا الرفض منه ﷺ وأد لأي قيمة جاهلية تطل برأسها على المجتمع الإسلامي الذي تسوده شريعة الله وسنة نبيه، وإعلاناً لسيادة حكم الله - سبحانه -

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠).

وهكذا تجد النبي ﷺ يأتي على قواعد الجاهلية فيدكها من أساسها ويقتلعها من جذورها، ويقرر مبدأ العدل والمساواة بين جميع الطبقات في نفوس أصحابه، كما حاول أن يقرره مسبقاً حين أخطأ أبو ذر رضي الله عنه مع صاحبه بسبب ما ترسخ في نفسه من أمور الجاهلية. ^(١)

(١) راجع تصحيحه ﷺ لخطأ أبي ذر رضي الله عنه في هذا المبحث ص ١٥٣.

"وأما بعض الناس اليوم إذا أخطأ قريبه أو صاحبه لم يكن إنكاره عليه مثل إنكاره على مَنْ لا يعرفه، وربما ظهر تحيز وتمييز غير شرعي في المعاملة بسبب ذلك، بل ربما تفاضى عن خطأ صاحبه وشدد في خطأ غيره، وهذا يتعكس على تفسير الأفعال - أيضاً - فقد يصدر الفعل من شخص محبوب فيحمل على محمل، ويصدر مثله من شخص آخر فيحمل على محمل آخر".^(١)

والنبي ﷺ حين يؤكد لهم هذا المبدأ فهو من باب الحرص عليهم وحمايتهم من الهلاك المتحقق لهم في ترك إقامة الحدود، وهو بهذا الإخبار يطوي التحذير من هذا السلوك السيئ ويلفت النظر إلى سوء المصير، وفيه - أيضاً - ما يوحى إلى إلحاق العقاب بهم كما لحق بمن قبلهم^(٢)، وهذه كانت آفة منتشرة فيهم حيث كانوا إذا سرق فيهم الشريف تجاوزوا عنه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، والجملة في قوله ﷺ: "أقاموا" تدل على الجدية والعزم، وتوحي بإحكام القبضة على الضعيف وعدم إفلاته. ومن الشواهد التي تدل على الإنكار والتنديد المباشر:

- عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا - قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ - تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ: "لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجْتَ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجْتَهُ"، قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: "مَا أَحَبُّ أَتْنِي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنْ لِي كَذَا وَكَذَا".^(٣)

أهم النتائج التي خلص إليها هذا المبحث:

- التنديد والإنكار أسلوب تربوي استخدمه النبي ﷺ مع المخطئ.
- لاحظ أن الإنكار عند النبي ﷺ غالباً كان بطريقة الاستفهام الصريح.

(١) الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس، لمحمد صالح المنجد ص ٢٤ بتصرف.

(٢) هذا يؤكد أن توضيح مضرة الخطأ كان أسلوباً يستخدمه النبي ﷺ في تعديل السلوك راجع المبحث الخاص به

ص ١٣٢.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (٢٦٩/٤) كتاب الأدب، باب في الغيبة.

الفصل الثاني:

تعديل الخطأ بالفعل

- المبحث الأول : الهدوء في التعامل مع الخطأ.
- المبحث الثاني : إظهار الرحمة بالمخطئ .
- المبحث الثالث : هجر المخطئ .
- المبحث الرابع : تأديب المخطئ.
- المبحث الخامس : الإعراض عن المخطئ.
- المبحث السادس : إثارة الناس على المخطئ.
- المبحث السابع : الإصلاح بين المخطئين.
- المبحث الثامن : إظهار الغضب من الخطأ.
- المبحث التاسع : حفظ مكانة المخطئ وإبداء الاحترام له.

يعتمد نجاح العملية التربوية اعتماداً كبيراً على الطرائق والأساليب والكيفيات التي يستخدمها المربي، ومدى قدرته على تفعيل هذه الطرائق والأساليب وتوظيفها لتهيئة النفوس وتربيتها. إضافة إلى أهمية حسن استخدامها في المواقف التربوية المختلفة.

وبناءً على هذا لا بد أن تتنوع أساليب المربي تبعاً لتنوع الأشخاص والمواقف والأفكار فلا يلزم طريقة بعينها، ولا أسلوباً محدداً بذاته، لأنه ليست هناك طريقة معينة يمكن القول بنجاحها وملاءمتها في جميع المواقف التربوية، إذ أن الناس يختلفون في طباعهم وأمزجتهم، وتباين رغباتهم واستعداداتهم، فما يناسب بعضهم قد لا يناسب البعض الآخر ولا يكون مجدياً معهم. وما يكون ناجحاً مع فئة منهم قد لا يحقق نجاحاً مع الفئة الأخرى. (١)

ومن هنا لا ينبغي أن تقتصر التربية مثلاً على الجانب النظري دائماً، بل يجب أن تكون تربية عملية فعليه ينكر المربي بها الخطأ، تسعى لجعل الإنسان يستفيد ويغير عاداته وطريقته في الحياة لتتفق مع الصواب، ولأن التربية بالفعل أسهل من التربية بالقول وأشد تأثيراً في النفوس من مجرد الكلام. (٢)

ولأن النبي ﷺ كان شديد الحرص على التبليغ نوع ﷺ في أساليبه التربوية والعلاجية. مما يتناسب مع نوع الخطأ، وطبيعته، وطبيعة المخطئ ودرجة تفهمه، واستيعابه ومدى تقبله لما يلقي عليه، فاستخدم في ذلك مختلف الأساليب التي تمكنه من التعديل ﷺ وقد جمعت هنا بعضاً من الأساليب التي صحح النبي ﷺ فيها الخطأ بأساليب فعلية منه ﷺ ظهر أثرها العظيم في علاج الأخطاء.

(١) مقدمة في التربية الإسلامية لصالح أبو عرّاد ص ٧١.

(٢) منهج التربية في القرآن والسنة للدكتور وهبة الزحيلي ص ٢٠٩.

المبحث الأول: الهدوء في التعامل مع المخطئ

إن كثيراً من المواقف التربوية تحتاج حين التعامل معها إلى شيء من الهدوء والاعتزان، ومعالجتها بالتأني والحلم؛ لأن ذلك يكسب المربي رؤية صائبة للخطأ، وتقديراً لحجمه واختياراً للعلاج المناسب له.

كما أن العجلة في علاج الأخطاء، والتسرع في تصحيحها كثيراً ما يكون سبباً في تضخيم الخطأ وتعظيمه؛ مما يترتب عليه وقوع مفاسد كبرى، وتجاوزات وتعدي الحدود في العلاج؛ مما قد يوقع في أخطاء أخرى أكبر مما هي عليه .

ولهذا كان النبي ﷺ يراعي هذا الشيء حين تقويم الخطأ، وكان كثيراً ما يعالج مشكلات عصره بالحلم والأناة التي تعين المخطئ وتشجعه على الرجوع إلى الصواب ومن تلك الأحاديث في السنة النبوية التي تدهش القارئ وبعلموه العجب فيها من حسن معالجة المصطفى المربي ﷺ لهذا الخطأ بالرفق واللين ما يأتي:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بَعِثْتُمْ مُبْسِرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ "

١/٣٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُكُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٣٩)، والبخاري في صحيحه (١/ ٥١٧) كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: "يسروا ولا تعسروا" رقم/ ٦١٢٨، والنسائي في السنن (١/ ٢١٠٨) كتاب المياه، باب التوقيت في الماء رقم/ ٣٣١ من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة.

والبخاري (١/ ٥٠٩) في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم رقم/ ٦٠١٠، وابن ماجه في السنن (١/ ٢٥٠٨) كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل رقم/ ٥٢٩ من طريق أبي سلمة رضي الله عنه.

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٣٩) رقم/ ٧٢٥٣، وأبو داود في السنن (١/ ١٢٥١) كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول رقم/ ٣٨٠، والترمذي في السنن (١/ ١٦٤٩) كتاب أبواب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض رقم/ ١٤٧ من طريق سعيد بن المسيب رضي الله عنه.

جميعهم (عبيد الله بن عبد الله، وأبو سلمة، وسعيد بن المسيب رضي الله عنه) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- معالجة خطأ الأعرابي بالهدوء والحكمة:

إن من يتأمل هذا الحديث قد يتعجب من شدة خطأ الأعرابي وجهله الذي وصل به إلى هذا الخطأ، لكن العجب يملؤه أكثر حين يرى حسن معالجة النبي ﷺ لهذا الخطأ العظيم، سواءً في محاصرة الخطأ نفسه لئلا يتوسع وينتشر، أو في حسن معاملته له وتوجيهه

للصواب بعدما انتهى من بوله، وفي رفقته وحلمه وتعامله معه باللين والهدوء التام خاصة أنه أعراي.

والأعراي هو: مَنْ سكن البادية، فطريقة تربيته وطبائعه تختلف عن الصحابة فيهم نوع من الخفاء في الطباع لقلة مخالطة الناس، وفيهم جهل لكونهم بعيدين عن النبي ﷺ وعن سماع التشريع، "ولذلك قال تعالى فيهم ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبِقَافًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾" (التوبة: ٩٧)

فالبدوي غالباً لا يعرف أحكام الشرع؛ لأنه يعيش في البادية مع إبله وغنمه" (١)

وأولى ما يكون الرفق وأكد ما يكون استعمال الحكمة حين يقوم المربي أخطاء من هم على هذه الشاكلة من الجهل، حيث تزداد الحكمة أهمية وضرورة، والتي ﷺ لم يكتف بهذا التعامل مع هذا الرجل الذي لم يعرف أين تقضى الأمور، بل إضافة إلى رفقته ﷺ به، راعى ﷺ نفسية المخطئ، واختلاف بيئته عنهم وجهله، وكان تعامله مع الخطأ بناءً على تقديره ﷺ لهذا الأمر .

ولهذا تجده ﷺ لم يعنفه ولم يوبخه على فعلته، وإنما تعامل معه بالصفتح والإغضاء حين بال في أشرف الأماكن "حين بال في المسجد المعظم الذي الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وأمر ألا يهاج حتى يفرغ من بوله، تأنيساً له ورفقاً به، فدل ذلك على استعمال الرفق بالجاهل، فإنه بخلاف العالم وترك اللوم والتثريب عليه" (٢)

فالنبي ﷺ كان أرفق الناس بالناس وأبعدهم عن الفظاظة والغلظة والتشديد .

"فالخطأ لا يوجب مقابلة المخطئ بالعنف والقهر، أو التشنيع عليه أو السخرية به، فإن هذا قد يؤدي به إلى إذلال نفسه وتخطيم شخصيته، أو يؤدي به إلى الإصرار على الخطأ والتمادي في الباطل دفاعاً عن نفسه، وتسويغاً للغلط وكلا الأمرين شديد الخطر، عظيم الضرر، والنبي ﷺ خير من يقدر الظروف، ويراعي الأحوال، ويسع الناس جميعاً.

(١) شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٦٧٣).

(٢) شرح ابن بطال (١٧/ ٢٧٥).

تصحيح الخطأ بالفعل

فتأمل كيف تصرف مع ذلك الأعرابي الجلف الذي لم ينجح أن يسأل في ركن من المسجد أمام الناس فلم يغلظ عليه وقابله بما ينبغي لمثله من الرفق واللين، وراعى الرسول ﷺ الكريم بداوة الرجل ونشأته وظروف حياته، فلم يستجب لثورة أصحابه وهياجهم عليه، وعرفهم أن علاج الأمر سهل في مسجد لم يكن مفروشاً إلا بالحصاء، وهو صب دلو من ماء".^(١)

وبعض الناس اليوم عنده علم ونية طيبة لكن ليس عنده أسلوب في الدعوة، ولا أعطي الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك جهوده عشوائية ولا يستجيب له الكثير، بل ربما أعرض الناس عنه بسبب ما حُرِّم من الرفق في تصحيح الأخطاء.

ففي هذا الحديث "ما يدل على الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، إذا لم يكن ذلك منه عناداً، ولا سيما إن كان يحتاج إلى استئلافه، وفيه رافة النبي ﷺ وحسن خلقه".^(٢)

٢- الحذر من إصلاح خطأ قد يؤدي إلى خطأ غيره:

النبي ﷺ كان يقدر مآلات الأمور وعواقبها قبل الإقدام على تصحيح الخطأ، حتى لا يقع بالمخطئ في خطأ أكبر من الذي وقع فيه أو مماثل له.

وفي السنة النبوية نصوص متعددة وتطبيقات عملية ترك فيها النبي ﷺ إصلاح الخطأ الذي تمنى أن لو عالج له لولا خوفه ﷺ من أن يؤدي علاجه إلى أخطاء أخرى غير محتملة أو متوقعة، ولا يفهم من ترك الإنكار على بعض المنكرات، أو غض الطرف عن بعض المخالفات أحياناً، إقراراً لها؛ بل هو تأجيل للإنكار بسبب مفسدة يخشى ظهورها بسبب الإنكار، وحيثما زالت تلك المفسدة ينكر على المنكر، ويُتخذ اللازم لإزالته"^(٣) ومن أمثلة ذلك :

(١) الرسول والعلم، يوسف القرضاوي، ص ١٢٢.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٣٢٣).

(٣) من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين، فضل إلهي، ص ١٨٨.

امتناعه ﷺ عن قتل المنافقين مع معرفته بهم، وعلمه باستحقاقهم لذلك؛ خشيةً من أن يُقال أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه، وتخلّى ﷺ عن إعادة بناء البيت الحرام على ما فيه من النقص؛ خشيةً ألا تحتمل ذلك عقولهم، وكان أكثرهم حديثي عهدٍ بالإسلام ولولا مراعاته ﷺ للنتائج التي قد تحصل لقتل المنافقين، وأعاد بناء البيت على قواعد إبراهيم عليه السلام، ومنع الأعرابي من إتمام بوله في المسجد، ولو منعه النبي ﷺ وهو حديث عهد بالإسلام لكفر بعد إسلامه، لكنه ﷺ تركه يبول حتى يكون قابلاً للتوجيه والتصحيح، ولم يذكره بفعلته ولا ما مضى من خطئه إنما علمه برفق أن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، وإنما هي للذكر والعبادة.

ويظهر تقدير الرسول ﷺ لنتائج الأمور في قوله: "دعوه"، فجعله يرتكب الأسهل دفعاً لما هو أصعب وأفسد منه، فإقامته من بوله يترتب عليها ضرر للبائل نفسه، إذا منع من البول المنتهي للخروج، ففي ذلك ضرر لجاري البول عليه، وأصل التنجيس قد حصل، فاحتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به، أو قيام الرجل من بوله وتنجيس ثيابه ومواقع كثيرة في المسجد.

فلهذا ترك النبي ﷺ هذا الرجل يبول حتى انتهى، ثم أمر بأن يصب عليه ذنوباً من ماء وأمر ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما ^(١) وهذه من أعظم قواعد الشريعة، وقد جاء في إحدى الروايات ما يدل على تأثر هذا الأعرابي من حسن خلق النبي ﷺ وتصرفه معه، ورفقه في معالجته للخطأ؛ حيث قال بعد أن فقه ما ارتكب: "فقام إليّ بأبي وأمي فلم يؤنب ولم يسب وقال: "إن هذا المسجد لا يبال فيه وإنما بني لذكر الله". ^(٢)

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٩٠)، وشرح الزرقاني (١/ ١٩٠).

(٢) سنن ابن ماجه (١/ ١٧٦) كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل.

تصحيح الخطأ بالفعل

ثم لما فرح بهذا التعامل منه ﷺ وانشرح صدره ودَّ لو أن رحمة الله ﷻ تصيبهما دون غيرهما من الناس، لكنه ﷺ صوّب خطأه أيضاً، وبيّن له أن رحمة الله تسع الجميع "لقد حجرت واسعاً"، فلا يجوز له أن يحجرها على أحد^(١).

"وقد أثنى الله على من دعا لعموم المسلمين في القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ۖ﴾ (الحشر: ١٠).

"فأراد أن يربي فيه المحبة والتآزر حتى على مستوى الدعاء ليكون كذلك فيما هو أكبر، ثم انظر بالرغم من أن الرجل ترك الأفضل وفعل المفضول، ودعا للبعض وترك الكل، إلا أنه ﷺ لم يعنفه ولم يوبخه بل تبسم في وجهه".^(٢)

أهم النتائج التي يخلص منها هذا البحث:

- من الأمور التي ينبغي مراعاتها في تصحيح الخطأ هي مراعاة من يحتاج إلى استئلاف، فيصح خطأه دون تعنيف أو إغلاظ.
- أول مَنْ يستحقون العذر هم أولئك المخطئون عن جهل، فمثل هؤلاء لا يُعاملون كما يعامل المخطئ العالم، فإن هذا معاند بخلاف الأول.
- إن دراسة ظروف المخطئ والأجواء التي ولدت وقوع الخطأ وإدراك البيئة التي يعيش فيها له أهميته ودوره في المعالجة.
- على المربي أن يكون هادئاً في تعامله مع الخطأ، لأن الهدوء طريق لاختيار الأسلوب الأمثل للمعالجة، كما يجنب المربي الوقوع في المحاذير.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٨ / ١) كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، وابن ماجه في السنن (١ /

٢٥٠٨) كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل، وأبو داود في السنن (١ / ١٢٥١) كتاب

الطهارة، باب الأرض يصيبها البول، والترمذي في السنن (١ / ١٦٤٩) كتاب أبواب الطهارة، باب ما جاء في

الأرض يصيبها البول، والنسائي في السنن (١ / ٢١٦٦) كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة عن أبي هريرة ؓ

(٢) إبتسامات نبوية، عبد الله بن حمود البوسعيدي، ص ٤٨.

المبحث الثاني: إظهار الرحمة بالمخطئ

إذا علم المربي أن المخطئ سمة بشرية في الإنسان، وفطرة إنسانية جُبل عليها أيقن أن المخطئ في حاجة إلى الرحمة به، ولقد كان ﷺ رحيماً بأمته، وكانت حياته المباركة، وأقواله، وأفعاله، وأخلاقه مثلاً لكمال الرحمة بالإنسان، ومواقفه ﷺ في السيرة في تعامله مع أصحابه وغيرهم أكثر من أن تحصى.

وكان للمخطئين والمذنبين نصيبٌ كبير من تلك الرحمة المحمدية؛ إذ أن رحمته ﷺ لم تقف عند حدٍ، فهي متسعة الأرجاء، ممتدة المناحي، شملت كل كائنٍ، لقد كان ﷺ لا يتصيد أخطاء المذنبين، بل كان يحاول جاهداً أن يجد مخرجاً لهم ليعينهم، ولم يقسُ يوماً على مخطئٍ أو يفقد حلمه عليه ^(١) وإنما يأخذه بالرأفة واللين، وبالرحمة المعهودة منه ﷺ خاصة إذا كان الخطأ ناجماً عن جهلٍ بقواعد الشريعة الإسلامية.

بل كان يحتوي المخطئ بكل ما فيه ﷺ ويفهمه ويقدر دوافعه وبرحمته الشاملة ﷺ، وقد وصفه الله بذلك فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

فكم من لمسة حانية فتحت مغاليق القلوب، ومن هنا كان على المربين أن يتعاملوا مع المخطئ من باب الرحمة لا من باب الغلظة والقسوة عليه، وأن يتأملوا تعامل النبي ﷺ مع مثل هؤلاء كما يتضح في هذين الحديثين:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: " مَا لَكَ ؟ " قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى أَمْرَاتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَعْرَقٌ فِيهَا تَمْرٌ — وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ — قَالَ: " أَيْنَ السَّائِلُ؟ " فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: " خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ "،

(١) إلا أن تنتهك حرمان الله فإنه يغضب الله ﷻ ولا يقوم لغضبه شيء وسيأتي بيانه.

تصحيح الخطأ بالفعل

فَقَالَ الرَّجُلُ: عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا — يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ — أَهْلُ بَيْتِ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أُنْيَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ: " أَطْعَمُهُ أَهْلُكَ".

٢- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، قَدْ ظَاهَرَ مِنْ امْرَأَتِهِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَاهَرْتُ مِنْ زَوْجَتِي فَوَقَعْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ أَكْفَرَ، فَقَالَ: " وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ، يَرْحِمُكَ اللَّهُ؟ " قَالَ: " رَأَيْتُ خُلُخَالَهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، قَالَ: " فَلَا تَقْرُبَهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ " .

تصحيح الخطأ بالفعل

٢/٣٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: " مَا لَكَ ؟ " قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَعْرَقٌ فِيهَا ثَمَرٌ — وَالْعَرَقُ الْمَكْتَلُ — قَالَ: " أَتَيْنَ السَّائِلَ ؟ " فَقَالَ: أَتَى، قَالَ: " خُذْ هَذَا فَاصْدُقْ بِهِ "، فَقَالَ الرَّجُلُ: عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا — يُرِيدُ الْحَرْتَيْنِ — أَهْلُ يَتِ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أُنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: " أَطْعَمْتَهُ أَهْلَكَ ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤١/٢) رقم/ ٧٢٨٨، والبخاري في صحيحه (١/ ٥٦٠) كتاب كفارات الأيمان، باب متى تجب الكفارة على الغني والفقير، وقول الله تعالى:

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْفَكِيمُ ﴾ (التحریم: ٢) رقم/ ٦٧٠٩، وكذا في (١/ ٥٦٠) من نفس الكتاب أيضاً، باب يعطي في الكفارة عشرة مساكين قريباً كان أو بعيداً رقم/ ٦٧١١.

ومسلم في الصحيح (٨٥٥/١) كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائمين، ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيائها، وأنها تجب على الموسر والمعسر، وثبتت في ذمة المعسر حتى يستطيع رقم/ ٢٥٩٥ وعند ابن ماجه في السنن (١/ ٢٥٧٧) كتاب الصيام، باب ما جاء في كفارة من أفطر يوماً من رمضان رقم/ ١٦٧١، والترمذي في السنن (١/ ١٧١٨) كتاب الصوم عن رسول الله، باب ما جاء في كفارة الفطر في رمضان رقم/ ٧٢٤ من طريق سفيان بن عيينة .

والدارمي في السنن (٢/ ١٩) كتاب الصوم، باب في الذي وقع على امرأته في شهر رمضان ثمراً رقم/ ١٧١٦ وفي صحيح البخاري (١/ ٤٦٣) كتاب النفقات، باب نفقة

المعسر على أهله رقم/ ٥٣٦٨، وفي (١/ ٥١٤) كتاب الأدب، باب التبسم والضحك رقم/ ٦٠٨٧ من طريق إبراهيم بن سعد.

وعند البخاري في صحيحه (١/ ١٥١) كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر رقم/ ١٩٣٦ من طريق شعيب.

وفي (١/ ١٥١) كتاب الصيام أيضاً، باب المجامع في رمضان هل يطعمه أهله من الكفارة إذا كانوا محاييج؟ رقم/ ١٩٣٧ من طريق منصور.

وفي (١/ ٢٠٥) كتاب الهبة، باب إذا وهب هبة فقبضها الآخر ولم يقل قبلت رقم/ ٢٦٠٠، وكذا في (١/ ٥٦٠) من كتاب كفارات الأيمان، باب من أعان المعسر في الكفارة رقم/ ٦٧١٠ من طريق معمر.

وفي (١/ ٥٢٠) كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك رقم/ ٦١٦٤ من طريق الأوزاعي.

وفي (١/ ٥٦٨) كتاب الحدود، باب إذا أصاب ذنباً دون الحد فأخبر الإمام فلا عقوبة عليه بعد التوبة إذا جاء مستفتياً، عن الليث.

وأبو داود في السنن (١/ ١٤٠٠) كتاب الصوم، باب كفارة من أتى أهله في رمضان رقم/ ٢٣٩٢ من طريق مالك.

جميعهم (سفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وشعيب، ومنصور، ومعمر، والأوزاعي، والليث، ومالك) عن الإمام الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - اهتمامه ﷺ بالمخطئ:

وذلك عن طريق سؤاله له حين جاء فرعاً خائفاً مما وقع فيه وأقدم عليه وهو يقول: "هلكت" وفي رواية لعائشة -رضي الله عنها- بلفظ: "احترقت" ^(١).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٧٦)، والبخاري في صحيحه (٦/ ٢٥٠١) كتاب المحاريب من أهل الكفر والردة، ومسلم في صحيحه (٣/ ٧٨٣) كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، وأبو

فبادره النبي ﷺ باهتمامه قائلاً: ما لك؟ يعني: أي شيء حصل أو وقع لك، وفي رواية: ما شأنك؟^(١) وعند مسلم والترمذي: "وما أهلكك؟".^(٢)

كل هذه الأسئلة ﷺ ليعرف منه عن الشيء الذي وقع فيه فيبادر بمعالجته، واستدل بهذا على أن من ارتكب معصية لا حد فيها وجاء مستفتياً أنه لا يعاقب؛ لأن النبي ﷺ لم يعاقبه مع اعترافه بالمعصية، ومن جهة المعنى أن مجيئه مستفتياً يقتضي الندم والتوبة والتعزير استصلاح ولا استصلاح مع الصلاح، ولأن معاقبة المستفتي تكون سبباً في ترك الاستفتاء من الناس عند وقوعهم في مثل ذلك، وهذه مفسدة عظيمة يجب دفعها فافتضى ذلك ألا يعاقب.^(٣)

مع علمه ﷺ أن الرجل كان عامداً في خطئه؛ لأن ألفاظه التي أتى به أشعرت النبي ﷺ أنه عالماً بالحكم لكنه جاهلاً بالأثر المترتب على هذا الخطأ، وإلا لم يحكم على نفسه بالهلاك حتى ورد: "أنه جاء ينتف شعره ويدعو ويله"^(٤)

وعند الدارقطني: "يخني على رأسه التراب".^(٥)

واستدل على جواز هذا الفعل ممن وقعت له معصية، ويفرق في ذلك بين مصيبة الدنيا والدين، فيجوز في مصيبة الدين لما يشعر به الحال من شدة الندم وصحة الإقلاع، ويحتمل أن يكون ذلك قبل النهي عن لطم الحدود وحلق الشعر عند المصيبة.^(٦)

داود في السنن (٣١٤/٢) كتاب الصوم، باب كفارة من أتى أهله في رمضان عن عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً.

(١) الرواية في صحيح البخاري (٢٤٦٧/٦) كتاب كفارات الأيمان، باب متى تجب الكفارة على الغني والفقير.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٧٨١/٢) كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في ثمار رمضان، وابن ماجه في السنن (٥٣٤/١) كتاب الصيام، باب ما جاء في كفارة من أفطر يوماً من رمضان، وكذا الترمذي في السنن (٣/

١٠٢) كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كفارة الفطر في رمضان.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٦٥/٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠٨/٢) رقم/٦٩٤٤.

(٥) ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري (١٦٤/٤)، ولم أقف على الرواية عند الدارقطني في السنن.

(٦) فتح الباري (١٦٤/٤).

فتبين بعد ما سبق أن مفهوم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المخطئ أوسع بكثير من مفهوم العقوبة، وقد كان ﷺ يتخذ هذا المنهج طريقة ثابتة في تعامله وحياته.

٢- استعمال العقاب بالتكليف الإيجابي:

جاءت الشريعة ببعض العقوبات على الأخطاء التي يقرتها الإنسان، والتي تهدف إلى تعديل السلوك وإصلاح العيوب والأخطاء.

ويحقق هذا النوع من العقاب فوائد منها: مجازاة المخطئ وإشعاره بالذنب، وحث المخطئ على فعل الخير تكفيراً عما فعل، وإذا فعل الخير شعر بلذته مما يدفعه لعلاج أخطائه الشخصية فيما بعد، ثم أيضاً في هذا النوع انتفاع للمجتمع أو الأسرة من المخطئ؛ لأنه سيكلف بعمل إيجابي يخدم من حوله وينفعهم.^(١)

ولهذا فرض الله الكفارات؛ لأنها مؤثرة ونافعة، وهذا النوع استخدمه ﷺ مع هذا المخطئ، فتأمل كيف يعرض عليه ﷺ العقوبات لينقذه مما وقع فيه، وبمنتهى الرفق والرحمة ﷺ فما زال يرفق به ويتدرج معه من العقوبة الأشد إلى العقوبة الأخف، ومن أمرٍ بعد عدمه إلى أمرٍ آخر، هل تجد رقبة فتعتقها؟ هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. وفي بعض الروايات قال: وهل لقيتُ ما لقيتُ إلا من قبل الصوم؟^(٢) وما زال يسأله عن قدراته حتى وصلت به الحال من رفقته ﷺ إلى أن أعطاه ما في يده من الصدقة التي كانت عليه كفارة، فجاء له غارماً وذهب منه ﷺ غانماً مسروراً، وهل تجد أعظم من هذه الرحمة في غيره ﷺ؟

ولم يزجره مع أن الفعل وقع منه متعمداً ولم يوبخه؛ لأن الرجل جاء تائباً نادماً وليس مستهتراً أو غير مبالٍ بما جرى منه، فاحتواه ﷺ برحمته، وتفهم أمره ومشكلته، وقدر ضعفه البشري وعدم صبره في الصوم عن الوقاع.

(١) كيف نعالج أخطاء أبنائنا، لعبد الله محمد عبد المعطي ص ١٧٦ .

(٢) أشار إلى هذه الرواية ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (١/ ٣٢٩) رقم/ ١١٣٥، والزرقاني في شرحه وعزاه للبخاري ولم أقف عليه .

تصحيح الخطأ بالفعل

وفي الحديث دلالة على أن المفتي يبدأ بذكر الكفارة ما دام حكم الفعل معلوماً عند المخطئ، فالنبي ﷺ لم يذكر للرجل حكم الجماع في نهار رمضان؛ لأن الرجل يعرف ذلك بدلالة الحال، ولهذا اكتفى بذكر الكفارة، وفيه أن كفارة الجماع في نهار رمضان على الترتيب؛ لأن النبي رتب الكفارة ترتيباً ولم يضع الخيار أمامه، وفي الحديث أيضاً جواز قول الرجل لا للأكابر وأهل الفضل، فقد قالها الرجل للنبي ﷺ وكررها بتكرار السؤال، وأن إخبار الرجل بضعف حالته المادية وفقره لا شيء فيه، وليست من الشكوى المذمومة، ولهذا ذكر الرجل فقره للنبي ﷺ .

٣- ردة فعل النبي ﷺ تجاه الموقف:

تأمل كيف يتسع صدر النبي ﷺ لهذا المخطئ، ويختم هذا الموقف والتعامل منه ﷺ بالضحك على هذا الرجل متعجباً منه لتباين حاله؛ حيث كان في الابتداء متحرقاً متلهفاً حاكماً على نفسه بالهلاك، يدعو بالويل والثبور ويتنفذ شعره قد هيا لنفسه أشد العقاب من جرم فعله، " ثم لما وجد الرخصة طمع في أن يأكل ما أعطيه من الكفارة، وقيل ضحك من حال الرجل في مقاطع كلامه وحسن تأتبه وتلفظه في الخطاب وحسن توصله في توصله إلى مقصوده " (١) يرجع بمكتل يكفي له شهراً أو شهرين صدقة كانت عليه واجبة لستين مسكيناً.

والعجيب أنه يتجرأ ويطلبها لنفسه وعياله، ويقسم أنه ما من أهل بيت في المدينة أفقر منه من شدة الحاجة، وإنما أقسم على غلبة ظنه، ولم ينكر عليه النبي ﷺ وإلا فهو لا يعلم إن كان هو أفقر أم لا؟

ولذلك قال ابن حجر رحمه الله: " وفيه الحلف لتأكيد الكلام وقبول قول المكلف مما لا يطلع عليه إلا من قبله لقوله في جواب قوله: أفقر منا أطعمه أهلك " (٢).

وفي الحديث من الفوائد: بيان لخصلة جُب عليها الإنسان، وهو حب الطمع والتزود من الشيء، وفيه أيضاً عرض الرجل ما يصيبه على أهل العلم، وأن ذكر الذنب على

(١) فتح الباري (٤/ ١٧١).

(٢) المرجع السابق.

سبيل الندم غير مستقبح ولا يُذم، وفيه جواز الضحك في حال التعجب، وأن المربي
يكتفي به عن التوبيخ.

تصحيح الخطأ بالفعل

٤٠/٢- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، قَدْ ظَاهَرَ مِنْ امْرَأَتِهِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَاهَرْتُ مِنْ زَوْجَتِي فَوَقَعْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ أَكْفَرَ، فَقَالَ: " وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟ " قَالَ: رَأَيْتُ خُلُخَالَهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، قَالَ: " فَلَا تَقْرُبَهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ " .

التخريج:

هذا الحديث روي مرةً مرسلًا ومرةً موصولًا ومن رواه مرسلًا :

الإمام عبد الرزاق في مصنفه (٤٣٠ / ٦) رقم / ١١٥٢٥ ، ومن طريقه النسائي في السنن الكبرى (٣ / ٣٦٧) كتاب الطلاق، باب الإيلاء رقم / ٥٦٥٢ وفي المجتبى (١ / ٢٣١٤) كتاب الطلاق، باب الظهار رقم / ٣٤٨٨ جميعهم من طريق معمر .

وعند النسائي في المجتبى أيضاً (١ / ٢٣١٤) كتاب الطلاق، باب الظهار رقم / ٣٤٨٩ من طريق المعتمر .

وأبو داود في السنن (١ / ١٣٨٧) كتاب الطلاق، باب في الظهار، رقم / ٢٢٢١ من طريق سفيان بن عيينة .

ثلاثهم (معمر، والمعتمر، وسفيان)، عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال: " أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ " بالإرسال .

ومن رواه موصولاً :

أبو داود في (١ /) كتاب الطلاق أيضاً، باب في الظهار من طريق إسماعيل .

ابن ماجه (١ / ٢٦٠٠) كتاب الطلاق، باب المظاهر يجمع قبل أن يكفر رقم / ٢٠٦٥ .

والترمذي في السنن (١ / ١٧٧٠) كتاب الطلاق واللعان عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في المظاهر يواقع قبل أن يكفر رقم / ١١٩٩ والنسائي في السنن الكبرى (٣ / ٣٦٧) كتاب الطلاق، باب الإيلاء رقم / ٥٦٥١ وفي المجتبى (١ / ٢٣١٤) كتاب الطلاق، باب الظهار رقم / ٣٤٨٧ .

والطبراني في المعجم الكبير (١١ / ٢٣٦) رقم / ١١٦٠٠ وابن الجارود في المنتقى (١) / ١٨٧) باب في الظهار من طريق معمر.

والطبراني في المعجم الكبير أيضاً (١١ / ٢٣٦) رقم / ١١٥٩٩ من طريق ابن جريج.

والحاكم في المستدرک (٢ / ٢٢٢) رقم / ٢٨١٧، والبيهقي في السنن (٧ / ٣٨٦) كتاب الظهار، باب لا يقرها حتى يكفر رقم / ١٥٠٣٦ وفي السنن الصغرى أيضاً (٢ / ٣١٣) كتاب الخلع والطلاق، باب الظهار، وفي معرفة السنن والآثار، للبيهقي (١٢ / ٢٩٦) كتاب الظهار من طريق حفص بن عمر العدني.

أربعتهم (إسماعيل بن عليّة، ومعمر، وابن جريج، وحفص) عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ؓ به مرفوعاً.

دراسة الإسناد:

الحكم بن أبان العدني، أبو عيسى سمع عكرمة، وعن طاوس، وعنه ابن جريج ومعمر^(١) وابن عليّة، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو زرعة: صالح، وقال يوسف بن يعقوب: ذاك سيد أهل اليمن.^(٢)

عن عكرمة: وهو مولى ابن عباس ؓ، أبو عبد الله سمع ابن عباس وأبا هريرة ؓ روى عنه قتادة والحكم، قال أبو عبد الله: ليس من أصحابنا إلا احتج بعكرمة.^(٣)، ووثقه العجلي في كتابه وقال: مكّي تابعي ثقة، وقال ابن سعد: ثقة عالم، رفيع، إمام ورع كثير الحديث^(٤)، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عن عكرمة مولى ابن عباس ؓ.

(١) التاريخ الكبير (٢/٣٣٦).

(٢) الجرح والتعديل (٣/١١٣).

(٣) التاريخ الكبير (٧/٤٩).

(٤) معرفة الثقات (٢/١٥٤) طبقات الحفاظ (١/٥٠).

فقال: ثقة محتج به^(١)، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: ثقة ثبت عالم بالنفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولم تثبت عنه بدعة.^(٢)

وابن عباس رضي الله عنه الصحابي المعروف.

ورواه عن الحكم بن أبان معمر بن راشد سمع الزهري وأيوب وعنه الثوري وعبد الرزاق وهو إمام حجة معروف ثقة، قال ابن جريج: عليكم بهذا الرجل فإنه لم يبق في زمانه أعلم منه، كما وثقه العجلي وغيره، وهو ثقة ثبت لكن له أوهام قال أبو حاتم: صالح الحديث ويقال له أوهام احتملت له، مات في رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائة، وهو من كبار السابعة.^(٣)

وعن معمر الفضل بن موسى المروزي الحافظ أحد أئمة خراسان سمع معمر وهشام بن عروة، وعنه إسحاق بن راهوية وأبو عمار الحسين بن حريث، قال وكيع: ثقة، وقال إسحاق بن راهوية: لم أكتب عن أحد أوثق في نفسي من الفضل بن موسى، وقال أبو حاتم: صدوق صالح، وقال ابن معين وابن سعد: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات وهو من كبار التاسعة، مات سنة اثنين وتسعين.^(٤)

وعن الفضل رواه حسين بن الحريث أبو عمار الخزاعي المروزي، سمع الفضل بن موسى وغيره وهو الحسين بن ثابت بن قطبة، مولى عمران بن حصين الخزاعي، ذكره ابن حبان في الثقات، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه توثيقاً ولا تجريحاً،^(٥) قال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، قال الخطيب في تاريخ بغداد: روى عنه

(١) التعديل والتحريح لأبي الوليد الباجي (١١٥٠/٣).

(٢) تقريب التهذيب (٣٩٧/٢).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٧) تهذيب التهذيب (٢١٩/١٠) تقريب التهذيب (٥٤١/١).

(٤) تذكرة الحفاظ (٢٩٦/١)، تهذيب التهذيب (٢٥٧/٨)، وانظر تقريب التهذيب (٤٤٧/١).

(٥) التاريخ الكبير (٣٩٣/٢)، الجرح والتعديل (٥٠/٣).

البخاري ومسلم بن الحجاج، وابن صاعد، وأبو القاسم البغوي ونقل توثيق النسائي له،
وذكر من رجال صحيح البخاري، مات سنة أربعة وأربعين ومئتين. ^(١)

الحكم على الحديث:

الحديث عندي صحيح والله أعلم.

حكم العلماء على الحديث:

قال الترمذي بعد ذكر الحديث: حديث حسن صحيح غريب.

وقال الحاكم في المستدرک: " ولم يحتج الشيخان بإسماعيل، ولا بالحكم بن أبان إلا أن
الحكم بن أبان صدوق.

وقال النسائي رحمه الله بعد ذكر الحديث: والمرسل أولى بالصواب من المسند .

قال الإمام الألباني: حسن. ^(٢)

والحديث له شاهد من حديث سلمة بن صخر البياضي بلفظ: "أن سلمان ابن صخر أحد
بني بياضة جعل امرأته عليه كظهر أمه، حتى يمضي رمضان، فلما مضى نصف من
رمضان وقع عليها ليلاً، فأثنى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له رسول الله ﷺ: أعتق رقبة
قال: لا أجدها، قال: فصم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع قال: أطعم ستين مسكيناً
قال: لا أجده، فقال رسول الله ﷺ لفروة بن عمرو: أعطه ذلك العرق، وهو مكمل يأخذ
خمسة عشر صاعاً، أو ستة عشر صاعاً" ^(٣) .

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - أهمية المصارحة ودورها في علاج الخطأ:

(١) تاريخ بغداد (٣/٣٨٢)، تهذيب الكمال (٦/٣٥٩)، وانظر كتاب رجال صحيح البخاري لأحمد الكلاباذي
(١/١٧٤).

(٢) صحيح وضعيف سنن النسائي (٨/٢٩).

(٣) سنن الترمذي (٣/٥٠٣) كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء في كفارة الظهار .

ويتبين من قصة هذا الذي ظاهر من زوجته، ومما سبق من الذي جامع في نهار رمضان أهمية المصارحة من المخطئ، وأن لها دور كبير في نفاذه من مشكلته.

ومن هنا فإنه حري بكل مخطئ إذا واجه أي مشكلة أو وقع في خطأ أن يلجأ إلى أهل الاختصاص والعلم لحلها، وأن يطلب المشورة منهم لا من غيرهم؛ لأن بعض الناس يزيد المشكلة تعقيداً ويدخل اليأس في قلب المخطئ.

وهذا الرجل أحسن التصرف حين ذهب إلى النبي ﷺ ليصارحه بخطئه، فقد كان ظاهر من امرأته، ثم وقع عليها قبل أن يؤدي كفارة الظهار التي عليه، فأتى النبي ﷺ يشكو ذنبه، ويصارحه بما وقع فيه، فوجد منه ﷺ الرفق على ما سمع منه.

ثم سأله: "ما حملك على ذلك يرحمك الله؟" مضمناً هذا السؤال بالدعاء له بالرحمة كعادته ﷺ في سؤال من أخطأ عن الدافع له من وراء الوقوع في الخطأ، فأخبره بأنه لم يملك نفسه فواقعها، فقدّر النبي ﷺ عذره، وتعامل مع الموقف بما يفيد فن التعامل مع الخصال الفطرية في البشر، وما قد يطرأ عليها من الضعف، فرحمه ﷺ واكتفى بقوله: "لا تقر بها حتى تفعل ما أمرك الله به" ولم ينهره أو يأمره بكفارة أخرى على ما فعل.

لقد كانت الرحمة في محمد ﷺ جزءاً كبيراً من خلقه وسلوكه وتعامله كان يفيض رحمة ﷺ.

لقد شملت رحمته حتى العاصي لله ﷻ، وصدق الله في كتابه إذ يقول سبحانه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وفي الحديث رافة العالم بالناس واللين معهم بما في ذلك من وقع في الذنب وأسرف على نفسه بالمعاصي، والتعاون مع المذنبين، وإيجاد الحلول لمشكلاتهم التي وقعوا فيها دون تطويل أو مماطلة، وأن على العالم ألا يغضب من أسئلة الناس واستفتاءاتهم، فهي كثيرة ومتنوعة، وبعضها وقوع في المحرمات مما يستلزم على العالم أن يكون بهم رحيماً.

وفي الحديث من الفوائد أيضاً ما يدل على أن المعترف بذنبه لا يُلام ولا يُوبَّخ، ويكتفى بندمه واعترافه وطلبه الخروج مما هو فيه، وفيه أنه لا بأس للإنسان الذي يبحث عن حل لمشكلته أن يصرح بذنبه ويظهر ما خفي من أمره، فإن الرجل ذكر ذنبه أمام الناس وعلى مسمع منهم؛ لأن كتمها والسكوت عنها لا يسهم في حل المشكلة ولا خروج المخطئ من الأزمة التي هو فيها .

ومن شواهد هذا المبحث ما يتبين فيه رحمة النبي ﷺ بالمخطئ وخوفه عليه من استمراره على هذا الخطأ، من ذلك:

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ؓ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: " إِنَّكَ لَتَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ " فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: " إِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ لَهُ الْعَيْنُ، وَتَفْهَتْ لَهُ النَّفْسُ، لَا صَامَ مِنْ صَامِ الدَّهْرِ، صَوْمٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ "، قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: " فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى " . فلولوا رحمته ﷺ بعبد الله وشفقته عليه من أن يضر به دوام الصيام لما نهاه عنه ولما حثه على الرفق بنفسه، والتزام ما يطيق من الأعمال . وقد جاء أنه تمنى لو قبل برخصته ﷺ لأنه كان ﷺ أرحم بالمؤمنين من أنفسهم . (١)

- ومن رحمته بالمخطئ فيه ﷺ زينب -رضي الله عنها- عن إرهاق النفس في الصلاة والقيام، وعدم إعطائها أدنى وقت للراحة، فقد جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: " مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ " قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِرَازِئَةَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَا، حُلُوهُ، لِيَصِلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ " . (٢)

(١) راجع تخريج الحديث في مبحث الحوار ص ١٩٥ .

(٢) قد سبق تخريجه راجع ص ١٦٧ .

أهم النتائج التي يخلص منها هذا البحث:

- الرحمة بالمخطئ مطلب مهم في المعالجة والتصحيح، لا سيما إذا كان المخطئ منكسراً، نادماً، خائفاً مما اقترف وغير هازل.
- إن رحمة النبي ﷺ بأمتة كانت جزءاً مهماً في خلقه وتعامله، بل هي من صميم شخصيته ﷺ، ولذلك نال المخطئون نصيباً كبيراً منها.
- إن هذا الدين واقعي، ودين يسر جعل لكل مشكلة حلاً ولكل ضيق مخرجاً.

المبحث الثالث: هجر المخطئ

الهجر ضربٌ من ضروب التأديب، وهو علاج للمخطئ إذا ما أحس هو ومثله باحتقار المجتمع المسلم لمساوئه، وعدم الرضا عن أفعاله تاب ورجع إلى صوابه، ودخل في زمرة الراشدين، لكن ينبغي من المربي أن يتناول هذا الأسلوب بحكمة منه ورفق حتى لا تحدث للمخطئ ردود فعل عكسية، ويتولد من التطرف في فهمه وسوء المعاملة ما يسيء أكثر مما يحسن، فإذا رأى أن الهجر أفضل هجر، وإذا رأى أن التأليف أفضل ألف، ولذلك كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين.

" وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقتلهم وكثرهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة، بحيث يقضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته، كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك؛ بل يزيد الشر والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر".^(١) وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب بهدف أن يعود المخطئ إلى الصواب، والعاصي إلى الطاعة، واتضح ذلك في هذه الأحاديث:

١- أَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكَ، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ حَتَّى كَمَلْتُ خَمْسُونَ لَيْلَةً، وَأَذَنَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ.

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَرْزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْمَرَأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُ [التحریم: ٤] فَحَجَّحْتُ مَعَهُ فَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ الْمَرَأَتَانِ مِنَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ،

(١) الهجر في الكتاب والسنة، مشهور حسن محمود، ص ١٥٤.

عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه، فقال: إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب التزول على النبي ﷺ، فينزول يوماً وأنزل يوماً، إلى أن قال .. فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاءً، فضرَبَ بابي ضرباً شديداً، وقال: أتم هو؟ ففرغت فخرجت إليه وقال: حدث أمرٌ عظيم، قلت: ما هو؟ أجاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه. قال: قد خابت حفصة وخسرت، كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت على نياي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل مشربة له فاعتزل فيها، فدخلت على حفصة، فإذا هي تبكي، قلت: ما يبكيك؟ أولم أكن حذرتك؟ أطلقكن رسول الله ﷺ؟ قالت: لا أدري، هو ذا في المشربة، فخرجت فجلت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجد فجلت المشربة التي هو فيها فقلت للغلام له أسود: استأذن لعمري، فدخل، فكلّم النبي ﷺ ثم خرج فقال: ذكرتك له فصمت، فأنصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجلت فقلت للغلام - فذكر مثله - فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجلت الغلام فقلت: استأذن لعمري - فذكر مثله - فلما وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني قال: أذن لك رسول الله ﷺ، فدخلت عليه، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أتر الرمال بجنه، إلى أن قال: وكان قد قال: " ما أنا بداحل عليهن شهراً " من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها إلى آخر ماجاء في الحديث.

٣- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يحدث عند النبي ﷺ بالكذبة فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة.

٣/٤١- أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخْلَفَ عَنْ تَبُوكَ، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكْتُ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ حَتَّى كَمَلْتُ خَمْسُونَ لَيْلَةً، وَأَذَنَ النَّبِيِّ ﷺ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٥٩) والبخاري في صحيحه (١/ ٣٦٢) كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ خَلَقُوا﴾ (١١٨) (التوبة: ١١٨) رقم/٤٤١٨، وفي كتاب المغازي أيضاً (١/ ٣٢٣) باب غزوة بدر رقم/٣٩٥١ وفي كتاب الأحكام (١/ ٦٠٢)، باب هل للإمام أن يمنع المحرمين وأهل المعصية من الكلام معه والزيارة ونحوه رقم/٧٢٢٥، وفي كتاب الجهاد (١/ ٢٣٧) باب من أراد غزوة فوري بغيرها ومن أحب الخروج إلى السفر يوم الخميس رقم/٢٩٤٧، وفي كتاب التفسير كذلك (١/ ٣٨٨) باب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) (التوبة: ١١٩) رقم/٤٦٧٨.

وفيه أيضاً (١/ ٣٨٧) باب قوله: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيَتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ (١٥) (التوبة: ٩٥) رقم/٤٦٧٣

وفي كتاب الاستئذان (١/ ٥٢٧) باب من لم يسلم على من اقترف ذنباً ولم يرد سلامه حتى تتبين توبته وإلى متى تتبين توبة العاصي؟ رقم/٦٢٥٥، وفي كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة فوري بها رقم/٢٩٤٨/٢٩٤٩

وفي كتاب الأيمان والنذور (١/ ٥٥٩) باب إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة رقم/٦٦٩٠، وفي كتاب المناقب (١/ ٢٨٩)، باب صفة النبي ﷺ رقم/٣٥٥٦ من طريق عقيل بن خالد.

وفي صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار (١/ ٣١٦) رقم/ ٣٨٨٩ ، وفي كتاب

التفسير (١/ ٣٨٧) باب قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ﴾ (التوبة: ١١٧) رقم/ ٤٦٧٦ وفي سنن أبي داود (١/ ١٤٣٠) أول كتاب الجهاد، باب إعطاء البشير رقم/ ٢٧٣٧ من طريق يونس .

وفي كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة فوري بها رقم/ ٢٩٥٠

وعند الترمذي في السنن (١/ ١٩٦٥) كتاب التفسير، باب من سورة التوبة رقم/ ٣١٠٢ من طريق معمر.

وفي كتاب الجهاد أيضاً (١/ ٢٤٨) باب الصلاة إذا قدم من السفر رقم/ ٣٠٨٨ عن ابن جريج .

وفي صحيح البخاري كتاب التفسير (١/ ٣٨٧) باب: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا

﴾ (التوبة: ١١٨) رقم/ ٤٦٧٧ من طريق إسحاق بن راشد.

جميعهم (عقيل، ويونس، ومعمر، وابن جريج، وإسحاق بن راشد) عن الزهري.

واختلف فيه على الزهري فمرة روي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن عبد الله بن كعب عن كعب بن مالك ؓ وهو الأكثر في الصحيح والسنن.

ومرة عن عبد الرحمن بن كعب عن كعب بن مالك ؓ.

وأخرى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن كعب ؓ مباشرة.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- الهجر على وجه التأديب:

لا شك أن الهجر من الأساليب النبوية المؤثرة جداً، خصوصاً إذا عظم الخطأ والذنب؛ وذلك لما يحدثه الهجران والقطيعة من الأثر البالغ في نفسية المخطئ، وقد هجر النبي ﷺ ثلاثة من الصحابة، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي ؓ أجمعين وكلهم من الأنصار حين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر

شرعي لهم، وكان الجهاد آنذاك فرض عين، لا يحل لمسلم أن يتخلف عنه، ولا يسقط إلا بعذر مانع، فهجرهم خمسين ليلة كاملة، وأمر الناس بهجرهم، وعدم الجلوس معهم، ولا السلام عليهم، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت؛ بسبب عدم قبول النبي ﷺ توبتهم حتى ينزل فيهم قرآن من الله سبحانه، وبسبب ما وجدوا من إعراض الناس عنهم وعدم مكالمتهم من كل أحد، حتى ضاقت عليهم أنفسهم من الوحشة التي وجدوها، والجفوة التي أحسوا بها، ومن الحزن والغم الذي أصابهم .

وهذا يدل على أثر المعصية على الإنسان، وما تُحدث في نفسه من الضيق، حتى أيقنوا أنه لا مفر من عذاب الله إلا بالتوبة إليه، وأنزل الله ﷻ توبته عليهم في القرآن الكريم.^(١)

فحصل التأديب لهم من فعل النبي ﷺ معهم بالهجر، وكان أنفع لهم، فتأبوا إلى الله بالاستغفار والندم على التفريط في الخروج، وتاب الله عليهم بما وفقهم فيه للتوبة الصالحة وبقبولها منهم.

وذكر ابن حجر -رحمه الله- مقولة رائعة حول هذا الهجر، نقلاً عن الحسن البصري فقال: " يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراماً، ولا سفكوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟"^(٢)

٢- قبل الإقدام على الهجر لا بد من معرفة أسباب الخطأ والسماع من المخطئ:

عندما جاء النبي ﷺ من الغزوة وجلس في المسجد، جاء المخلفون ليعتذروا للنبي ﷺ ويخلفون له بعدم مقدرتهم، فقبل النبي ﷺ منهم على عادته في الصفح والغفران ووكل سرائرهم إلى العالم بما سبحانه، لكن حين أقبل كعب بن مالك ﷺ لم يبادره النبي ﷺ باللوم الشديد على تخلفه، ولا بالتوبيخ، إنما تبسم في وجهه تبسم المغضب وأجلسه بين يديه، ثم قال له مستفهماً عن سبب وقوعه في الخطأ لعل له عذراً لا يعلمه النبي ﷺ: " ما

(١) انظر شرح القصة في تحفة الأحوذى (٨/ ٤٠٣)، وعمدة القارئ (٢٦/ ٣١٩).

(٢) فتح الباري (٨/ ١٢٣) .

خلقتك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟" (١) الآن هو يعطي ﷺ المخطئ فرصة كاملة ليدافع عن نفسه، وييدي عذره.

وهذا التصرف منه ﷺ لم يكن لأول مرة مع المخطئ، ولكن جرت به العادة منه ﷺ أن يسأل المخطئين عن الدوافع التي كانت سبباً في وقوعهم في الخطأ، ولم يكن ﷺ يصدر أو ينفذ العقوبة المناسبة إلا بعد الاستماع الكامل للمخطئ وسؤاله ﷺ له عن ذلك.

ثم قال: ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ أي اشتريت مركبك يقصد منه أن الظروف كانت مهيأة لك للحقوق بالمسلمين ومشاركتهم ولو يكن هناك قتال، وإمكانياته كانت متوافرة فلماذا تأخرت عن ذلك؟

آخره ﷺ التسوية، فكان كل يوم يقول: ألحق بهم غداً حتى ذهب عليه الوقت.

" وهذا فيه دليل أن الإنسان إذا لم يبادر بالعمل الصالح، فإنه حري أن يحرم إياه" (٢) قال: "والله يا رسول الله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك" (٣) حين علم النبي أن الرجل ليس له عذر ﷺ لا هو ولا صاحبه، وتأكد من ذلك بنفسه عندها هجرهم ﷺ.

٣- الهجر له أثره التربوي في المجتمع:

حين يأمر النبي ﷺ بمقاطعة الثلاثة الذين صدقوا في حديثهم، وعدم الكلام معهم من هنا بدأت التربية المحمدية تربية هؤلاء وصقلهم، وفرض العزل الاجتماعي عليهم لا تحفى فوائده العظيمة ومنافعه الجسيمة في تربية أفراد المجتمع الإسلامي على الاستقامة ومنع أفرادهم من التورط في أي مخالفات، إما بترك واجب أو فعل محرم، لأنه حينها سيكون من المتوقع لديه أنه حين يقدم على مثل ذلك، سيكون مهجوراً من جميع أفراد المجتمع، فلا يفكر في الإقدام على هذه الأفعال " ولا بد أن لا يغيب عن بال المربي أن تطبيق هذا

(١) صحيح البخاري (١/) كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، صحيح مسلم (١/) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه، والنسائي في السنن (١/) كتاب المساجد باب الأمر بالصلاة قبل الجلوس.

(٢) شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٥٩) .

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٦٠٥) كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وصاحبه .

الحكم بالهجر، يجب أن يتم في الظروف المشاهدة لحياة المسلمين في العهد النبوي المدني؛ حيث الدولة المهيمنة والمجتمع القوي مع أمن وقوع الفتنة لمن طُبّق عليه هذا الحكم".^(١)

والقصد مما سبق أن النبي ﷺ عندما استخدم الهجر مع هؤلاء كان وقت القوة ووقت الغلبة والظهور للدين، وكان الجيش عدده كبيراً وما يضره تخلف ثلاثة عنه وكان منهم كبيراً في السن، ولو حضر ربما لم ينفع بشيء، ولم يكن ﷺ هجر قبل أحداً تخلف عن غزوة بدر، ولا من تخلف عن الأحزاب وغيرها، وهذا له حكمة ظاهرة أن المخطئ في وقت القوة والمهيمنة للمجتمع الذي هو فيه، وعلى كثرتهم يشعر بقيمة هجرهم له، ويؤثر هذا الأسلوب فيه غاية التأثير، ويكون الألم على نفسه شديداً، ولذلك لم يطبق النبي هذا الأسلوب بداية الإسلام وفي وقت كان المسلمين فيه قلة قليلة، وهذا له اعتبار لا بد أن يفهمه المرء.

٤- نجاح أسلوب الهجر متوقف على الحجة الحقيقية بين المرء والمخطئ:

"إن الهجر عقوبة قد تفيد -أحياناً- في علاج أخطاء الأبناء وتقويم اعوجاجهم، لكنها لا تنجح إلا إذا كان هناك حب حقيقي وحوار متواصل بين الآباء وأبنائهم".^(٢)

ولقد أدرك المرء العظيم ﷺ ومعلم البشرية هذا الأمر، ومدى أهميته في نجاح الأسلوب التربوي، فطبقه في تعامله مع المخطئين، ومع كعب بن مالك ؓ بالذات، ويتضح هذا التصرف منه في هذا الجزء من الحديث: "فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني".^(٣)

إشعاره ﷺ باهتمامه له وحيه لهذا المخطئ مع وقوعه في الخطأ، ومع إيقاع العقوبة المستحقة به، يؤكد على أهمية تلازم الهجر بهذا الإحساس "إن إشعار المخطئ أثناء عقوبته بأنك تحبه وتريد له الخير والارتقاء كفيلاً بأن يعيد التائه إلى الصواب، ويحمي

(١) عرض وقائع وتحليل أحداث السيرة النبوية، علي محمد الصلابي ص ١١٦١ بتصرف .

(٢) كيف نعالج أخطاء أبنائنا، عبد الله محمد عبد المعطي، ص ١٩٢.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (١٦٠٦/٤) كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ؓ، ومسلم في الصحيح (٢١٢٤/٤) كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

النفس الإنسانية من الخراب واستثارة العناد والمكابرة عند إشعاره بالكراهة وحسب الانتقام".^(١)

٥ - تنفيذ المجتمع كله لأوامر القيادة:

في هذا الهجر التربوي من النبي ﷺ ابتلاء للمخطئ نفسه وللمجتمع الإسلامي؛ ليثبت مدى استجابته لأمر المربي ﷺ في تنفيذ أمر المقاطعة التربوي، والتحاقهم بالقيادة حتى إن أبا قتادة وهو ابن عم كعب وصديقه وأحب الناس إليه، لا يرد عليه السلام ولا يكلمه يقول: "فسلمتُ عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت. فعدتُ له فنشدته، فسكت؛ فعدتُ له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عينا، وتوليتُ حتى تسورت الجدار".^(٢)

وتلحظ في هذا الحوار صراعاً داخل أبي قتادة بين قربه وحب لابن عمه ﷺ وصلته به، وبين التزامه بأمر النبي ﷺ؛ لكنه سرعان ما ظهرت منه الاستجابة لأمر نبيه ﷺ، وأعظم صور هذه الاستجابة -أيضاً- حين تنقاد حتى الزوجات لهذا، فتنفذ الأمر بالهجر، فيعظم الحزن على المخطئين في فقد الجميع، حيث يبين كعب بن مالك ﷺ هذا الأمر فيقول: "فإذا رسول رسول الله يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمر أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقر بها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك".^(٣)

ولك أن تتخيل بعد هذا أثر ذلك الهجر النفسي على الثلاثة كيف كان؟ وفي هذا درس اجتماعي من أعظم الدروس، فقد استيقظ الإيمان في نفوسهم بعد قليل، فعلموا أنهم ارتكبوا بتخلفهم عن رسول الله ﷺ والمؤمنين إثمًا كبيراً، وكانت عقوبتهم قاسية رادعة، فقد عزلوا عن المجتمع عزلاً تاماً، ونهى حتى زوجاتهم عن كلامهم والتحدث إليهم، ولما

(١) هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي ص ٦٠٢ .

(٢) صحيح البخاري (١٦٠٦/٤) كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ومسلم في صحيحه (٢١٢٥/٤) كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك ﷺ وصاحبيه.

(٣) صحيح البخاري (١٦٠٦/٤) كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٢٥/٤) كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، وأبو داود في السنن (٢٦٢/٢) كتاب الطلاق، باب فيما عني به الطلاق والنيات والنسائي في السنن (١٥٢/٦) كتاب الطلاق، باب الحقي بأهلك.

علم الله منهم صدق التوبة وبلغ منهم الندم والحسرة مداه، تاب الله عليهم، فلما بشرُوا بذلك كانت فرحتهم لا تُقدر، حتى انسلخ بعضهم عن ماله وثيابه شكراً لله على نعمة الرضا والغفران.

إن مثل هذه الدروس تمنع المؤمن الصادق في إيمانه أن يتخلف عن عمل يقتضيه الواجب، أو يرضى لنفسه بالراحة والناس يتعبون^(١).

٦- التريية بالابتسامه فن حتى مع عقوبة الهجر:

الابتسامه هي فن من فنون التريية يجله كثير من المربين اليوم، لكنه ﷺ عامل به المخطئ مع هجره وفداحة خطاه، وهو التخلف عن الغزوة ليدلّل ﷺ أن التيسم قد يكون عن غضب ولا يختص بالسرور فقط، قال كعب بن مالك ؓ: "

فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلقتك؟"^(٢)

وتيسم المغضب أي المعاتب على الخطأ، فالتعبير عن الغضب قد يكون أحياناً بالابتسامه.

لقد كان النبي ﷺ جميل الروح من أكثر الناس تبسماً، وما كان ﷺ يخلّق الابتسامه في حياته يوماً ما، بل كان يمتلك نفوس أصحابه ؓ بابتسامته الهادئة، ليفوز ﷺ بودهم، وحبّتهم، وكانت تلك الابتسامه له ميزه ﷺ حتى في غضبه، يدل على ذلك ملاحظته لابتسامه النبي ﷺ مع علمه أنه قد غضب عليه غضباً شديداً.

هذا يفيدنا في أمر آخر مهم أن المربي إذا رجع المخطئ ليعتذر وأحس بذنبه فعليه أن ينبسط له، ويتلطف معه، ويشعره أنه ما قصد من العقوبة إلا صلاح حاله في الدنيا والآخرة.

(١) كتاب الزجر بالهجر لجلال الدين السيوطي، ص ٥٢.

(٢) صحيح البخاري (١٦٠٥/٤) كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك.

٢٤/٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: إِنَّ تَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُ [التحریم: ٤] فَحَبَجْتُ مَعَهُ فَعَدَلُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ فَبَرَزَ حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ تَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: وَاعْجَبِي لَكَ يَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ وَجَّارًا لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ -وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ- وَكُنَّا نَتَنَابَوُ النَّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَيَنْزِلُ يَوْمًا، إِلَى أَنْ قَالَ: .. فَتَزَلَّ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً، فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَمَّ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ: حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانٌ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ، طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ. قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَى ثِيَابِي فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، قُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَرْتُكَ؟ أَطْلَقَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: لَا أَذْرِي، هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ الْمَنْبَرَ فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا فَقُلْتُ لِلْغَلَامِ لَهُ أَسْوَدُ: اسْتَأْذِنَ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ، فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمْتُ، فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمَنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ فَقُلْتُ لِلْغَلَامِ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ - فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمَنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغَلَامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنَ لِعُمَرَ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ - فَلَمَّا وَرَيْتُ مُنْصَرِفًا فَإِذَا الْغَلَامُ يَدْعُونِي قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَرُ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَانَ قَدْ قَالَ: " مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا " مِنْ شِدَّةِ مَوْجَدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ...

التخريج:

أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٩٤) كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها رقم/٢٤٦٨، من طريق عقيل.

وكذا في كتاب العلم (١/ ١٠)، باب التناوب في العلم رقم/٨٩، من طريق يونس.

وفي (١/ ٤٤٨) كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لخال زوجها رقم/٥١٩١، من طريق شعيب.

جميعهم (عقيل، ويونس، وشعيب) عن الزهري، عن عبيد الله بن أبي ثور.

وتابع عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور

أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٥١)، وفي كتاب النكاح، باب حب الرجل بعض نسائه أفضل من بعض رقم/٥٢١٨، وفي كتاب التفسير (١/ ٤٢١) باب: ﴿تَبْنِي

مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التحریم: ١) رقم/٤٩١٣

وفي (١/ ٤٢٢) كتاب التفسير، باب: ﴿إِنْ نُّوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (٤) ﴿التحریم: ٤) رقم/٤٩١٥،

وفي (١/ ٤٩٨) كتاب اللباس، باب ما كان النبي ﷺ يتحوز من اللباس والبسط

رقم/٥٨٤٣، وكذا في (١/ ٦٠٤) كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خير

الواحد الصدوق في الأذان، والصلاة، والصوم، والفرائض، والأحكام رقم/٢٧٥٦، وفي

كتاب أخبار الآحاد (١/ ٦٠٥) باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ

يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (٥٣) (الأحزاب: ٥٣) فإذا أذن له واحد جاز، رقم/٧٢٦٣ من طريق

عبيد بن حنين.

كلاهما (عبيد الله بن أبي ثور، وعبيد بن حنين) عن ابن عباس ؓ عن عمر ؓ مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- الهجر في أدب النبوة أسلوب للعلاج:

إن سيرة النبي ﷺ مع زوجاته مليعة بحسن العشرة، وطيب المعاملة وحسن الخلق، وكان دائماً ﷺ يهتم بهم جميعاً ويسأل عنهم ويتودد إليهم، إلا أنه قد يخص عائشة - رضي الله عنها - بمزيد اهتمام وعناية؛ نظراً لحدائث سننها واحتياجها في مثل هذا السن إلى الاهتمام والرعاية، ومن شدة حلمه ﷺ كن يراجعنه في الأمور ويناقشونه فيما يريدونه، وحصل منهم - رضي الله عنهم - أن أكثرن عليه ﷺ فاستخدم ﷺ معهم الحجر كعقوبة تأديبية لهن.

ومعلوم أن الحجر ليس أمراً مزاجي يستعمله المربي متى شاء تبعاً لهوى النفس أو انقياداً للغضب، وإنما هو أدب رباني وأسلوب نبوي مارسه النبي ﷺ مع بعض المخطين لردّه عن المعصية وإصلاح حاله، وكان منهم في هذا الموقف زوجاته - ﷺ - أمهات المؤمنين، فقد حجرهن شهراً كاملاً بسبب بعض التصرفات الخاطئة التي بدرت منهم - رضي الله عنهم - بدافع الاستجابة للغيرة الشديدة التي جُبِلت عليها النساء، أو بحجة التوسع في الدنيا ولمذاقها خلافاً لما اختاره ﷺ لنفسه منها.

وأما الخطأ الذي صدر منهم، والذي دفع النبي ﷺ لاستخدام الحجر معهم، فذكر منها العلماء أموراً عدة: أن النبي ﷺ ذهب إلى زوجته زينب بنت جحش فقدمت له عسلاً، فأكل منه، فعلمت عائشة - رضي الله عنها - بهذا فأخذتها الغيرة، فذهبت إلى حفصة - رضي الله عنها - وكانتا تقومان صفاً واحداً أمام رسول الله، ويتعاونان عليه، فقالت عائشة لحفصة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ أكل عند زينب عسلاً، فإذا جاءك فقولي له: "يا رسول الله إني أجد منك ريح مغاير" والمغاير نبتة رائحتها ليست بذلك، وكان ﷺ يصعب عليه أن يجد منه أحد ريحاً، وكانت رائحته ﷺ المسك دائماً، فقالا له ذلك: فحرّم العسل على نفسه ما دام أنه يسبب هذا الريح.

وقيل: إن حفصة - رضي الله عنها - استأذنته في زيارة أبيها فأذن لها، فلما ذهبت دعا أمته القبطية فوطأها في بيت حفصة، فلما عادت ورأت مارية قالت: يا رسول الله في بيتي من دون نسائك؟ فقال رسول الله ﷺ هي عليّ حرام ولا تذكرني ذلك لأحد، فأفشت السر لعائشة - رضي الله عنها - فغضب لذلك رسول الله ﷺ، فعاتبه ربه ﷻ على التحريم، فأقسم ﷺ ألا يكلمهن شهراً ولا يقرهن، وقيل غير ذلك: أمّن - رضي

الله عنهن - كن يسألنه زيادة النفقة، فعاقبهن بالهجر شهراً من شدة موجدته عليهن، وجلس في مشربة له وهي الغرفة، حتى شاع بين الناس أنه ﷺ طلقهن ونزلت آية التخيير، فخيرهن الله في البقاء معه على الكفاف أو المفارقة فاخترن الله والدار الآخرة.

وذكر ابن حجر - رحمه الله - في ذلك أيضاً: أن النبي ﷺ أهديت له هدية، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه نصيبتها، فلم ترضَ زينب، فزاده مرة أخرى فلم ترضَ مرة أخرى، فقالت عائشة - رضي الله عنها -: لقد أقمأت وجهك ترد عليك الهدية، فقال ﷺ: لأنتن أهون على الله من أن تقمئتي لا أدخل عليكن شهراً، ويحتمل كون مجموع هذه الأشياء كنا سبباً في اعتزله ﷺ وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره، وكثرة صفحه، وأن ذلك لم يقع منه حتى تكرر موجبة منهن - رضي الله عنهن -^(١)

" لقد كانت عقوبة النبي ﷺ لأزواجه من جنس عملهن؛ حيث حرمن من لقائه شهراً كاملاً، بعد أن كن - رضي الله عنهن - ينغصن عليه دقائق معدودات يقضيهن في شربة عسل، وفيما أحل الله له ".^(٢)

وهذا الأسلوب التربوي لم يكن هو الهدي الدائم له في معاملة المخطئ، فقد ثبت أنه لم يهجر أناساً آخرين وهم على معصية، وإنما المناط في ذلك هو تحقيق المصلحة المرجوة من المخطئ، وكونه ﷺ يهجر نساءه شهراً، فإن في ذلك تأديباً لمن وهو من الهجر المشروع إذا دعت الحاجة إليه.

٢- هجر المخطئ لا بتقيّد بزمن معين:

لا يتقيّد هجر المخطئ بفترة زمنية محددة، فقد هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين تخلفوا عن القتال معه في غزوة تبوك خمسين ليلة، حتى تنكرت الأرض لهم فما هي بالتي يعرفونها، وقد هجر النبي ﷺ زوجاته شهراً كاملاً، وهذا كله يترتب على المصلحة المرجوة من الهجر وإفادتها في ردع المخطئ وردّه إلى الطاعة.

(١) فتح الباري، (٩/ ٢٩٠).

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمود العاني، ص ٤٨٢.

وكذلك يتوقف هذا على جرم الخطأ وحجمه، فيستمر الهجر به إلى أن يقلع المهجور عن الشيء الذي هجرته من أجله "ومن اللطائف أن الحكمة في هجر الرسول نساءه شهراً مع أن مشروعية الهجر ثلاثة أيام، أن عدتهن كانت تسعة، فإذا ضربته في ثلاثة كانت سبعة وعشرين، واليومان لمارية؛ لكونها كانت أمة فنقصت عن الحرائر".^(١)

وقد هجر النبي ﷺ أيضاً زينب -رضي الله عنها- حين اعتلّ بعير لصفية بنت حيي وعند زينب فضل ظهر، فطلب منها النبي ﷺ أن تعطي صفية بعيراً، فرفضت وقالت: "أنا أعطي تلك اليهودية"، فهجرها النبي ﷺ شهراً أو ثلاثة لا يأتيها ذو الحجة والمحرم وبعض صفر.^(٢)

٣- لا بد أن يعلم المخطئ فيم هجر؟

لا بد للمربي أن يبين للمخطئ في أي سبب هجره؛ حتى يكون على علم وبينة بخطئه فيتداركه، ويسعى لإصلاحه، ويعلم إنما هُجر بسبب هذا الفعل، وقبل الهجر لا بد أن يوعظ وينصح بما يناسبه من اللين والرفق، ولا يكون هجره أولى الخطوات التي يستخدمها المربي.

قال النووي: "المسلم يعظ المخطئ بما يناسبه بالرفق ويستر عليه، وينهاه برفق، فإن أفاد فيه، وإلا فيهجره قاصداً تأديبه على ذلك، مع إعلامه بالسبب ليكف عن خطئه".^(٣)

ولقد استخدم الصحابة رضوان الله عليهم اقتداءً بالرسول ﷺ هذا الأسلوب في تربية أبنائهم، وفي تقويم الأخطاء التي تصدر من أقاربهم أو أصحابهم، فكانوا يهجرونهم إذا رأوا منهم مخالفة لأوامر النبي ﷺ، أو جدالاً في إتباع ذلك، مبينين لهم السبب في هذا الهجر.

ومن ذلك ما ورد في الصحيح عن عبد الله بن المغفل رضي الله عنه: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ فَقَالَ لَهُ: لَا تَخْذِفْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ — أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الْخَذْفَ — وَقَالَ:

(١) فتح الباري، لابن حجر (٢٩٠/٩).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (١٩٩/٤) كتاب السنة، باب ترك السلام على أهل الأهواء عن سمية عن عائشة رضي الله عنها، وسمية هذه لم تسب تفرد عنها ثابت البناني، انظر: الإصابة، لابن حجر (٧/٧٤٠)، وميزان الاعتدال، للذهبي (٣٢٧/٣).

(٣) فتح الباري (١٠/٤٢٢)، سبل السلام (٤/١٦٦).

تصحيح الخطأ بالفعل

"إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ وَلَا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسَرُ السِّنُّ وَتَفْقَأُ الْعَيْنُ". ثُمَّ رَأَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ فَقَالَ لَهُ أَحَدُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ. أَوْ كَرِهَ الْخَذْفَ، وَأَنْتَ تَخْذِفُ لَا أَكَلَمُكَ كَذَا وَكَذَا^(١) فهجره لأنه خالف هُي النبي ﷺ عن الخذف، والخذف قال العلماء فيه: أن يضع الإنسان حصاة بين السبابة والإبهام، فيضع على الإبهام حصاة يدفعها بالسبابة أو العكس، تكون الحصاة على السبابة ويسدفعها بالإبهام، وعلل له النهي بأنه لا فائدة من فعله فلا يصيد الصيد؛ لأنه ليس له نفود، ولا يدفع العدو؛ لأن العدو إنما يدفع بالسهم لا بهذه الحصاة الصغيرة، إنما يضر فقد يكسر السن أو يفقأ العين، ولهذا لما رآه يخالف قول النبي أكثر من مرة على ما سمع من النهي عن النبي ﷺ هجره.

وكذلك فعل ابن عمر ﷺ ابناً له إلى أن مات؛ لأنه لم ينقد لحديث ذكره عن النبي ﷺ وهو قوله ﷺ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، فقال بلال بن عبد الله بن عمر: "والله لنمنعن"، وذلك لأن النساء تغيرن بعد موت النبي ﷺ، فأقبل عليه عبد الله ﷺ وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعن، ثم هجره ﷺ حتى مات، وإنما فعلا كل منهما ذلك من الهجر بهما مع هُي النبي ﷺ عن الهجر لمدة طويلة، من باب التعزير لئلهما لتركهما الانقياد لأوامر النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٢٠٨٨/٥) كتاب الذبائح والصيد باب الخذف والبنفقة، مسلم في الصحيح (١٥٤٧/٣) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف، وابن ماجه في السنن (٨/١) كتاب اتباع سنة رسول الله ﷺ، باب تعظيم حديث الرسول ﷺ والتغليظ على من عارضه، والنسائي في المجتبى (٤٧/٨) كتاب القسمات، باب دية جنين المرأة.

تصحيح الخطأ بالفعل

٣/٤٣- عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: مَا كَانَ خُلُقُ أَبِغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْكَذِبَةِ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَغْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٢/٦) ومن طريق الإمام أحمد المؤمل بن إيهاب الرملي في جزء المؤمل (٢٦/١) والإمام إسحاق بن راهويه في مسنده (١٥٠/٢)، والترمذي في السنن (١٨٥٠/١) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب رقم/١٩٧٣ من طريق يحيى بن موسى.

وابن حبان في صحيحه (٤٤/١٣) باب ذكر البيان بأن الكذب كان من أبغض الأخلاق إلى رسول الله ﷺ رقم/٥٧٣٦ من طريق محمد بن عبد الملك بن زنجويه .

وفي طبقات المحدثين بأصبهان للشيخ الأصبهاني (١٦٩/٤)

والبيهقي في السنن الكبرى (١٤/٥٢)، وفي شعب الإيمان (٢٠٨/٤) من طريق أحمد بن منصور الرمادي

خمسهم (الإمام أحمد بن حنبل، والمؤمل، والإمام إسحاق ابن راهويه، ومحمد بن عبد الملك، وأحمد الرمادي) عن عبد الرزاق.

وجاء عند الإمام أحمد والبيهقي في الشعب عن ابن أبي مليكة أو غيره بالشك.

وتابع عبد الرزاق فأخرجه البيهقي في شعب الإيمان أيضاً (٢٠٨/٤) من طريق خلف بن أيوب ^(١).

كلاهما (عبد الرزاق، وخلف بن أيوب) عن معمر بن راشد، عن أيوب السخيتاني

وتابع معمر عن أيوب تابعه حماد بن زيد في طبقات المحدثين بأصبهان للشيخ الأصبهاني (١٦٩/٤).

(١) وقال البيهقي بعد ذكر الحديث: قال أبو بكر الرمادي: كان في نسخنا عن عبد الرزاق هذا الحديث عن ابن أبي مليكة أو غيره، فحدثنا عبد الرزاق بغير شك، فقال: عن ابن أبي مليكة ولم يذكر أو غيره.

(معمر، وحماد بن زيد) عن أيوب السخيتاني عن ابن أبي مليكة عن عائشة -رضي الله عنها-.

دراسة الإسناد :

أيوب السخيتاني وهو ابن أبي غنيم، روى عن أنس بن مالك والحسن، وعنه الثوري وشعبة وحماد بن زيد يعد في البصريين، قال شعبة: كان سيد الفقهاء، قال يحيى ابن معين: ثقة لا يُسأل عن مثله، وقال علي بن المديني: ثبت وليس في القوم مثل أيوب.

عن ابن أبي مليكة: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله الإمام الحجة الحافظ، حدث عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- وأختها أسماء وأبي محذورة، وكان عالماً مفتياً، صاحب حديث وإتقان معدود في طبقة عطاء، حدث عنه رفيقه عطاء بن أبي رباح، وحميد الطويل وأيوب السخيتاني ^(١) وثقه أبو زرعة وأبو حاتم.

ومن روا هذا الحديث عن أيوب السخيتاني معمر بن راشد ^(٢)

وعنه عبد الرزاق بن همام الصنعائي الإمام الحافظ المعروف، شيخ اليمن، وأحد الأعلام الثقات، روى عن معمر وابن جريج وخلق كثير، وعنه الأمام أحمد بن حنبل، وابن معين والذهلي وكتب وصنف الجامع الكبير وهو خزنة علم ورحل الناس إليه، قال الدارقطني: ثقة لكنه يخطئ على معمر في أحاديث ^(٣)، وثقه النسائي، وقال في موضع آخر: فيه نظر لمن كتب عنه بأخرة ^(٤). وما حدث من كتابه فهو أصح، قال أحمد: أتينا وهو صحيح البصر، من سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع مات سنة إحدى عشرة ومائتين. ^(٥)

وعنه الإمام أحمد بن حنبل صاحب المسند -رحمه الله-.

(١) سير أعلام النبلاء (٨٨/٥).

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣٤٢/٤).

(٤) الضعفاء والمتروكين للنسائي (٦٩/١).

(٥) طبقات الحفاظ للسيوطي (١٥٨/١).

الحكم على الحديث:

الذي يظهر لي والله أعلم أن الحديث صحيح.

حكم العلماء على الحديث:

قال الترمذي بعد ذكر الحديث: هذا حديث حسن.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وسكت عليه الذهبي في التلخيص، ولكنه قال في

الميزان: يحيى بن سلمة العقبي أنه يحدث بمناكير ثم ساق منها هذا الخبر. ^(١)

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. ^(٢)

الدلالات والفوائد التربوية:

١- هجر المخطئ على الكذب:

الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم، وما ذاك إلا لسوء عواقبه وحيث نتائجه ولذا تجد أن النبي ﷺ كان يحارب الكذب محاربة شديدة بكل أشكاله وأنواعه لأنه يهدي إلى الفجور، وكره ﷺ أن يتخذ الإنسان هذه الصفة مطيةً لسلوكه أو منهجاً لحياته.

ولكثره ضرره وما يترتب عليه من المفساد والفتن كان ﷺ يزجر أصحابه وأهل بيته عن الكذب، وكان إذا رأى من أحد من أهل بيته أو خدمه كذباً هجره بالكلام وقاطعه تأديباً له وزجراً عن العود لمثلها، وما يزال في نفسه منه شيء حتى يرجع إلى صوابه، ويتوب من تلك الكذبة التي كذبها. ^(٣)

حتى إنه ما كان خلق أبغض إليه ﷺ من هذا الخلق الذميم، ولهذا علم الكفار أن أبغض شيء إليه الكذب فكذبوه بما جاء به من عند الله ﷻ ليغيظوه بذلك فيوقفوا بهذا الفعل قبول ما جاء به من الهدى، ولهذا كان النبي ﷺ يكره الكذب ويهجر على الكلمة الواحدة من الكذب المدة الطويلة، وما ذاك إلا لأن الهجر دواء للمخطئ،

(١) انظر: الجامع الصغير للسيوطي (١/٩٤).

(٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة (٥/٨٠).

(٣) انظر: فيض القدير (٥/١٣٥).

ولأن النبي ﷺ علم أن للهجر تأثير بين وواضح في نفس المخطئ، لا سيما إذا ارتكب المخطئ خطأً جسيماً، كالكذب الذي يهدي إلى الفجور ومنه إلى النار -والعياذ بالله- حيث يسبب له هذا الهجر ابتعاد الناس عنه، فلا يعاملونه، ولا يجالسونه، وقد يحذرون الناس منه مما يسبب له عزله عنهم.

ومن الناس من لا ينفع معه إلا هذا الأسلوب ليقطع عن خطأه، ولذلك لا يُصار إلى هذا الأسلوب إلا بعد أن تظهر زلته، ويتضح خطأه ويعظم بالتي هي أحسن، فإن لم يتعظ ولم يجد معه الأساليب العلاجية ووجد المعالج أن هذا هو الأصلح له فيُهجّر المخطئ إلى أن يقلع عن خطأه.

لقد عدّ النبي ﷺ الهجر باباً من أبواب التأديب فهجر أصحابه على الخطأ العظيم، وليس على كل شيء، وأما بعض الناس اليوم -هداهم الله- قد بالغ في الهجر وجعله أسلوباً له في التعامل مع أخطاء إخوانه، والأولى أن لا يكون هذا الأسلوب هو البادرة الأولى من المربي، بل عليه أن يسبقه بأساليب أخرى حتى لا تحصل به الفارقة بين المسلمين ولا يكون لهوى في النفس، ولا لشيء من حظوظها أبداً، وإنما يكون لحق الله تعالى، وألا يصار إليه إلا إذا لم ير من المخطئ انزعاجاً عن الخطأ، ولا تركاً للباطل حينها يهجر كما هجر نبيه ﷺ، وإن كان يزيد من عناد المخطئ فعندها لا يسوغ الهجر، لأنه لا تتحقق به المصلحة، بل تزيد المفسدة، فيكون من الصواب الاستمرار في الوعظ والإحسان والنصح والتذكير، فليس كل أحد ينتفع بهذا الأسلوب.

ومن الشواهد على الهجر أيضاً:

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهْ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُجَيٍّْ وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضَلُّ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَزَيْنَبَ: "أَعْطِيهَا بَعِيرًا"، فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ فَعَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَهَجَّرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ^(١).

أهم النتائج التي يخلص منها البحث:

- يشعر المخطئ بذنبه عندما تمجره الجماعة، وتقاطعه وهذا الشعور يؤدي به إلى تعديل سلوكه.
- الهجر يعطي أفراد الجماعة درساً تربوياً، بأن كل من يقع في الخطأ، فإنه سيقاطع مثل هذا المخطئ، وهذا يعني أن الهجر تربية -أيضاً- غير مباشرة لمعالجة الخطأ.

المبحث الرابع: تأديب المخطئ^(١)

لقد أقرت السنة العقاب البدني كوسيلة من وسائل معالجة الأخطاء إذا توقف العلاج على ذلك، والعقوبة ليست هي أول ما يفكر به المربي الناجح، فالتهويل والموعظة هي المقدمة ثم تتلوها الأساليب الأخرى حسب أهميتها وأولويتها في المعالجة، لكن المربي يجد نفسه في بعض المواقف التربوية مضطراً إلى معالجة بعض الأخطاء بإيقاع الضرب ولو كان خفيفاً أو التهديد به، تأديباً منه للمخطئ، إذا لم تنفع معه بعض الأساليب ولم يكن لها أثراً فعالاً في تهذيب سلوكه وكل هذا لصالحه قبل صالح الآخرين وفيما يأتي وقفت على بعض الأحاديث التي أظهر فيه المربي ﷺ تهديد المخطئ بضربه:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا، أَطْلَعَ مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ إِلَيْهِ بِمَشْقَصٍ أَوْ مَشَاقِصَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْتَلُهُ لِيَطْعَنَهُ. ^(٢)

(١) عنيت بهذا المبحث التأديب بالضرب متى ممارسه المربي؟ وهل استخدمه النبي ﷺ في التربية النبوية؟

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٠٤/٥) كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، والإمام مسلم في الصحيح (١٦٩٩/٣) كتاب الأدب، باب تحريم النظر في بيت غيره، وأبو داود في السنن (٣٤٣/٤) كتاب الأدب، باب في الاستئذان، والترمذي في السنن (٦٤/٥) كتاب الاستئذان، باب من يتحقق في دار قوم بغير إذنه.

٥/٤٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا ، أَطْلَعَ مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ إِلَيْهِ بِمِشْقَصٍ أَوْ مَشَاقِصٍ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْتَلُهُ لِبَطْنُهُ .

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٢/٣) والبخاري في صحيحه (٢٥٣٠/١) كتاب الديات، باب من يتحقق في بيت قوم ففقوا عينه فلا دية له، ومسلم في صحيحه (١/١٦٩٩) كتاب الادب، باب تحريم النظر في بيت غيره، وفي سنن أبي داود (٣٤٣/١) كتاب الأدب، باب في الاستئذان جميعهم من طريق حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- معنى التأديب:

التأديب: نعي به التهذيب والمجازاة، أي أن هذا الفعل يقوم به المربي من أجل تهذيب خلق المتربي، ومجازاته على خطأ فعله، أو عصيان متزايد، أو عمل خير لم يقم به بعد الأمر. والتأديب ليس عملاً انتقامياً من المخطئ، وإنما هدفه تربوي، ووسيلته تربوية، والأصل في معاملة المربي اللين والرحمة، كما يجب قبل التأديب معرفة الدافع للتصرف الخاطئ، وكشف ما في ذهن المخطئ، ومعرفة ما وراء سلوكه والتأني في ذلك، حتى يُعرف الدواء الناجح، فقد لا يجدي العقاب أحياناً، وقد يكون له مردود عكسي، كما أنه ينبغي ألا يلجأ المربي إلى العقوبة إلا في أضيق الحدود، وذلك حين لا تفلح القدوة، ولا الموعظة، فالعقوبة ليست ضرورة لكل شخص، وينبغي ألا تكون أقرب سبيل للمربي، فالموعظة والرفق هي المقدمة، والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب. ^(١)

وكثير من الأساليب التربوية التي استخدمها النبي ﷺ مع المخطئ، كالحجر والإعراض، وإثارة الناس هي من التأديب، فاستخدام المربي للموعظة، أو استغلال الحدث هو من التأديب، وكذا استخدام العقاب إن احتاج الأمر ذلك يُعد من هذا الباب، لكن السائد عند المربين اليوم أو الآباء أن التأديب يعني العقاب بالضرب وهذا فهم ضيق، وينبغي أن

(١) تأديب الطفل من المنظور الإسلامي والتربوي، سامي محمد هشام وأنجاد محمد هشام ص ٤٦.

يفهم المربي أن العملية التأديبية هي عملية تعليمية بالدرجة الأولى، وليست عقابية إلا إذا احتاج الأمر إلى ذلك، وأن التأديب لا يعني الضرب أو العقاب، وإن كان كليهما جزء من التأديب.

٢- تأديب النبي ﷺ للمخطئ:

النبي ﷺ لم يستخدم الضرب للتربية ولا للتعليم، بل استخدم أساليب أخرى للتأديب أجدى وأنجح -وقد سبق بيان الكثير منها- وما ضرب ﷺ بيده الكرمة زوجة ولا طفلاً ولا خادماً، بل كان يربي بالأساليب التربوية المتعددة والنافعة، دون أن يضرب بيده ﷺ، وقد ورد في السنة أنه أمر بضرب الصغير على الصلاة لعشر سنين، لكنه ﷺ جعل هذه الوسيلة بعد مرور ثلاث سنوات من الأمر بها، ولم يجعلها ﷺ الوسيلة الأولى في التربية، فثلاث سنوات من التعليم والتدريب والتشجيع كافية لأن يلتزم الطفل بالصلاة، ويُرمج عليها عقيدة وسلوكاً وعملاً، هذا التكرار الهائل للطفل من حين يبلغ سبع سنوات، إلى سن العشر سنين، يعد كافياً بشكل كبير لالتزام الطفل بهذه الفريضة في الدين، وأي طفل خضع لهذا التكرار في الأمر بالصلاة، في الغالب لا يحتاج للضرب، لكن الحاصل أن بعض المربين يهمل لسنوات تدريب الطفل على الصلاة، ثم إذا كبر ونشأ على ذلك، أمره لفترة فإن لم ينتفع اجتهد في ضربه، والضرب وإن كان عقوبة جائزة شرعاً إلا أنه له ضوابط شديدة حتى يكون وسيلة فاعلة، وقد يستفاد من هذا الحديث السابق أن الضرب قبل عشر سنين غير محبب على أقل تقدير، ويستطيع المربي أن يستبدله بالتوبيخ والزجر والتأديب بالمهرج إلى أن يصل إلى الضرب على أن يجعله نهاية المطاف في العلاج.

وأما في القرآن الكريم فقد أمر الله عز وجل - بتأديب الزوجة بالضرب قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ نَكَحُوا ذُرِّيَّهُمْ فَلَمْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ٢٤﴾

﴿٢٤﴾

(النساء: ٣٤) فجعل الله تعالى الضرب في هذه الآية وسيلة بديلة بعد وسيلتين من أقوى وسائل التأديب وهي العظة والمهرج في المضاجع، ثم جعل الضرب وسيلة أخيرة في التعامل التربوي.

فالمناهج الإسلامي لا يغفل عن هذا الأسلوب التربوي لكنه يوجهه التوجيه الصحيح والسليم وفي وقته المناسب، وبعد التدرج في استخدام الأساليب التربوية على فترات متباعدة، ويتوقع المربي أن هذه التدريجات ممكن أن يصل إليها في يوم أو يومين، أو حتى شهور، ومن خلال هذا الفهم ترى بعض المربين قد بدأ بالضرب مع الطفل وعمره سنتين أو ثلاثة، بحجة أنه قد استفاد معه جميع الوسائل التربوية التي تسبق وسيلة الضرب.

لقد كانت سيرة الرسول ﷺ أنموذجاً رائعاً في التعامل مع المخطفين، والتلطف معهم، وحتى حين يريد تأديبهم فإنه لا يؤدب بالضرب أبداً، لأنه علم ﷺ أن التربية تساوي العطف واللين والرفق، وبالتالي قبول النصح والتعديل.

والنبي ﷺ في هذا الحديث رأى رجلاً يطلع عليه ﷺ من أحد حجراته، فأنبه له فأخذ مشقفاً وهو النصل العريض،^(١) فجعل يسير ﷺ برفق من أجل أن يصل إليه حتى يطعنه بهذا المشقص الذي معه، ليصيب عينه تلك التي حصل منها العدوان ليؤدبه، وليبين ﷺ بالقول والفعل أن على من انتهكت حرماته، وتبعت عوراته أن يدفع الأذى الذي لحقه، بما يردع منتهكي الحرمات، ومتبعي العورات بأخف الوسائل، وإن لم يردع استخدم معه أشدها، وهذا مخصوص بمن تعمد النظر وأما من وقع ذلك منه بلا قصد فلا حرج عليه.

ورغم هذا التصرف منه ﷺ ليؤدب المخطف إلا أنه لم يجزم أحد من الصحابة ﷺ أن النبي ﷺ طعن من أطلع على حرمت منزله ﷺ، أو فقا عينه، مع أنه ﷺ هو الذي شرع هذا من باب تربية الأمة على الغيرة، وحفظ الأعراض، ومن باب تربيتها أيضاً على غض البصر، لكن الذي يظهر لي والله أعلم أن النبي ﷺ عامله في هذا الموقف معاملة الجاهل فعذره لأجل ذلك، لأنه قال الراوي ﷺ في هذه الرواية: "فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْتَلُهُ لِيَطْعَنَهُ"، وجاء في رواية أخرى أن النبي ﷺ علمه الصواب، فقد جاء عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَنَّ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَجُلًا أَطْلَعَ فِي جُحْرِ فِي بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَذْرَى يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعْتُ بِه فِي عَيْنِكَ". وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّمَا جَعَلَ الْإِذْنُ مِنْ

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٤٣)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٣٨)، (عون المعبود (١٤/ ٥٣).

أَجَلِ الْبَصَرِ" ^(١)، فإن حُمِلَ على أنها قصة واحدة فقد علمه النبي ﷺ ما رآه يجهله فقال: "إنما جعل الأذن من أجل البصر" فبيّن له أنه لا بد من الاستئذان، ولا يصح له اختلاس النظر، ولا تتبع عورات الناس.

وهكذا يظهر أن مفهوم التأديب أوسع من مجرد العقاب وإن كان جزءاً منه، وشكلاً من أشكاله.

٣- الطريقة الشائعة للتربية -اليوم- هي الضرب:

الشرع الحكيم لم يجعل وسيلة الضرب مطلقة، بل قيدها بعدة أمور حتى يحفظ لكل نفس بشرية حقوقها، فلا تعني ولاية الوالدين على الأبناء الاعتداء والتجني عليهم، ولأن العقاب بالضرب له سلبيات وخيمة، وله عواقب كما له إيجابيات نذكر فيما هنا أهم أضراره:

- اللجوء إلى الضرب يجعل العلاقة بين المربي والمخطئ علاقة قائمة على الخوف، لا على الاحترام والتقدير.

- الضرب يلغي الحوار والأخذ والعطاء، ويضيع فرص التفاهم، وفهم دوافع سلوكهم ونفسياتهم.

- الضرب يحرم المخطئ من حاجاته النفسية للقبول والطمأنينة.

- الضرب يعطي أ نموذجاً سيئاً للمتربي، ويحرمه من عملية الاقتداء.

- الضرب قد يزيد حدة العناد.

- اللجوء إلى الضرب هو لجوء لأدنى المهارات التربوية، وأقلها نجاحاً.

- التعامل بهذا الأسلوب يعالج ظاهر السلوك، ويغفل أصله لذلك فنتائج الضرب عادةً ما تكون مؤقتة، ولا تدوم عبر الأيام.

- إن الإسراف في الضرب كأسلوب تربوي يجعل من المتعلم إنساناً خاضعاً لا يستطيع التعبير عن آرائه؛ خوفاً من الإتيان بأفعال لا ترضي توقعه تحت عقوبة الضرب، فضلاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٠٤/٥) كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، والإمام مسلم في الصحيح (١٦٩٩/٣) كتاب الأدب، باب تحريم النظر في بيت غيره.

عن أنها تولد لدينا شخصية سلبية جداً، ناهيك عن الآثار التي تصاحبها نفسياً، واجتماعياً، وصحياً. ^(١)

ومن شواهد هذا المبحث:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا، أَتَى بَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَمَ عَيْنَهُ خُصَّاصَةَ الْبَابِ فَبَصُرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَخَّاهُ بِحَدِيدَةٍ أَوْ عُودٍ لِيَفْقَأَ عَيْنَهُ فَلَمَّا أَنْ بَصُرَ انْقَمَعَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ " أَمَا إِنَّكَ لَوُثِّبْتَ لَفَقَاتُ عَيْنِكَ " .

ومما جاء عن السلف الصالح ﷺ في هذا الباب ويندرج تحت التأديب بالضرب في الصحيحين: ^(٢)

- عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَاسْتَسْقَى، فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِقَدَحِ فِضَّةٍ، فَرَمَاهُ بِهِ فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَرْمِهِ إِلَّا أَنِّي نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتِهِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ وَالذَّيْبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَقَالَ: " هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ " . ^(٣)

- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ كُنْتُ مَعَ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ وَمَعَنَا الشَّعْبِيُّ فَحَدَّثَ الشَّعْبِيُّ بِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَكْنَى وَلَا نَفَقَةً ثُمَّ أَخَذَ الْأَسْوَدُ كَفًّا مِنْ حَصَى فَحَصَبَهُ بِهِ . فَقَالَ: وَبِئْسَ تَحَدَّثُ بِمِثْلِ هَذَا قَالَ عُمَرُ: لَا تَتْرُكُ كِتَابَ اللَّهِ وَسَنَةَ نَبِيِّنَا ﷺ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لَا تَذَرِي لَعْلَهَا حَفِظَتْ أَوْ نَسِيَتْ لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ . ^(٤)

(١) جميع ما سبق مستفاد من مجموعة كتب منها تعليم بلا عقاب لمحمود عمار ص ٣٤٩، الأطفال المزعجون

لمصطفى أبو سعد، ص ٢١٤، الضرب والتأديب بين الرضا والتأييد، محمد ضيف الله القرني ١٣٠ وما بعدها.

(٢) ويدخل تحت الضرب رمي المخطئ بأي شيء كان كالحصى ونحوه وقد فعل ذلك بعض السلف كما بينا.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٢١٣٣/٥) كتاب الأشربة، باب الشرب في آتية الذهب.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (١١١٨/٢) كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ولا سكنى .

أهم النتائج التي يخلص منها هذا المبحث:

- التأديب ضرورة تربوية ملحة، وليس عملاً انتقامياً.
- الهدف من الضرب هو التأديب والإصلاح، وليس الإيذاء أو إطفاء نار الغضب.
- التدرج في استعمال الأساليب التربوية، والموازنة بين كل شخص وطبيعته أمر مهم، فشخص تؤدبه الكلمة، وآخر لا يصلح له إلا الضرب.
- الأفضل أن يكون العقاب على قدر ارتكاب الخطأ، ومتناسباً معه، فلا يصح توقيع العقاب الصارم على خطأ بسيط، ولا يصح إهمال العقاب على خطأ جسيم.
- ينبغي على المربي أن يطبق في تأديب المخطئ قاعدة الأسهل فالأسهل.
- يُفترض أن يكون الضرب آخر مراحل التأديب، ويلجأ إليه المربي عندما تفشل الوسائل التربوية الأخرى، فيكون كعلاج أخير ونهائي.

المبحث الخامس: الإعراض عن المخطئ

النبي ﷺ كان له موقف من الخطأ يختلف في كل مرة عن الآخر، مراعيًا في ذلك حال المخطئ، وشخصه، ومكانه، وزمانه، ولهذا تجد أن أساليبه تعددت ﷺ نحو التعامل مع المخطئ، ومن تلك الأساليب أسلوب الإعراض عن الأفراد الذين تظهر منهم الأخطاء، كطريقة منه ﷺ لإشعار المخطئ بعدم الرضا عن السلوك الذي صدر منه.

وكل أسلوب تربوي كان يستخدمه النبي ﷺ مع أصحابه ﷺ أو مع المخطئ منهم خصوصاً يهدف منه ﷺ إصلاح المخطئ وتهذيب سلوكه، ورجوعه بسبب التعامل معه بهذه الطريقة التربوية عن خطئه إلى الصواب.

وهذا الأسلوب - فيما أراه - قريب من أسلوب الحجر التربوي الذي عامل به النبي ﷺ فئة من المخطئين فالإعراض كالحجر تماماً، إلا أن الحجر أشد وأقسى على النفوس، والسيرة النبوية حافلة بما يناسب هذا الأسلوب التربوي من ذلك ما يلي:

١- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَجَاءَتْنا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: أَرْضَعْتُكُمْ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ فُلَانَةَ بِنْتَ فُلَانٍ فَجَاءَتْنا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ لِي: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمْ، وَهِيَ كَاذِبَةٌ. فَأَعْرَضُ، فَأَتَيْتُهُ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ، قُلْتُ: إِنَّهَا كَاذِبَةٌ، قَالَ: "كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمْ؟ دَعَهَا عَنْكَ". وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى يَحْكِي أَيُّوبَ.

٢- عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَسَدِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فَرَأَى قُبَةً مُشْرِفَةً، فَقَالَ: "مَا هَذِهِ"؟ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: هَذِهِ لِفُلَانٍ، رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَسَكَتَ وَحَمَلَهَا فِي نَفْسِهِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ، أَعْرَضَ عَنْهُ، صَنَعَ ذَلِكَ مَرَارًا حَتَّى عَرَفَ الرَّجُلُ الْغَضَبَ فِيهِ وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ! إِنِّي لَأُتَكَبَّرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: خَرَجَ فَرَأَى قُبَّتَكَ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى قُبَّتِهِ فَهَدَمَهَا حَتَّى سَوَّاهَا بِالْأَرْضِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ يَرَهَا، فَقَالَ: "مَا فَعَلْتَ الْقُبَّةُ؟" قَالُوا: شَكَا إِلَيْنَا

صَاحِبُهَا إِعْرَاضَكَ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتَاهُ، فَهَدَمَهَا، فَقَالَ: "أَمَّا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٍ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَا لَا، إِلَّا مَا لَا"، يَعْنِي مَا لَا بُدَّ مِنْهُ .

٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: "إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ".

٤/٤٦ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: أَرْضَعْتُكُمَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ فُلَانَةَ بِنْتَ فُلَانٍ فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ لِي: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، وَهِيَ كَاذِبَةٌ. فَأَعْرَضَ، فَأَتَيْتُهُ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ، قُلْتُ: إِنَّهَا كَاذِبَةٌ، قَالَ: " كَيْفَ بَهَا وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا ؟ دَعُوهَا عَنْكَ ". وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى يَحْكِي أُيُوبَ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٧ / ٤) والدارمي في السنن (٢ / ٢٠٩) كتاب النكاح، باب شهادة المرأة الواحدة على الرضاع رقم / ٥١، والبخاري في صحيحه (١ / ٢١٠) كتاب الشهادات، باب شهادة الإماء والعبيد رقم / ٢٦٥٩.

وفي نفس الكتاب (١ / ٢١٠) باب شهادة المرضعة رقم / ٢٦٦٠، وفي (١ / ١٠) كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله رقم / ٨٨، وفي (١ / ١٦٠) كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات رقم / ٢٠٥٢، وفي كتاب الشهادات أيضاً (١ / ٢٠٨) باب إذا شهد شاهد أو شهود بشيء فقال آخرون: ما علمنا بذلك يحكم بقول من شهد رقم / ٢٦٤٠، وفي سنن أبي داود (١ / ١٤٩٠) كتاب القضاء، باب الشهادة في الرضاع رقم / ٣٦٠٣، من طريق عبد الله بن أبي مليكة.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٧ / ٤)، والبخاري أيضاً (١ / ٤٤١) كتاب النكاح، باب شهادة المرضعة رقم / ٥١٠٤، والترمذي في السنن (١ / ١٧٦٤) كتاب الرضاع، باب ما جاء في شهادة المرأة الواحدة في الرضاع رقم / ١١٥١، والنسائي في السنن الصغرى (١ / ٢٣٠٣) كتاب النكاح، باب الشهادة في الرضاع رقم / ٣٣٣٢ من طريق عبيد بن أبي مريم، كلاهما (عبد الله بن أبي مليكة، وعبيد بن أبي مريم) عن عقبة بن الحارث مرفوعاً.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- إعراض النبي ﷺ عن المخطئ تأديباً له:

عقبة بن الحارث ؓ تزوج أم يحيى بنت إهاب، واسمها غنية بنت أبي إهاب، وقيل زينب ^(١)، ثم إنه قد جاءت أمة من الإماء فأخبرت بأنها أرضعت هذا الرجل، وكذا أرضعت زوجته، فصارا بذلك أخوين من الرضاعة، وأخبرت عقبة ؓ بذلك وكان كالمكذب لها في هذا الأمر؛ لأنه ؓ ما علم بذلك ولا شعر به، ولا سمع بأن له أماً قد أرضعته من قبل أهله، ولا أخبرته هذه المرأة قبل زواجه بزوجه أنها أرضعتها معاً، فكان سبباً له في إنكاره لهذه الحادثة.

" ثم إنه أرسل إلى آل أبي إهاب فسألهم فقالوا: ما علمنا أنها أرضعت صاحبتنا". ^(٢) فذهب إلى النبي ﷺ مسافراً من مكة، وكانت دار إقامته إلى المدينة مستفتياً رسول الله ﷺ في أمره وفي المسألة النازلة فجأة به، ^(٣) وهذا يدل على كمال حرص الصحابة ؓ البالغ في الاحتياط للفروج، وتحريمهم في ذلك غاية التحري؛ خوفاً من الوقوع فيما يغضب الله ﷻ أو يغضب رسوله ﷺ، ويتضح ذلك من رحلته من بلده لهذا الأمر فقط، فإن هذا ليس باليسير في ذلك الزمان.

فلما وصل إلى النبي ﷺ وعرض عليه المسألة، وكان ؓ متهماً للمرأة بأنها تقصد التفريق بينهما، فعند الدارقطني - رحمه الله -: "دخلت امرأة سوداء فسألت فأبطأنا عليها، قالت: تصدقوا عليّ فوالله لقد أرضعتكما جميعاً" ^(٤) فلعله ؓ لهذا كذبها لما ذكر ذلك للنبي ﷺ أعرض ﷺ وتنحى عنه، ثم جاءه من الجهة الأخرى من قبل وجهه

(١) غوامض الأسماء المبهمة، لابن بشكوال (١/ ٤٥٣)، نيل الأوطار، للشوكاني (٧/ ١٢٥).

(٢) أخرج هذا اللفظ الإمام البخاري في صحيحه (٢/ ٩٣٤) كتاب البيوع، باب إذا شهد شاهد أو شهود بشيء فقال آخرون ما علمنا بذلك.

(٣) بوب الإمام البخاري لهذا في كتاب العلم (١/ ٤٥) باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله.

(٤) سنن الدارقطني (٤/ ١٧٧) كتاب الرضاع.

ﷺ يكلمه في أمره ويعيد عليه إنها كاذبة، والنبي ﷺ يعرض عنه إلى أن قال ﷺ: "كيف بما وقد زعمت أنها أرضعتكما، دعها عنك". (١) (٢)

٢- سبب إعراض النبي ﷺ عن عقبة بن الحارث ﷺ في هذا الأمر:

إن إعراض النبي ﷺ بوجهه أكثر من مرة عن عقبة بن الحارث ﷺ لإصراره ﷺ ورغبته الشديدة في استمرار هذا الزواج مع خروج هذه الشهادة من المرأة، وقولها بإرضاعهما معاً، وهو يحاول أن يراجع الرسول ﷺ في هذا الأمر أكثر من مرة وهو يُعرض ﷺ عنه في كل ساعة ولا يرخص له في الأمر.

فكان الأولى منه ﷺ أن يضع احتمالاً لصدقها، وأن يرجح هذا الجانب؛ لأنه الأحوط في مثل هذه الأمور، دفعاً للشبهة والوقوع في المحذور، وألا ينفي الرضاع بعد أن أثبتته المرضعة ولذلك قال ﷺ له: كيف وقد زعمت؟ وقال: دعها عنك. (٣)

فيريده ﷺ أن يقول له: كيف تستسيغ البقاء معها وقد قيل ذلك وزعمته المرأة، فأورث ذلك شبهة كبيرة ليست بهينة، وكانت هذه الشبهة مدعاة للتفريق فيما بينهما، "فأفناه ﷺ بالتحرز عن الشبهة وأمره بمحاربة الريبة خوفاً من الأقدام على فرج قام فيه دليل على أن المرأة أرضعتهم، لكنه لم يكن قاطعاً ولا قوياً لإجماع العلماء على أن شهادة المرأة الواحدة لا تجوز في مثل ذلك، لكن أشار عليه النبي ﷺ بالأحوط". (٤)

وإعراضه عنه ﷺ إما تأديباً له ﷺ بأن يفارق هذه المرأة، وألا يبقى في نكاحها، أو تعظيماً لهذا الأمر الذي يراجع النبي ﷺ فيه، ولخطورته يعرض عنه طلباً منه الكف والتوقف عن المراجعة فيه وتكرار تكذيب المرأة منه ﷺ، أو يكون هذا الإعراض منه ﷺ لبيان شناعة هذا الأمر الذي يطلبه.

(١) هي رواية الباب سبق تخريجها راجع ص ١٩٧.

(٢) انظر شرح الحديث بكامله في: فتح الباري (٥/ ٢٥١)، تحفة الأحوذى (٤/ ٣١٣).

(٣) هو حديث الباب، راجع التخريج ص ١٩٧.

(٤) عمدة القارئ (٣/ ١٤١).

"وفي الحديث جواز إعراض المفتي لينتبه المستفتي إلى أن الحكم فيما سأل عنه الكف عنه، وجواز تكرار السؤال لمن لم يفهم المراد والسؤال عن السبب المقتضي لرفع النكاح".^(١)

(١) فتح الباري (٥/٢٦٩).

٤٧/٤ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَسَدِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فَرَأَى قُبَّةً مُشْرِفَةً، فَقَالَ: " مَا هَذِهِ " ؟ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: هَذِهِ لِفُلَانٍ، رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَسَكَتَ وَحَمَلَهَا فِي نَفْسِهِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ، أَعْرَضَ عَنْهُ، صَنَعَ ذَلِكَ مِرَارًا حَتَّى عَرَفَ الرَّجُلُ الْغَضَبَ فِيهِ وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ ! إِنِّي لَأُتَكَبَّرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالُوا: خَرَجَ فَرَأَى قُبَّتَكَ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى قُبَّتِهِ فَهَدَمَهَا حَتَّى سَوَّاهَا بِالْأَرْضِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ يَرَهَا، فَقَالَ: " مَا فَعَلْتَ الْقُبَّةُ؟ " قَالُوا: شَكَا إِلَيْنَا صَاحِبُهَا إِعْرَاضَكَ عَنْهُ، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَهَدَمَهَا، فَقَالَ: " أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَنَى عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَا لَا، إِلَّا مَا لَا، " يَغْنِي مَا لَا بُدَّ مِنْهُ .

التخريج:

هذا الحديث له عدة طرق عن أنس أما الأولى:

(زهير بن أبي معاوية عن عثمان بن حكيم، عن إبراهيم بن محمد بن حاطب، عن أبي طلحة عن أنس).^(١)

أخرجه أبو داود في السنن (١/ ١٦٠٥) كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء رقم/ ٥٢٣٧، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٤٤٦) رقم/ ٨٠٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٩٠)، وفي الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٧/ ٢٩٢)، وتهذيب الكمال للمزي (٣٣/ ٤٣٩) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس.

وأخرجه أبو يعلى في المسند (٧/ ٣٠٨) رقم/ ٤٣٤٧، من طريق الفضل بن دكين.

كلاهما (أحمد بن يونس، والفضل) عن زهير بن معاوية به .

وتوبع إبراهيم بن محمد بن حاطب.

فأخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٢٠) رقم/ ١٣٣٢٥ بذكر القصة مختصرة، والبخاري في الكنى (١/ ٤٥)، وابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل (١/ ٢٣٠)،

(١) وهي رواية الباب التي اعتمدها في هذا البحث .

والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٠ / ٧) رقم/١٠٧٠٥، من طريق شريك عن عبد الملك بن عمير.

كلاهما (إبراهيم بن محمد بن حاطب القرشي، وعبد الملك بن عمير) عن أبي طلحة الأسدي به.

وهذا الحديث من هذه الطريق قال عنه الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: ورجاله موثقون إلا الراوي عن أنس وهو أبو طلحة غير معروف. ^(١)

حكم الحديث:

الذي يظهر لي والله أعلم أن الحديث من هذه الطريق صحيح.

حكم العلماء على الحديث من هذه الطريق:

قال العراقي: إسناده جيد. ^(٢)

وقال الألباني فيه: حسنٌ صحيح. ^(٣)

وجاء من طريق ثانية:

(عن الوليد بن مسلم عن عيسى بن عبد الأعلى بن أبي فروة، عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس رضي الله عنه).

أخرجها ابن ماجه في السنن (٢٧٣٠ / ١) كتاب الزهد، باب في البناء والخراب رقم/ ٤١٦١، من طريق العباس بن عثمان الدمشقي بزيادة " إنه وضعها لما بلغه عنك فقال ﷺ : يرحمه الله ، يرحمه الله " .

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٥٩/٣)، ومن طريقه المقدسي في الأحاديث المختارة (٣٧٠ / ٤) من طريق مهدي بن جعفر الرملي.

(١) انظر: فتح الباري (٩٣/١١).

(٢) تخريج أحاديث الإحياء (٢٥/٩).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢ / ٢).

تصحيح الخطأ بالفعل

كلاهما (العباس الدمشقي، ومهدي بن جعفر الرملي) عن الوليد بن مسلم عن عبد الأعلى بن أبي فروة، وعند ابن ماجه قال عن عيسى بن عبد الأعلى بن أبي فروة به، فيما أن يكون الخطأ في اسم هذا الراوي من الوليد أو من العباس شيخ ابن ماجه.

وقال الألباني -رحمه الله-: "وتسمية الرملي لشيخ الوليد (عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة) أرجح عندي من تسمية العباس إياه؛ لأنه هو المعروف بروايته عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وعنه الوليد، ولذلك أخرجه الضياء في المختارة" (١).

حكم العلماء على هذه الطريق:

قال الطبراني حين إirاده: "لم يرو هذا الحديث عن إسحاق إلا عبد الأعلى بن أبي فروة، تفرد به الوليد، هذه الطريق قال الهيثمي عنها بعد ذكر الحديث: رجاله ثقات. (٢)
وقال الألباني: صحيح لغيره (٣).

والطريق الثالثة:

(عن عطاء بن جبلة، عن الأعمش عن زيد بن وهب عن أنس ؓ).

أخرجها أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١٥٤) رقم/ ٤٦٩، والمقدسي في المختارة (٦/ ١٤٠) رقم/ ٢١٣٧ بلفظ: "لمن هذه القبة؟ قلت لفلان الأنصاري، فقال: يا أنس ليس من بناء بينيه عبد إلا كان عليه وبالأ يوم القيامة ... وفيه زيادة يرحمه الله"، وقال المقدسي بعده: وعطاء بن جبلة هذا قال الرازي: هو لين. (٤)

الطريق الرابعة:

(عن ابن أبي خالد عمّن حدثه عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك ؓ)

(١) السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٢٩).

(٢) مجمع الزوائد (٤/ ٧٠).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٢).

(٤) انظر ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٣٣١) رقم/ ١٨٤٢، وفي الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ١٧٦) رقم/ ٢٣٠٥.

أخرجها ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (١/ ٢٨٠) رقم/٢٧٥، حدثنا المحاربي عن ابن أبي خالد به.

وابن أبي خالد هو إسماعيل " هذا إسناد رجاله ثقات غير الذي لم يسم، والمحاربي هو عبد الرحمن بن محمد رمي بالتدليس ".^(١)

الطريق الخامسة:

(عن محمد بن أبي زكريا عن عمار عن أنس رضي الله عنه).

ولم أجد من خرَّجها سوى ابن حجر في المطالب العالية (٩/ ٣٣٣) من طريق مروان بن معاوية عن محمد بن أبي زكريا به بلفظ: " ما فعلت القبة؟ قلت: بلغ صاحبها قولك فكسرها قال: غفر الله له " وأشار إليها البوصيري في إتحاف المهرة (٧/ ١٥٩) باب ما جاء في البناء وغير ذلك مما يذكر، وقال: رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر بسند ضعيف لجهالة محمد بن زكريا.

الحكم على الحديث:

الطريق الثالثة ففيها عطاء بن جيلة وهو ضعيف.

وأما الطريق الرابعة فهي ضعيفة، لوجود راوي رمي بالتدليس، وهو محمد المحاربي إلا أن يصرح بالسماع في رواية أخرى.

أما الطريق الخامسة: ففيها رجل مجهول الحال وهو محمد بن زكريا فهي ضعيفة.

ولأن ضعفها ليش بشديد، فلعل بعضها يتقوى ببعض.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- الإعراض عن المخطئ بهدف التغيير:

(١) التبيين لأسماء المدلسين (١/ ١٥٣).

لا شك أن "الإعراض عن المخطئ حتى يعود عن خطئه أسلوب تربوي مفيد، ولكن لكي يكون نافعاً لا بد أن يكون المعرض له مكانة في نفس المخطئ، وإلا فلن يكون لهذا الفعل أثر إيجابي عليه، بل ربما شعر أنه قد استراح".^(١)

والنبي ﷺ على حبه لصحابته ﷺ ومكانته عندهم كان يهجرهم ويعرض عنهم حين يرى الخطأ يبدو من أحدهم حتى يغير صاحبه ما فعل، ويصلح ما أفسد، وهذا النوع من الإعراض استخدمه النبي ﷺ مع بعض المخطئين من صحابته ﷺ.

فقد خرج النبي ﷺ يوماً فرأى قبة عالية فسأل أصحابه ﷺ عنها كعادته ﷺ في الاستفسار والسؤال حين رؤية الخطأ عنه أو عن صاحب الخطأ حيث قال: ما هذه؟ استفهام إنكاري منه ﷺ والمعنى: ما هذه العمارة المنكرة ومنَ بانيها؟ فقال له أصحابه: لفلان رجل من الأنصار، فحملها عليه النبي ﷺ في نفسه، وأضرها غضباً على فعلته.

فجاء صاحبها فسلم في الناس على النبي ﷺ أي في محضر منهم أو فيما بينهم، فلم يرد عليه ﷺ، ولم يجد منه انبساطاً ولا كلاماً إنما وجد منه إعراضاً وعدم التفات إليه وجفوة شديدة، صنع ذلك مراراً تأديباً له وتنبيهاً لغيره، حتى تأثر هذا الرجل مما يجد من النبي ﷺ لكنه كان لا يعرف له سبباً.

فسأل بعض أصحابه الخالص أو أصحاب نبيه ﷺ عن إعراض النبي ﷺ عنه، ولم يكن يعهد ذلك منه ﷺ فأخبروه بأمر القبة وسؤاله عنها، فرجع الرجل إلى قبته فهدمها وسواها بالأرض اختياراً لرضا الله ﷻ على نفسه وما قواه، حتى افتقد النبي ﷺ القبة فسأل عنها ما فعلت القبة؟^(٢) فأخبره الصحابة بهدم المخطئ لها مما رأى من أثر ذلك الإعراض والغضب والكرهية لفعله.

هنا بين النبي ﷺ سبب إعراضه، وهو إنما كان لضرر ذلك على صاحبه، فإنه يكون عليه وبالأحرى أي عذاباً في الآخرة وثقلاً، وأراد ﷺ ما بناه للتفاخر والتنعيم فوق

(١) الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس ص ٨٢ .

(٢) هي رواية الباب سبق تحريجها، راجع ص ٢٠١ .

الحاجة، ولعل هذا الفعل من الرجل هو الذي فهمه النبي ﷺ؛ حيث اتخذ قبة وجعلها مشرفة عالية، فكان في هذا الفعل ما يُشعر بالتكبر والترفع عن الناس، وهذا من الصفات غير الحميدة، ولم يقصد ﷺ أبنية الخير من المساجد والمدارس والرباطات، فإنها من الآخرة، وكذا ما لا بد منه للرجل مما يمكنه من البرد والحر والعدو. ^(١)

(١) عون المعبود (١٠٠/١٤) ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧٨/١٥).

٤/٤٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: " إِنَّكَ جِنْتِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ " .

التخريج :

أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٥٢) رقم/ ١٠٢٢، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٢٨٩) من طريق الليث .

وابن وهب في الجامع (٢/ ٨٩) باب في الجلوس إلى القاص، ومن طريقه الإمام أحمد في المسند (٢٢/ ٢٣١) والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٤٤٨) رقم/ ٩٥٠١ باب ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الذهب والاختلاف فيه على قتادة ، وفي سنن المجتبي كتاب الزينة (١/ ٢٤١٨) من السنن، باب تحريم الذهب على الرجال رقم/ ٥١٩١ ، وكذا في باب حديث أبي هريرة والاختلاف على قتادة (٨/ ١٧٠)، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٣٠١)، الدارقطني في المؤتلف والمختلف (١/ ٣٣) جميعهم من طريق ابن وهب .
كلاهما (الليث وابن وهب) عن عمرو بن الحارث عن بكر بن سودة عن أبي النجيب به.

وجاء عمرو بن الحارث في رواية الدارقطني مقروناً بعبد الله بن لهيعة.

دراسة الإسناد:

عمرو بن الحارث بن يعقوب مولى الأنصار سمع عمارة والزهرى، وعنه الليث بن سعد وابن وهب، وثقه ابن معين، وقال ابن أبي حاتم: عمرو بن الحارث أحفظ وأتقن من ابن لهيعة، وقال أبو زرعة: مصري ثقة. ^(١)

عن بكر بن سودة الجذامي روى عن عبد الرحمن بن جبير، وسهل بن سعد وعنه عمرو بن الحارث، وابن لهيعة، قال ابن أبي حاتم: لا بأس به، وثقه يحيى بن معين. ^(٢)

(١) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٥).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٨٦).

عن أبي النجيب: العامري السرخسي المصري، روى عن أبي سعيد وابن عمر، وعنه بكر بن سواده، كان أحد الفقهاء في أيامه، ذكره ابن حبان في الثقات. ^(١)

عن أبي سعيد الخدري صحابي جليل.

ومن روا هذا الحديث عن عمرو بن الحارث، الإمام الليث روى عن الزهري وعطاء، وعنه ابن وهب، وأبو صالح كاتب الليث، قال الإمام أحمد: الليث بن سعد كثير العلم صحيح الحديث، ووثقه يحيى بن معين، وقال ابن المديني: ثبت. ^(٢)

عنه عبد الله بن صالح هو أبو صالح كاتب الليث بن سعد، روى عن الليث ومعاوية بن صالح، قال يحيى بن معين: أقل أحوال عبد الله بن صالح كاتب الليث أنه قرأ هذه الكتب على الليث وأجازها له، وعن أن أبي حاتم قال: سألت أبي فقال: صالح كاتب الليث مصري صدوق أمين، وقال مرة أخرى: كان أول أمره متمسكاً ثم أفسد بآخرة. ^(٣)

حكم الحديث:

الذي يظهر أنه صحيح والله أعلم.

حكم العلماء على الحديث:

قال الألباني: هو صحيح. ^(٤)

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - الإعراض عن المخطئ عقوبة معنوية له:

"إن الإعراض بالوجه عقوبة قاسية عند البعض لا يحتملها وجدانه، لا سيما إذا صدرت ممن له مكانة كبيرة في القلب والوجدان؛ إذ التلميذ المخلص لا يحتمل إعراض أستاذه ومربيه وقودته عنه، فإذا حصل ذلك منه فإنه سرعان ما يستدرك

(١) تهذيب التهذيب (٢٧٨/١٢).

(٢) الجرح والتعديل (١٧٩/٧).

(٣) المرجع السابق (٨٧/٥).

(٤) صحيح وضعيف النسائي (١٠٣/١) وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٦/٢) قال رحمه الله: هو صحيح لغيره.

خطأه ويصحح سلوكه، والنبي ﷺ الذي كان يحبه أصحابه أكثر من أنفسهم. استخدم هذا الأسلوب في تربية أصحابه وإعدادهم وتوجيههم، وكان هذا الأسلوب ذا أثر كبير وفعل في سرعة تدارك الخطأ وفعل الصواب". (١)

ويعتبر الإعراض - أيضاً - عقوبة من العقوبات المعنوية، ووسيلة تأديبية زاجرة لمن يرى عليه خطأ، سواء أكان ذلك الخطأ منه متعمداً، أو يدل على تقصيره وتفريطه في حكم محرم من أحكام الدين الخفيف، حتى لا يكرر ذلك الخطأ ويعود إليه مرة أخرى، وحتى يتعظ به غيره.

وكل منه ﷺ ذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٣)

وفي السنة أحاديث واضحة وصریحة وظاهرة في تحريم الذهب على المذكور لمجرد اللبس، "ووجه ذلك أن الذهب من أغلى ما يتحمل به الإنسان فهو زينة وحلية، والرجل ليس مقصوداً لهذا الأمر؛ لأنه ليس إنساناً يكتمل بغيره بل هو كامل برجولته وليس كالمرأة في ذلك فإنها لنقصاتها تحتاج إلى ما يكمل جمالها، ولذلك تنزين بالذهب". (٢)

أما الرجل فيحرم عليه ذلك، فتراه لأجل هذا أنكر ﷺ على الرجل الذي جاءه من نجران وفي يده خاتم من ذهب، وكانت طريقة إنكاره بالإعراض عنه وعدم المبالاة به، وأثر هذا الأسلوب في المخطئ تأثيراً بالغاً، حتى إذا عاد من خطئه وأخبره به النبي ﷺ طلب منه أن يعذره عند أصحابه لكي لا يتوقعون أن ذلك الإعراض الذي رآوه منه ﷺ بسبب سوء فيه، فجاء عند رواية أحمد: "فقلت: يا رسول الله أعذرتني في

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، محمود زياد العاني، ص ٤٦٨.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١١ / ٦٠).

أصحابك لا يظنون أنك سخطت علي بشيء فقام رسول الله ﷺ فعذره وأخبر أن الذي كان منه إنما كان لحائمه الذهب". (١)

والشواهد على هذا الأسلوب كثيرة نعدد ما بقي منها فيما يخص الخطأ اكتفاء بما سبق:

- عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَحْمَرَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدِّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ. (٢)

- عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُيَيْنٍ، عَنْ حُرَيْثِ بْنِ الْأُبَيْحِ السَّلِيلِيِّ: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ قَالَتْ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ زَيْنَبَ امْرَأَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَصْبُغُ ثِيَابًا لَهَا بِمَغْرَةٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْمَغْرَةَ رَجَعَ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ زَيْنَبُ عَلِمَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَرِهَ مَا فَعَلَتْ، فَأَخَذَتْ فَعَسَلَتْ ثِيَابَهَا وَوَارَتْ كُلَّ حُمْرَةٍ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ فَاطَّلَعَ، فَلَمَّا لَمْ يَرَ شَيْئًا دَخَلَ. (٣)

- عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَفَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ "أَلَا تُصَلِّيَانِ؟" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثْنَا، فَانصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلِّ يَضْرِبُ فَحِذَّهُ وَهُوَ يَقُولُ: "وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا" (الكهف: ٥٤). (٤)

- عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِي لَيْلًا وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ فَخَلَقُونِي بِرَغْفَرَانٍ، فَغَدَوْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ وَلَمْ يُرَحِّبْ بِي فَقَالَ: "أَذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنكَ"، فَذَهَبْتُ فَعَسَلْتُهُ ثُمَّ جِئْتُ وَقَدْ بَقِيَ عَلَى مَنْهُ

(١) مسند الإمام أحمد (٢٢ / ٢٣١).

(٢) سنن أبي داود (١٥٢٠ / ١) كتاب اللباس، باب في الحمرة رقم/٤٠٦٩.

(٣) سنن أبي داود (١٥٢٠ / ١) كتاب اللباس، باب في الحمرة رقم/٤٠٧١.

(٤) صحيح البخاري (٣٧٩ / ١) كتاب التهجيد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل بإيجاب وطريق النبي ﷺ فاطمة وعلي عليهما السلام ليلة للصلاة، وكذا في (١٧٥١ / ٤) كتاب التفسير، باب وكان الإنسان أكثر شي جدلا.

رَذَعُ فَسَلَّمْتُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ وَلَمْ يُرَحِّبْ بِي وَقَالَ: " اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ
 "، فَذَهَبْتُ فَعَسَلْتُهُ ثُمَّ جِئْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَقَالَ: " إِنَّ
 الْمَلَائِكَةَ لَا تَحْضُرُ جَنَازَةَ الْكَافِرِ بِخَيْرٍ وَلَا الْمُتَضَمِّنُ بِالرَّعْفَرَانِ وَلَا الْجُنُبَ "
 قَالَ وَرَخَّصَ لِلْجُنُبِ إِذَا نَامَ أَوْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ أَنْ يَتَوَضَّأَ .^(١)

أهم النتائج التي يخلص منها هذا البحث:

- الإعراض عن المخطئ أسلوب تربوي مفيد بشرط ألا يطول ذلك من المربي.
- قد تكون العقوبات المعنوية أشد وأقسى على المخطئ من العقوبة الجسدية،
 ولذلك في كثير من الأحيان تكون كافية في الردع عن الخطأ.

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٧٩/٤) كتاب الترجل، باب في الخلق للرجال.

المبحث السادس: إثارة الناس على المخطئ

تتنوع الأخطاء وتتنوع تبعاً لذلك أساليب المعالجة فيها، ففي موقف يحتاج المربي فيه إلى أن يعاتب المخطئ ويكتفي به عن اللوم، وفي آخر يشتد الإنكار على صاحب الخطأ، بينما في بعض من المواقف يحتاج المربي إلى الستر على المخطئ والتلميح بالفاعل لفوائد تربوية مهمة سبقت الإشارة إليها. ^(١)

ذلك أن الستر على المخطئ من أهم وأعظم أسباب قبول النصح حتى باتت "ما بال أقوام" "وما بال رجال" وصفاً غالباً لهدي النبي ﷺ في معالجته لبعض الأخطاء، إلا أنه - أحياناً - قد يحتاج المربي إلى التشهير بالمخطئ أمام الناس.

وهذا الأسلوب من الأساليب التربوية التي تعد أحد عوامل الردع والزجر للمخطئ، كما لو كان الضرر فيه متعدداً إلى غيره، فيشهر به ليرتدع ويعود عن خطئه، وبما أن التشهير بالمخطئ له أبعاده السلبية ينبغي أن "يكون في أحوال معينة، وأن يوزن وزناً دقيقاً حتى لا تكون له مضاعفات سلبية" ^(٢) وله من الأمثلة في السنة ما يأتي:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ: " اذْهَبْ فَاصْبِرْ"، فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: " اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ "، فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ، فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ .

(١) راجع مبحث التلميح في الفصل الأول ص ٢٤ .

(٢) الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس ص ٥٨ .

٦/٤٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ: " اذْهَبْ فَاصْبِرْ "، فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: " اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ "، فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ، فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تُكْرَهُهُ .

التخريج:

أخرجه أبو داود في السنن (١٦٠٠/١) كتاب الأدب، باب حق الجوار رقم/٥١٥٣ وأبو يعلى في المسند (٥٠٦/١١)، ومن طريقه ابن حبان في صحيحه (٢٧٨/٢) باب ذكر ما يجب على المرء من التصبر على أذى الجيران، من طريق أبي خالد الأحمر "سليمان بن حيان".

والبخاري في الأدب المفرد (١٩٣/١) رقم/١٢٤ والحاكم في المستدرک على الصحيحين (١٨٣/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٧/٧) من طريق صفوان بن عيسى.

كلاهما (أبو خالد الأحمر، وصفوان بن عيسى) عن محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

دراسة الأسناد:

محمد ابن عجلان المدني مولى فاطمة بنت عتبة، روى عن عكرمة وأباه وعنه الثوري ومالك بن أنس، وثقه ابن عيينة وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وأبو زرعة. ^(١)

عن عجلان والده، مولى فاطمة بنت عتبة، سمع أبا هريرة، وفاطمة بنت عتبة، وعنه ابنه محمد بن عجلان، وبكير بن عبد الله ^(٢)، ذكره ابن حبان في الثقات ^(٣) قال

(١) التاريخ الكبير (١٩٦/١)، والجرح والتعديل (٤٩/٨).

(٢) التاريخ الكبير (١٨٨/٥)

(٣) الثقات (٢٢٧/٥).

النسائي: لا بأس به، وقال ابن حجر: في التقريب: لا بأس به من الرابعة^(١)، استشهد به البخاري في الصحيح والأدب، والباقون^(٢).

وأبو هريرة رضي الله عنه صحابي معروف.

ورواه عن محمد ابن عجلان سليمان بن حيان أبو خالد الأحمر الأزدي الجعفري الكوفي، الحافظ الصدوق، حدث عن سليمان التيمي، وهشام بن عروة، وحيد الطويل، وعنه الإمام أحمد، وإسحاق بن راهوية، وثقه جماعة، وقال ابن أبي حاتم: صدوق، ووثقه جماعة، وقال يحيى بن معين: صدوق وليس بحجة وحده.^(٣)

وعنه الربيع بن نافع أبو توبة، شيخ طرسوس ومحدثها، حدث عن أبي معاوية وابن المبارك وخلق، وعنه أبو داود وأخرج له الشيخان عن رجل، والدارمي وأحمد بن حنبل قال أبو حاتم: ثقة حجة، وقال أبو داود: كان يحفظ الطوال.^(٤)

حكم الحديث:

صحيح فيما يظهر والله أعلم.

حكم العلماء على الحديث:

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.^(٥)

وله شاهد عند الطبراني في المعجم الكبير عن أبي جحيفة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، يشكو جاره فقال: اطرَح متاعك على الطريق، فطرَحَه فجعل الناس يمرون عليه، ويلعنونه فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من

(١) تهذيب التهذيب (١٤٧/٧)، وتقريب التهذيب (٣٨٧/١).

(٢) تهذيب الكمال للمزي (٦١٥ / ١٩).

(٣) تذكرة الحفاظ (٢٧٢/١)، وسير أعلام النبلاء (١٩/٩).

(٤) المرجع السابق (٤٧٢/٢).

(٥) صحيح وضعيف أبي داود، للشيخ الألباني (٢/١)، وكذا في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٥ / ٢).

الناس، قال: وما لقيت منهم، قال: يلعنوني قال: قد لعنك الله قبل الناس، قال: فإني لا أعود، فجاء الذي شكاه إلى النبي ﷺ فقال: ارفع متاعك فقد كفيت".^(١)

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - إثارة الناس على المخطئ ليرتدع ويرجع:

إن حقوق الجار متعددة وكثيرة كان النبي ﷺ كثيراً ما يحث عليها ويوصي بها، وقد حذر ﷺ من أذى الجار بأي صورة من الصور التي تؤدي إلى ضرره، ولهذا لما شكى رجل للنبي ﷺ مما يلقاه من أذية جاره، أمره بالصر على إيذائه، ثم أتاه مرتين وأخرى، فأرشده ﷺ إلى علاج مفيد له وللمخطئ .

لما تكررت الشكاية وتكررت الأذية أمره أن يلقي متاعه في قارعة الطريق ليراه الناس، فامثل الرجل لأمر النبي ﷺ وأنزل متاعه، فجعل الناس يمرون به لما طرح متاعه، ويسألونه ما بك؟ لماذا وضعت متاعك في الطريق؟ فيقول إن جاره مؤذ له، وإن النبي ﷺ أمره بذلك فجعل الناس يسبون ويدعون على هذا الجار المخطئ ويقولون فعل الله به وفعل كناية عن سخطهم عليهم لما فعله بجاره، وتعالى اللعنات على جار السوء حتى تأذى المخطئ، بما سمع وتألم لما جاءه من تطاول ألسنة الناس عليه، وعاد إلى جاره يطلب منه أن يعود إلى بيته واعدأ إياه ألا يرى منه بعد هذا اليوم ما يكره أبداً.

فبعض الناس قد يُتلى بجار سوء يعز علاجه، ويتعذر إصلاحه، ولا يخاف من الله ﷻ وإنما يخاف من الناس، ومن الرأي العام، ومن افتضاحه أمامهم، وهذا الذي نبه النبي ﷺ الرجل عليه ليتخلص من أذية جاره.

ويعد هذا التصرف منه ﷺ وسيلة مهمة عملية نبه عليها الصحابي لتكون درساً عملياً يشترك المجتمع بأكمله في تأديب هذا الرجل، ألا وهي الضغط الاجتماعي على المخطئ، وإثارة الناس عليه لرفع الضرر الحاصل منه على غيره، ويعتبر الضغط الاجتماعي من الوسائل المهمة التي تسهم في علاج بعض المشكلات العامة، وقل

(١) المعجم الكبير (٢٢ / ١٣٤) .

مثل ذلك في المشكلات الأسرية، خاصة إذا كان المخطئ يراعي شعور الآخرين، ويقدر الرأي العام، ويحرص على الحفاظ على سمعته بين الناس، ويخاف أن يظهر لهم ما يعيب صورته أمامهم.

"فالإنسان بطبيعته يشعر بالأمن كلما توافق مع معايير وقيم جماعته التي يعيش فيها".^(١)

ومن المعهود - أيضاً - أن بعض الناس قد تثيرهم الفضائل ذاتياً، ولكونهم يتعاشون في مجتمع يتعاملون معه، يولون اهتماماً بالرأي العام ورضا الناس عنهم، واحترامهم وتقديرهم لهم، ومن ثم لا يتحملون إطلاق الألسنة عليهم بالنقد والذم، أو احتقار سلوكهم وتصرفاتهم وبالتالي ينصاعون للرأي العام.^(٢)

ولهذا جعله النبي ﷺ يستغل هذا الأمر مع المخطئ، مع مبالغة الرجل في إيذاء جاره وتكرار ذلك منه.

فمثل هذه الوسيلة يستخدمها الربّي في أحوال معينة وفي حالات نادرة لخطورة أمر التشهير والفضيحة، وإلا فالستر والأسلوب غير المباشر في التربية هو الأولى والأفضل في الغالب وأدعى في ردع المخطئ وأحفظ لماء وجهه.

ولعل الأصل في هذا الأسلوب التربوي هو قول الله تعالى: ﴿لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ (النساء: ١٤٨) .

قيل إنها: إنما نزلت في الرجل يظلم الرجل فيجوز للمظلوم أن يذكره بما ظلمه، وله أن يتكلم فيمن ظلمه بقدر مظلمته له دون افتراء عليه أو زيادة، فهنا يجوز إعلان الظلم ممن وقع عليه والجهر به، ويجوز له أن ينتصر لنفسه إذا كان الجهر بهذا يترتب عليه إنكار المنكر، أو دفع ظلم كما ذكرت الآية، أو الحد من تعدي الظالم على المظلوم، ورجوعه عن ظلمه، والتزامه الطريق الصحيح، اللهم إن كان الجهر

(١) المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، محمد غيث ص ٧٨.

(٢) انظر: فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، أحمد رجب الأسمر ص ٤٥٥.

بالظلم يؤدي إلى مفسدة عظيمة، قد تعود على المجتمع أو تلحق بالمظلوم أكثر مما سبق عليه، فإن المنع من الجهر بالسوء أولى لدفع المفاصد المترتبة على ذلك. ^(١)

ومن الشواهد الدالة على هذا المبحث:

- عَنْ سَمُرَةَ بِنْتِ جُنْدُبٍ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ عَصْدُ مِنْ نَخْلٍ فِي حَائِطِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: وَمَعَ الرَّجُلِ أَهْلُهُ، قَالَ: فَكَانَ سَمُرَةُ يَدْخُلُ إِلَى نَخْلِهِ فَيَتَأَذَّى بِهِ وَيَشْقُ عَلَيْهِ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْعَهُ، فَأَبَى، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُنَاقِلَهُ، فَأَبَى، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبْعَهُ، فَأَبَى، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُنَاقِلَهُ، فَأَبَى، قَالَ: " فَهَبْ لَهُ وَلَكَ كَذَا وَكَذَا " أَمْرًا رَغِبَ فِيهِ، فَأَبَى، فَقَالَ: " أَنْتَ مُضَارٌّ "، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِيِّ: " اذْهَبْ فَأَقْلَعْ نَخْلَهُ " ^(٢).

النتائج التي يخلص منها هذا المبحث:

- معاملة المخطئ الذي يقع في خطأ فردي تختلف عمن يكون خطئه متعدي على الآخرين.
- النبي ﷺ عامل هذا الرجل بهذا النوع من الأسلوب لما تكرر منه الخطأ، وتكررت عليه الشكاية من المخطئ عليه، وهذا لا بد أن يكون له اعتباره عند المرء، فيفرق بين من يكرر الخطأ وبين من يقع فيه لمرة واحدة.

(١) انظر تفسير الآية عند الطبري (١/٦)، وكذا في تفسير القرطبي (١/٦).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (٣/٣١٥) كتاب القضاء، باب في القضاء .

المبحث السابع: الإصلاح بين المخطئين .

إن الصلح بين الناس من أفضل الأعمال الصالحة ومن أجله قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)

"ويتأكد مع من هم أقرب صلة فيما بينهما، فالصلح بين الأب وابنه أفضل من الصلح بين الرجل وصاحبه، والصلح بين الأخ وأخيه أفضل من الصلح بين العم وابن أخيه، وهكذا كلما كانت القطيعة أعظم، كان الصلح بين المتباغضين والمتخاصمين أكمل وأفضل وأوكد" (١) لأن النفع فيه متعدد والفائدة فيه شاملة صار فضله عظيم، ودرجته أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة.

ولقد كان من هدي النبي ﷺ السعي في الإصلاح بين المخطئين من الناس، وفي السنة من ذلك بعض الأحاديث التي وقفت عليها:

١- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: " اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحْ بَيْنَهُمْ".

٢- عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرَّحَ الْمَاءَ يَمْرُ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: " اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ "، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ ؟ فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: " اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ "، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ (النساء: ٦٥).

(١) شرح رياض الصالحين (١ / ٢٢)

٥٠/٧- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخِيرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: " اذْهَبُوا بَنَّا نُصْلِحْ بَيْنَهُمْ " .

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٣٧) رقم/٢٢٩٠٣، والبحاري في صحيحه (٥٤/١) كتاب الأذان، باب من دخل ليوم الناس فجاء الإمام الأول فتأخر الآخر، أو لم يتأخر جازت صلاته رقم/٦٨٤، ومسلم في صحيحه (١/٧٤٥) كتاب الصلاة، باب تقدم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة في التقديم رقم/٩٤٩، وأبو داود في السنن (١/ ١٢٩٢) كتاب الصلاة، باب التصفيق في الصلاة رقم/٩٤٠ من طريق مالك.

وأخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢١٤) كتاب الصلح، باب قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح رقم/٢٦٩٣ من طريق محمد بن جعفر.

وأخرجه البخاري أيضاً (١/ ٢١٣) كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس رقم/٢٦٩٠ من طريق أبو غسان.

وأخرجه البخاري في (١/ ٩٥) كتاب أبواب العمل في الصلاة، باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر يزل به رقم/١٢١٨، وكذا في الكتاب نفسه (١/ ٩٣) باب ما يجوز من التسبيح والحمد في الصلاة للرجال رقم/١٢٠١ من طريق عبد العزيز.

وفي (١/ ٩٦) كتاب السهو، باب الإشارة في الصلاة رقم/١٢٣٤، من طريق يعقوب بن عبد الرحمن.

وأخرجه كذلك في أبواب العمل في الصلاة (١/ ٩٤) باب من صفق جاهلاً من الرجال في صلاته لم تفسد صلاته، وفي (١/ ٩٣) باب التصفيق للنساء رقم/١٢٠٤، وفي نفس الكتاب كتاب العمل في الصلاة (١/ ٩٤) باب إذا قيل للمصلي تقدم أو انتظر فانتظر فلا بأس رقم/ ١٢١٥، وكذا النسائي في المجتبى (١/ ٢٤٣٤) كتاب آداب القضاة، باب مصير الحاكم إلى رعيته للمصلح بينهم رقم/٥٤١٥ من طريق سفيان.

وأخرجه أبو داود في السنن (١/ ١٢٩٢) كتاب الصلاة، باب التصفيق في الصلاة رقم/٩٤١ من طريق حماد بن زيد.

جميعهم (مالك، ومحمد بن جعفر، وأبو غسان، وعبد العزيز، ويعقوب بن عبد الرحمن، وسفيان، وحماد بن زيد) عن أبي حازم بن دينار عن سهل الساعدي به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- حرص النبي ﷺ على الإصلاح:

إن في سنة النبي ﷺ الفعلية محاولات عديدة وعمل دائب منه ﷺ في الإصلاح بين الناس، وقد روى البخاري -رحمه الله- هذا الحديث وبَوَّبَ له بعنوان "باب قول الإمام اذهبوا بنا نصلح" ^(١) فكان ﷺ يذهب في الإصلاح بنفسه ولو بعدت المسافات، وفاته شيء من الجماعة لأجل الإصلاح بين الناس ففي الحديث عند البخاري: "فحانت الصلاة فجاء بلال إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قد حبس وحانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس؟" ^(٢) وقد تأخر ﷺ عن صلاة الجماعة وذهب إلى بني عمرو بن عوف، بطن كبير من الأوس فيه عدة أحياء كانت منازلهم بقاء منهم بنو أمية، وبنو حنيفة بن زيد، وبنو ثعلبة بن عمرو بن عوف .

والسبب في ذهابه إليهم ما في رواية سفيان المذكورة قال: "وقع بين حيين من الأنصار كلام" ^(٣) وللبخاري في الصلح: "اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر الرسول ﷺ فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم" ^(٤) فقد باشر كما ترى الصلح بنفسه وكان توجهه إليهم بعد صلاة الظهر وندب إلى ذلك أصحابه ﷺ . ^(٥)

(١) أخرج البخاري هذا الباب في (٩٥٨/١) كتاب الصلح رقم/٢٥٤٧

(٢) أخرج هذا اللفظ في (٤٠٧/١) كتاب أبواب العمل في الصلاة، باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر يزل به، وفي (٩٥٧/١) كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، وفي (٤٠٧/١) كتاب أبواب العمل في الصلاة، باب من صفق جاهلاً في صلاته لم تفسد صلاته.

(٣) هي رواية النسائي في المجتبى (٢/ ٢٤٣) كتاب آداب القضاة، باب مسير الحاكم إلى رعيته للصلح بينهم.

(٤) هي رواية الباب راجع تخريجها ص ٢١٤.

(٥) انظر فتح الباري (٢/ ١٦٧)، عون المعبود (٣/ ١٥٢).

وكان ﷺ في غير هذا الموقف يشير -دائماً- إلى الصلح ويحث عليه ويرغب فيه، وكثيراً ما كان يسمع أصوات الخصوم عالية ببابه ﷺ فيخرج للإصلاح، وما ذاك إلا لأن الإصلاح بين القوم وإزالة الفتنة فيما بينهم وإسكان النائرة سبب للاعتصام بحبل الله ﷻ، "فساد ذات البين ثلثة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه" (١).

وبالإصلاح تكون الأمة وحدة متماسكة يعز فيها الضعيف، ويندر فيها الخلل، ويقوى رباطها، ويسعى بعضها في إصلاح بعض.

وبالإصلاح يصلح المجتمع، وتآلف القلوب، وتجتمع الكلمة، وينبذ الخلاف، وتزرع المحبة والود، وإذا فقد أو أهمل فإن الأمة تتفكك وتتجزأ.

وقد بلغ من اهتمام الإسلام بإصلاح ذات البين أن أعطى المسلم رخصة في الكذب إذا احتاج إصلاح المتخاصمين إليه، أو توقف عليه، وهذا يؤكد وجوب الإصلاح بين الناس؛ لأن ترك الكذب واجب، ولا يسقط الواجب إلا بواجب مثله أو أكد منه.

وفي الحديث من الفوائد: "فضل الإصلاح بين الناس وجمع كلمة القبيلة، وحسم مادة القطيعة وتوجه الإمام بنفسه إلى بعض رعيته لذلك، وتقديم مثل ذلك على مصلحة الإمام بنفسه، واستنبط منه توجه الحاكم لسماع دعوى بعض الخصوم إذا رجع ذلك على استحضارهم، وفيه ما كان عليه ﷺ من التواضع، والخضوع، والحرص على قطع الخلاف، وحسم دواعي الفرقة عن أمته كما وصفه الله تعالى". (٢)

(١) تحفة الأحوذى (٦/ ٦٨).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ٣٩٩) شرح الزرقاني (١/ ٤٧).

٧/٥١ - عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا التَّخْلَ، فَقَالَ: الْأَنْصَارِيُّ: سَرَحَ الْمَاءَ يَمْرُ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: "اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ"، فَقَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: "أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: "اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَحْبَسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيَّ الْجَذَرِ"، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٤)، والإمام البخاري في صحيحه (١٨٥/١) كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار رقم/ ٢٣٦٠، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٩٢/١) كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه ﷺ رقم/ ٦١١٢، وابن ماجه في السنن (٢٤٧٧/١) كتاب السنة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتعليظ على من عارضه رقم/ ١٥، وأخرجه أيضاً في (١/ ٢٦٢٥) في كتاب الرهون، باب الشرب والأدوية ومقدار حبس الماء رقم/ ٢٤٨٠، وأبو داود في السنن (١٤٩٣/١) رقم/ كتاب الأقضية، أبواب القضاء رقم/ ٣٦٣٦، والترمذي في السنن (١٧٨٨/١) كتاب الأحكام، باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء رقم/ ١٣٦٣، والنسائي في المجتبى (١/ ٢٤٣٤) كتاب آداب القضاة، باب إشارة الحاكم بالرفق رقم/ ٥٤١٨ من طريق الليث.

وأخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢١٥) كتاب الصلح، باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين رقم/ ٢٧٠٨ من طريق شعيب.

وأخرجه البخاري - أيضاً - في (١/ ٣٧٨) كتاب التفسير، باب (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) رقم/ ٤٥٨٥، وفي (١/ ١٨٥) كتاب المساقاة، باب شرب الأعلى قبل الأسفل رقم/ ٢٣٦١ من طريق معمر.

وأخرجه البخاري أيضاً (١/ ١٨٥) كتاب المساقاة، باب شرب الأعلى إلى الكعابين رقم/٢٣٦٢ من طريق جريح.

جميعهم (الليث بن سعد، وشعيب، ومعمّر، وجريح) عن الزهري، عن عروة بن الزبير به.
الدلالات والفوائد التربوية:

١- النبي ﷺ يعاقب من يرفض الصلح:

إن إصلاح ذات البين عبادة جليلة رغب عنها الكثير من الناس اليوم على ما فيها من الأجر الجزيل والخير العميم، وإنما أمر الإسلام بما وحث عليها لأجل سلامة الصدور، فقد جاءت الشريعة بكل الأمور التي تكفل سلامة صدر المسلم على أخيه.

والمرابي معني بمشكلات الناس ومسئول عن الإصلاح فيما بينهم عند التخاصم وتفاقم الأمور بين المخطئين، وذلك لقطع الخلاف، وهذا الذي حرص عليه النبي ﷺ حين تخصم الزبير بن العوام ؓ أحد العشرة المبشرين بالجنة مع الأنصاري، وكان قد طلب تحكيم النبي ﷺ فيما بينهم في شراج الحرة^(١) وهي مسيل الماء من المطر.

وكان الأنصاري يقول للزبير سرح الماء أي أطلقه وأرسله؛ لأن الماء يمر بأرض الزبير قبل أرض هذا الأنصاري؛ لأنها في الأعلى وتلك في الأسفل فيحبسه كمال سقي أرضه، ثم يرسله إلى أرض جاره، فالتمس الأنصاري منه تعجيل ذلك فامتنع الزبير ؓ^(٢) فقال له النبي ﷺ: "أسقي يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك"^(٣) يحضه بذلك إلى المساحة والتيسير فقال الأنصاري: "أن كان ابن عمك؟" لأن الزبير ابن عمة النبي ﷺ، وأراد بذلك أنك حكمت له بالتقدم بسبب كونه قريبك، وكانت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب، عندها تلون وجه النبي ﷺ على ما بدر منه وتغير من الغضب، لانتهاك حرمت النبوة، وقبح كلام هذا الإنسان، ولأنه ؓ أشار على الزبير بما فيه مصلحة له وللأنصاري، لكن لما أغضبه الأنصاري "وأبى ذلك وأتهم النبي ﷺ وأساء الظن بالنبوة من الجور والميل غضب

(١) الحرة موضع معروف بالمدينة وهي الأرض الملساء فيها حجارة سوداء .

(٢) انظر: تحفة الأحوذى (٤/ ٤٩٩).

(٣) هي رواية الباب راجع تخريجها ص ٢١٧ .

ﷺ، وأمر الزبير أن يسقي ويمسك الماء حتى يبلغ إلى منتهى حاجته واستوعى ﷺ للزبير حقه".^(١)

هنا عامل النبي ﷺ هذا المخطئ برفض الصلح على ما حكم به النبي ﷺ بالحرمان، وهو نوع من الأساليب التربوية التي استخدمها ﷺ في تربيته لأصحابه وأتباعه، وتسمى (التربية بالحرمان).

وهذا الأسلوب يعني "أن تجعل العقوبة من جنس العمل، أي أن يكون هناك قاسم مشترك بين العقوبة وبين الفعل الخطأ، وفي هذا فائدة كبيرة في تربية الأتباع على ضبط النفس وعدم تجاوز الحدود حتى يكون ذلك درساً لهم ولغيرهم".^(٢)

ولذلك تلحظ أن النبي ﷺ "في الحكم الأول أمره بالقصد والأمر الوسط مراعاة للحوار، وأمره أن يسامح في بعض حقه على سبيل الصلح، فلما لم يرضَ الأنصاري وجهل موضع حقه، وأساء الأدب مع النبي ﷺ، واتهمه بالتحيز ولج وقال ما لا يجب، رجع ﷺ عن حكمه الأول وحكم بالثاني ليكون أبلغ في زجره"^(٣) ورجوعه ﷺ يتضح أنه في الأول أمره بالمعروف، وهو أن يترك بعض حقه، وهذا الحكم منه ﷺ مبني على الرحمة، وفي الثاني استوفى للزبير ﷺ جميع حقه، وأمره أن يستقصي فيه تغليظاً على الأنصاري، وأيضاً حرمان له وأبلغ في توبيخه ومعاقبته، فعامله ﷺ في الحكم هذا بعدله ﷺ؛ لأن مقتضى العدل أن يسقى من كانت أرضه في الأعلى حتى يضمن وصول الماء إليها.

ولهذا تجد الإمام البخاري - رحمه الله - يترجم بما يناسب ذلك في كتابه الصحيح فيقول: "باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم"،^(٤) ثم ذكر فيه أن النبي ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم، ولهذا لو قبل الخصم الصلح لكان له فيه خير؛ لأن حكم النبي ﷺ الأول كان في مصلحته، لكنه رفض فأمر النبي ﷺ الزبير أن يسقي ثم

(١) شرح ابن بطل (١٢/ ١٨).

(٢) أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية، زياد محمود العاني ص ٤٧٠.

(٣) فتح الباري (٥/ ٣٦) بتصرف يسير.

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٩١٤).

يجبس الماء إلى الجدر ولا يرسله إليه فوراً، وبذلك يكون ﷺ قد استقصى الحكم وحكم به.

وفي الحديث من الفوائد: أن للحاكم أن يشير بالصلح بين الخصمين، ويأمر به ويرشد إليه ولا يلزمه به إلا إذا رضي، وأن الحاكم يستوفي لصاحب الحق حقه إذا لم يتراضيا، وفيه توبيخ من جفا على الحاكم ومعاقبته. (١)

وفي السنة شواهد كثيرة على إصلاح النبي ﷺ بين المخطئين منها:

- بين الأزواج والزوجات ومثاله: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: "أَتَيْنَ ابْنَ عَمَلٍ؟" قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَعَاضْتَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: "انْظُرْ أَتَيْنَ هُوَ". فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ رَاقِدٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمَسْحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: "قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ". (٢)
- بين المتدائنين وفيه: أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَ أَنَّهُ، تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَذَرَدٍ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَشَفَ سَجْفَ حُجْرَتِهِ، وَنَادَى "يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ!" قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشُّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ، قَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قُمْ فَأَقْضِهِ". (٣)

(١) انظر: فتح الباري (٥/ ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧/١) كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، وفي (٣٠٢/١) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي عليه السلام رقم ٣٧٠٣، وفي (٥٢٢/١) كتاب الأدب، باب التكني بأبي تراب، وإن كانت له كنية أخرى وفي (٥٢٩/١) كتاب الاستئذان، باب القائلة في المسجد رقم ٦٢٨٠، وفي صحيح مسلم (١١٠١/١) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠/١) كتاب الصلاة رقم ٤٧٠، باب رفع الصوت في المساجد، وفي صحيح مسلم (٩٤٨/١) كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين، وفي سنن أبي داود (١٤٨٩/١).

تصحيح الخطأ بالفعل

- بين القبائل والطوائف: أن أنسا ﷺ قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا، فَأَنْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ - وَهِيَ أَرْضٌ سَبِيحَةٌ - فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَشْرُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشَتَمَا فَعَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْحَرِيدِ وَالنَّعَالِ وَالْأَيْدِي، فَبَلَغْنَا أَنَّهُا أُتْرِلَتْ وَإِنْ طَانَفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا (الحجرات: ٩). (١)

- وفي قصة حادثة الإفك وفيها: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ - فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْدِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبْتُ عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ إِيَّوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، - وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتُ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ - فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تَقْتُلْهُ وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يُقْتَلَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَتَقْتُلْنَهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. قَالَتْ: فَسَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ... (٢)

- في الخصومات: عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَتْ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصَوَّاهُمْ، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ

(١) أخرجه البخاري (٢١٣/١) كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، وقول الله تعالى: " لا خير في كثير من نجواهم ".

(٢) أخرجه البخاري (٢١٠/١) كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً رقم/٢٦٦١، وفي (٣٣٩/١) كتاب المغازي، باب حديث الإفك، وفي (٤٠٠/١) كتاب التفسير، باب قول: " لولا إذ سمعتموه "، وعند الإمام مسلم في صحيحه (١١٦٠/١) كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟" فَقَالَ:
أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ. ^(١)

أهم النتائج التي يخلص منها هذا المبحث:

- إن إصلاح ذات البين من أفضل الأعمال الصالحة وأعلىها درجة فقد أعد الله
- عز وجل - للناهضين به أجراً عظيماً.
- الإصلاح بين الناس في هذا الزمان بات من السنن المهجورة.

(١) أخرجه الإمام البخاري (٢١٥/١) كتاب الصلح، باب هل يشير الإمام إلى الصلح، والإمام مسلم في صحيحه (٩٤٨/١) كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين.

المبحث الثامن: إظهار الغضب من الخطأ

الغضب طبيعة بشرية لا يمكن تفاديها، لكن أحسنها وأفضلها هو ما كان لله ﷻ وهو الغضب المحمود الذي يثاب فاعله عليه؛ لأنه كان من سنته ﷺ؛ ولأنه داخل في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (الحج: ٣٠) وهو علامة على قوة الإيمان، وهو ثمرة لحفظ الأوطان وسلامة الأبدان، وقد يكون واجباً أو مستحباً، والنبي ﷺ كسائر البشر يغضب لكن لم يكن ﷺ يغضب لنفسه قط، إلا إذا انتهكت حرمة الله ﷻ أو عطلت له فريضة، فإنه كان يغضب لذلك غضباً شديداً، ولا يقوم لغضبه شيء ﷺ.

وقد كان غضبه ﷺ لا يتعدى قسماً وجهه، وأحياناً إلى كلامه القوي الحق، بيد أن الغضب وإن كان لله تعالى لا بد أن يكون مقترناً بالحكمة التامة التي تحقق إزالة الخطأ وإصلاح حال المخطئ، وقد بينت السنة مواقف كثيرة غضب من أجلها النبي ﷺ عندما تنتهك حرمة الله تعالى ومن ذلك ما يأتي:

١- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقْطَةِ، فَقَالَ: "اغْرِفْ وَكَأْهَا أَوْ قَالَ: -، وَعَافَاهَا - وَعَفَاصَهَا، ثُمَّ عَرَّفَهَا سَنَةً ثُمَّ اسْتَمْتَعَ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ"، قَالَ: فَضَالَةُ الْإِبِلِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْتَاهُ - أَوْ قَالَ احْمَرُّ وَجْهَهُ - فَقَالَ: "وَمَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرَاهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا"، قَالَ: فَضَالَةُ الْعَنَمِ؟ قَالَ: "لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلدَّبِّ".

٢- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رضي الله عنها-: أَنَّهَا اشْتَرَتْ ثُمُرَةً فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهَةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا بَالُ هَذِهِ الثُمُرَةِ؟" قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ فَيَقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ. وَقَالَ: "إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ".

تصحيح الخطأ بالفعل

٣- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: "سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ"، قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي قَالَ: "أَبُوكَ حُذَافَةُ"، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ"، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: "سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ"، قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: "أَبُوكَ حُذَافَةُ"، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ"، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَجُلٌ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ ﷺ غَضَبَهُ قَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَجَعَلَ عُمَرُ ﷺ يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَمَنُ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: "لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ - أَوْ قَالَ - لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ" قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: "وَيُطِيقُ ذَلِكَ أَحَدٌ؟" قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: "ذَلِكَ صَوْمُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ... الحديث.

٨/٥٢- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللَّقْطَةِ، فَقَالَ: "اغْرِفْ وَكَأَنَّهَا أَوْ قَالَ: - وَعَاءَهَا - وَعِفَاصُهَا، ثُمَّ عَرَّفَهَا سَنَةً ثُمَّ اسْتَمْتَعَ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَذَّهَا إِلَيْهِ"، قَالَ: فَضَالَّةُ الْإِبِلِ؟ فَقَضِبَ حَتَّى اخْمَرَتْ وَجَتَّاهُ - أَوْ قَالَ اخْمَرَتْ وَجْهَهُ- فَقَالَ: "وَمَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا سَقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرَهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا"، قَالَ: فَضَالَّةُ الْغَنَمِ؟ قَالَ: "لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّئِبِ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١٧/٤)، وفي صحيح البخاري (١٩٠/١) كتاب اللقطة، باب ضالة الإبل، وفي (١٩١/١) كتاب اللقطة أيضاً، باب من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان من طريق سفيان.

وفي (١٠/١) كتاب العلم، باب الغضب والموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره رقم/٩١ من طريق سليمان بن بلال.

وفي صحيح البخاري كتاب اللقطة (١٩٠/١) باب إذا لم يوجد صاحب اللقطة بعد سنة فهي لمن وجدها رقم/٢٤٢٩، وفي (١٨٥/١) كتاب المساقاة، باب شرب الناس وسقي الدواب من الأنهار رقم/٢٣٧٢، وعند الإمام مسلم في الصحيح (٩٨٣/١) كتاب اللقطة، باب معرفة العفاس والوكاء حكم ضالة الإبل والغنم رقم/٤٤٩٨ من طريق مالك.

وفي سنن ابن ماجه (٢٦٢٧/١) كتاب اللقطة، باب ضالة الإبل والبقر والغنم رقم/٢٥٠٤ من طريق يحيى بن سعيد.

وفي صحيح البخاري كتاب اللقطة (١٩١/١) باب إذا جاء صاحب اللقطة بعد سنة ردها عليه لأنها وديعة عنده رقم/٢٤٣٦، وفي كتاب الأدب (٥١٥/١) باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله وقال الله تعالى: "جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم" رقم/٦١١٢ وعند الترمذي في السنن (١٧٩٠/١) كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ،

باب ما جاء في اللقطة وضالة الإبل والغنم جميعهم رقم/١٣٧٢ من طريق إسماعيل بن جعفر.

جميعهم (سفيان، وسليمان بن بلال، ومالك، يحيى بن سعيد، وإسماعيل بن جعفر) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن.

وفي كتاب اللقطة (١/ ١٩٠) باب ضالة الغنم رقم/٢٤٢٨ من طريق يحيى بن سعيد.

كلاهما (ربيعة، ويحيى) عن يزيد مولى المنبعث، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

الدلالات والفوائد التربوية :

١- غضب النبي ﷺ لعدم فهم السائل المعنى من الفتوى:

بالرغم من أن دعوة النبي ﷺ مليئة بالرفق واللين، إلا أن هناك مواقف وأسباباً تجعل المربي يعدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب آخر يكون فيه شيء من الشدة والغلظة على المخطئ، وذلك عند "ظهور منكر، أو ترك معروف من قبل أشخاص لا يتوقع ذلك منهم؛ لما عرف من معرفتهم بأمور الدين أو صلاحهم وورعهم، أو حين تقصير السائل في فهم ما لا ينبغي تقصيره، فيستخدم معهم أسلوب الشدة والتعنيف؛ كي يكون وقع الإنكار في قلوبهم أبلغ وأشدَّ فيبتعدوا عما صاروا إليه".^(١)

والنبي ﷺ سئل عن اللقطة؟ فقال: عرفها حولاً ثم "اعرف عفاصها ووكاءها، والعفاص هو الوعاء الذي تكون فيه، "ثم استمتع بها" يعني أنفقها على نفسك وتصرف فيها كيفما شئت، وإذا جاء صاحبها فأدها إليه .

وقد أجمع العلماء على أنه يكفي سنة في التعريف بها، ثم سئل عن ضالة الإبل وضالة الغنم ما حكمها؟ فأما ضالة الغنم فيفترق حكمها عن الإبل فقال: "هي لك أو لأخيك أو للذئب". وفيه إشارة إلى جواز أخذها؛ لأنها لا تمتنع من السباع، ولكونها ضعيفة لعدم الاستقلال ومعرضة للهلاك، فهي إما لك أو لأخيك، وهو ملقط آخر أو صاحبها الأصلي إذا جاء وسأل عنها، وهو مالکها فتكون له، وإن لم تكن لهذا ولا لذاك فهي

(١) من صفات الداعية اللين والرفق، فضل إلهي ص ٥٠.

للذئب الذي يعتدي عليها ويهلكها، ففيه الحث على أخذها حتى لا تكون له، فهي لا تخلو من هذه الحالات الثلاث.

عندما بين له النبي ﷺ هاتين الحالتين توقع منه فهم المعنى المشار إليه مما علمه إياه من اللقطة أو الضوال التي تطلق على الحيوان، لكنه بعد البيان سأل عن ضالة الإبل، فغضب منه النبي ﷺ حتى احمر وجهه ﷺ أو احمرت وجنتاه وفي رواية: "فتمعر وجه النبي ﷺ" ^(١) أي تغير؛ لأن ضالة الإبل لا تصلح أن تكون لقطة حينها قال له: ما لك ولها؟ استفهام إنكاري منه ﷺ، أي: لا شأن لك بها، فهي ترد الماء وتأكل الشجر، وتصير على الظمأ أياماً كثيرة، وتقدر على مشي المسافات الطويلة حتى ترد الماء، ^(٢) فهي ليست كالغنم الضعيفة التي لا تمتنع من السباع، والحكمة في ذلك النهي عن التقاط الإبل أن بقاءها حيث ضلت أقرب إلى وجدان مالِكها لها من تطلبه لها في رحال الناس. ^(٣)

ثم إنه لا يُخاف عليها من الضياع، فهي قادرة على حماية نفسها، ولا تحتاج إلى ملقظ، فتركها أفضل من أخذها، قال الخطابي: "إنما كان غضبه لاستقصار علم السائل وسوء فهمه إذا لم يراع المعنى المشار إليه، ولم يتنبه له، ففاس الشيء على غير نظيره، فإن اللقطة هي اسم للشيء الذي يسقط من صاحبه، وليس كذلك الإبل فإنها مخالفة للقطة اسماً وصفة، فإنها غير عادمة أسباب القدرة على العود إلى ربها لقوة سيرها، وكون الحذاء والسقاء معها، وتمتنع من الذئب وغيرها من صغار السباع، ومن التردى، وغير ذلك بخلاف الغنم، فإنها بالعكس، فجعل سبيل الغنم سبيل اللقطة". ^(٤)

وإما أن يكون غضبه ﷺ على الرجل المستفتي؛ لكونه قد نهي قبل عن التقاط ضالة الإبل ^(٥)

(١) صحيح البخاري (٨٥٥ / ٢) كتاب اللقطة، باب ضالة الإبل.

(٢) انظر: عون المعبود بتصرف (٨٦ / ٥).

(٣) سبل السلام، للصنعاني (٩٦ / ٣).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥٤ / ٣).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٨٦ / ١).

تصحيح الخطأ بالفعل

٨/٥٣- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا اشْتَرَتْ ثُمْرَةَ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهَةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا بَالُ هَذِهِ الثُّمْرَةِ؟ " قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لَتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتُوسِدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ فَيَقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَقَالَ: " إِنْ أَلْبِيتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلْهُ الْمَلَائِكَةُ " .

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٦/٦) رقم/ ٢٦١٣٢، والبخاري في صحيحه (١٤٦/١) كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء رقم/ ٢١٠٥، وفي (٤٤٧/١) كتاب النكاح، باب هل يرجع إذا رأى منكراً في الدعوة؟ رقم/ ٥١٨١، وفي (٥٠٥/١) كتاب اللباس، باب مَنْ لم يدخل بيتاً فيه صورة رقم/ ٥٩٦١، وفي (١٩٥/١) من طريق نافع.

كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر أو تخرق الزقاق رقم/ ٢٤٧٩، عبد الرحمن بن القاسم.

والإمام مسلم في صحيحه (١٠٥٥/١) كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صور غير ممتحنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة -عليهم السلام- لا يدخلون بيتاً فيه صورة أو كلب رقم/ ٥٥٢٥، من طريق ابن شهاب.

(نافع، وعبد الرحمن بن القاسم، والزهري)، عن القاسم بن محمد، عن عائشة -رضي الله عنها-.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- توظيف تعابير الوجه مهم في تصحيح الخطأ:

"يغفل كثير من المربين عن توظيف تعابير الوجه واستخدامها في توجيه الخطأ أو حتى في التعليم، بل إنك لا تكاد تجد مَنْ يعمل بها إما لجهله بها أو لغفلة عنها، وهذه الطريقة

تغني المرء عن الإنكار باللسان، أو ترديد عبارات الرضا والارتياح تجاه عمل معين أو قول معين.

وهي -أيضاً- مهمة ونافعة جداً مع فئة معينة من الناس، فإن هناك من تؤثر فيه الابتسامة والبشاشة أكثر مما لو قلت له أحسنت أو أصبت، هكذا دون مشاركة تعابير الوجه التي تدل على الرضا والارتياح، وهناك مَنْ لا يؤثر فيه ذلك فيعامل كلَّ بحسبه، ونبينا ﷺ كان يُعرف الغضب في وجهه".^(١)

"رغم رأفته، ورحمته ﷺ وشفقته وعفوه، وصفحه، إلا أنه إذا رأى ما يغضب الله عند انتهاك حرمت الله يغضب، ويتقم لله سبحانه، وقد شهدت بذلك من كانت أعرف الناس به زوجته أم المؤمنين الصديقة"^(٢) فقد اشترت عائشة -رضي الله عنها- ثمرقة، وهي كالوسادة الصغيرة وعليها تصاوير ورسوم لذوات أرواح، إما تمثال لحيوان أو غيره، فلما رآها رسول الله ﷺ وقف على الباب ﷺ ولم يدخل الحجره غضباً منه ﷺ على ما رأى، وجعل وجهه ﷺ يتغير من المنكر، فعرفت -رضي الله عنها- في وجهه الكراهية لكنها كانت تجهل السبب.

وبادرت على الفور إلى تغيير المنكر قائلة: "أتوب إلى الله ورسوله ماذا أذنبت؟"^(٣)

"وفيه حسن أدب من الصديقة -رضي الله عنها- حيث قدمت التوبة على اطلاعها على الذنب، ومن ثم قالت: ماذا أذنبت؟ يعني: ما اطلعتُ على ذنب".^(٤)

وتأمل كيف أنه ﷺ وظف تعابير وجهه في إنكار الخطأ حتى عرفت من هذا التغيير على ملامح وجهه الوجيه ﷺ أن ثمة خطأ قد ارتكبه.

فالعصب أحدث عند عائشة -رضي الله عنها- علماً جازماً بأنه يوجد فعل منكر غضب منه، ولو سكت النبي ﷺ ولم يزد على ذلك لكان كافياً في الإنكار والردع، ولكنه ﷺ بين لها سبب غضبه لكونه ﷺ في مقام التبليغ والتعليم، ولكونها باشرته -رضي الله عنها-

(١) المعلم الأول، فؤاد شلهوب، ص ٤٤.

(٢) من صفات الداعية اللين والرفق، فضل إلهي، ص ٣٦.

(٣) هي رواية الباب المذكورة سبق تخريجها راجع ص ٢٢٧.

(٤) شرح الزرقاني (٤ / ٤٧٠).

عن سبب الذنب الذي أغضبه، وهو الخطأ الذي بدر منها، فكان لا بد من بيانه لها - رضي الله عنها-.

واكتفى النبي ﷺ بهذا الغضب في تعليمها -رضي الله عنها- وإنكار الخطأ الذي قد يحدث في بيت النبوة، ولم يسب ﷺ، ولم يعنف أو يضرب، بل ينكر بالقول والفعل معاً، " ما بال هذه النمرقة؟" (١)

" وكأئها -رضي الله عنها- غفلت عن أن كراهيته من أجل تصويرها، بل ظنت أن الكراهة لمجرد فرشها وإرادتها زينة للبيت فقالت ما قالت " (٢)

ثم يبين حكمها وينتهي المنكر فوراً بكل يسر، وبأسلوب سهل، وتتلقى ذلك بالطاعة -رضي الله عنها- فتتخذ نمرقتين، قد زالت التصاوير المحرمة منها بالشق، فكانتا في بيت رسول الله ﷺ يجلس عليهما. (٣)

(١) راجع حديث الباب ص ٢٢٧.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٣/ ٢٣٤).

(٣) صحيح البخاري (٨٧٦/٢) كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تحرق الزقاق من طريق محمد بن القاسم عن عائشة رضي الله عنها.

٥٤/٨- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُمِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ غَضَبٌ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: " سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ "، قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: " أَبُوكَ حَذَافَةٌ "، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: " أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ "، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

التخريج:

أخرجه البخاري (١/ ١١) كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره رقم/٩٢، وفي (١/ ٦٠٧) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه رقم/٧٢٩١، والإمام مسلم في صحيحه (١/ ١٠٩٣) كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك رقم/٦١٢٥، من طريق بريد بن أبي بردة عن أبي بردة رضى الله عنه عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه به.

وله شاهد في الصحيح عن أنس بن مالك.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- غضب النبي ﷺ من تكلف الناس في السؤال عما لا ينفع في الدين:

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون علامات الكراهية والغضب في وجهه النبي ﷺ إذا انتهكت حرمة الله أو أسيء فهم مقاصد الإسلام، أو إذا أهين عبد من عباد الله أو في غيره من المواقف التي سيأتي بيانها.

ولقد وصفوا -رضوان الله عليهم- في كثير من الأحاديث ما يكون من غضبه وتغيير حاله، وشدة نكيره على بعض الأخطاء، وذكروا في ذلك أخباراً كثيرة جداً تبعاً لكثرة المواقف، ومن تلك الأقوال التي وردت عن الصحابة رضى الله عنهم في وصف غضب النبي ﷺ:

" فتمعر وجهه ثمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي " .^(١)

(١) وهذا كان يوم أن قالت عائشة -رضي الله عنها- في خديجة -رضي الله عنها-: " وما تذكر من عجز من عجائز قريش حمراء الشدين هلكت في دهر " أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٥٠) رقم/ ٢٥٢١٢ وهي

وفي أخرى: " فتغير وجه رسول الله ﷺ " ^(١)، وفي ثالث: " فعرفت في وجهه الكراهية " ^(٢) وفي رابع " فتلون وجه رسول الله " ^(٣).

وقيل: " فغضب حتى احمرت وجنتاه، أو قال: احمر وجهه " ^(٤) وربما يبحثوا أحد الصحابة ﷺ على ركبته كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ من شدة خوفه أن يعجلوا بعقوبة بسبب ذلك، فيستغفر، ويتوب، ويعتذر عن بعض أصحابه ﷺ.

وفي بعض الحالات التي غضب منها النبي ﷺ كان الصحابة ﷺ يكون من هول الموقف، وخوف العقوبة على أنفسهم من سخط الله ﷻ على إيداء رسوله ﷺ، فقد ورد في الحديث: " فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يكي، فأكثر الناس من البكاء وأكثر رسول الله ﷺ من أن يقول سلوتي " ^{(٥) (٦)}.

وهذا الذي حصل عندما سئل عن أشياء كرهها وأكثروا عليه منها، فغضب ﷺ عليهم، وإنما كان هذا النهي منه ﷺ؛ بسبب أن كثرة السؤال تقتضي كثرة أحكام التكليف، والله ورسوله ﷺ يريدان التخفيف على هذه الأمة، وإبقاء دائرة الإباحة أوسع من دائرتي الكراهة والتحريم، وهذا النهي خاص بزمان التشريع.

وهناك هي آخر خاص بطبيعة الأسئلة، سواء أكان ذلك في حياة الرسول ﷺ أم بعد وفاته، ويشمل كل الأسئلة التي لا فائدة من طرحها على المربي ويكون فيها تعنت وتعجيز، أو تكلف من السائل، وليس لها أي هدف، بل هي مضية للوقت، فهي تعتبر

الرواية التي بينت غضبه ﷺ، وفي صحيح البخاري (١/) كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب تزويج النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها وفضلها، ومسلم في الصحيح (١/) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين.

(١) حدث هذا يوم اختصم الزبير ﷺ مع الأنصاري فقال للنبي ﷺ: " أن كان ابن عمك " راجع تخريجه ص ٢١٧.

(٢) سبق تخريج حديث يتناول هذا اللفظ، راجع ص ٢٢٧.

(٣) وهذا حصل منه ﷺ يوم أن شفع أسامة في حد من حدود الله، وقد سبق تخريجه، راجع ص ١٦٠.

(٤) سبق تخريجه، راجع ص ٢٢٥.

(٥) هو شاهد لحديث الباب من رواية أنس بن مالك ﷺ انظر: صحيح البخاري (٢٣٤٠/٥) كتاب الدعوات، باب التعوذ من الفتن، وفي (١/) كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن، وصحيح مسلم (١٨٣٤/٤) كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع ونحو ذلك.

(٦) وقد جمع أحد المؤلفين جميع المواقف التي غضب منها النبي ﷺ وسماه عندما غضب الرسول ﷺ، محمد بن علي آل مجاهد، فليراجع للاستزادة.

من الأسئلة المستقبحة المكروهة، وهذا النوع كان سبب غضبه ﷺ في هذا الحديث مثل "سؤال الرجل هل أبوه من ينتسب إليه أو إلى غيره؟".

وقريب من ذلك سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت، كما كان يسأله المشركون وأهل الكتاب، ويقرب من ذلك السؤال عما أخفاه الله عن عباده ولم يطلعهم عليه كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، ويخشى من كثرة السؤال أن يكون سبباً لزلزل التشديد فيه، كالسؤال عن الحج كل عام أم لا؟ وكذا أن يكون في الجواب عنها ما يكرهه السائل ويسوءه مع عدم الحاجة إلى ذلك، ولما سئل النبي ﷺ عن اللعان كرهه المسائل وعابها حتى ابتلي السائل عنه قبل وقوعه بذلك في أهله".^(١)

ولذلك كرهت أم حذافة سؤال ابنها للنبي ﷺ من أبي؟ لأنها من الأسئلة التي تحمل ضرراً كبيراً على السائل لو صادف غير الظاهر، ولذلك غضب ﷺ، بل قال سلوني عما شئتم؟ وظاهر السياق أن هذا القول منه ﷺ كان في معرض الغضب تنكيلاً بهم في السؤال حتى يروا عاقبته".^(٢)

ثم قام آخر يسأل مثل سؤال عبد الله بن حذافة وهو سعد بن سالم مولى شيبه "ولم يظفر به أحدٌ من الشارحين، ولا من صنف في المبهمات، ولا في أسماء الصحابة، وهو صحابي بلا مرية لقوله: مَنْ أَبِي يا رسول الله؟".^(٣)

وبما أن النبي ﷺ كانت له علامات يُعرف بها رضاه من غضبه، عرف الصحابة شدة غضبه، فبكوا مما رأوا من تغير علامات وجهه، ففي رواية أنس: "فإذا كل رجلٍ لاف رأسه في ثوبه يبيكي".^(٤)

وعرف عمر بن الخطاب -أيضاً- الكراهة في وجهه من جراء تلك الأسئلة، فبادر ﷺ بالتوبة عنه وعن أصحابه على الفور قائلاً: "إنا نتوب إلى الله ﷻ" (٥) أي: نتوب إلى الله

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٥ / ١١) يتصرف.

(٢) راجع الموافقات للشاطبي (١ / ٢٥٧)، وقد ذكر -رحمه الله- الكثير من الأسئلة التي تُهي عنها في كتابه.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١ / ١٨٧).

(٤) سبق تخريجه، راجع ص ٢٣٠.

(٥) هي رواية الباب سبق تخريجها ص ٢٢٩.

من الأسئلة المكروهة مما لا يرضاه رسول الله ﷺ، لما رأى ﷺ من إلحاحهم في المسألة على النبي ﷺ، فخشى أن يكون كالتعنت له أو الشك في أمره ^(١)، فخاف عليهم من العقوبة على ذلك لأن تعنته يوجب النار، وقد أمر الله بتعزيزه وتوقيره وعدم رفع الصوت فوق صوته، وتوعد ذلك بحبوط العمل، حيث قال ﷺ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَنْتَ حَبِطَ أََعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)

وفي رواية قال: "فبك عمر ركبته وقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد نبياً" ^(٢). يعني واكتفينا به عن السؤال أبغ كفاية، حتى سكن عنه الغضب ورضي بذلك، فسكت ﷺ. وقوله ﷺ هذه المقولة إنما كان أدياً وإكراماً لرسول الله ﷺ، وشفقة على المسلمين لئلا يؤذوا رسول الله ﷺ بالكثير عليه فيدخلون تحت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (الأحزاب: ٥٧). ^(٣)

وفي الحديث: فضل عمر بن الخطاب ﷺ وفهمه ومكانه من الحماية عن الدين والذب عن رسول الله ﷺ. ^(٤)

(١) انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (٣/ ١٧٢).

(٢) صحيح البخاري (١/) كتاب العلم، باب مَنْ بَرَكَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَوْ الْمُحَدِّثِ.

(٣) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (٣/ ١٧٣).

(٤) انظر شرح ابن بطال (١٩/ ٥١)، وفيه فوائد كثيرة حول الحديث فراجع.

٨/٥٥ - عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَجُلٌ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَقَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ ﷺ غَضَبَهُ قَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَجَعَلَ عُمَرُ ﷺ يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَمَنُ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: " لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ - أَوْ قَالَ - لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطَرْ " قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: " وَيُطِيقُ ذَلِكَ أَحَدٌ؟ " قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: " ذَاكَ صَوْمُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ... الحديث.

التخريج:

أخرجه صحيح مسلم (١/٨٦٥)، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة، وعاشوراء، والاثنين والخميس رقم/٢٧٤٦.

الدهر تطوعاً، وسنن النسائي (١/٢٢٤٠) كتاب الصيام، باب النهي عن صيام الدهر وذكر اختلاف على غيلان بن جرير في ذلك رقم/٢٣٨٤.

كلاهما من طريق حماد بن زيد، عن غيلان بن جرير، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن أبي قتادة الأنصاري به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١ - غضب النبي ﷺ من طريقة سؤال السائل:

قد سبق بيان أن النهي عن السؤال ليس شاملاً لكل الأحوال، بل هو نهي محدد في أمور معينة، وأن النبي لا يغضب من مجرد السؤال بقدر ما يغضب من طبيعة السؤال نفسه، أو عدم قدرة السائل على إلقاء الصيغة المناسبة لما يريد الوصول إليه.

ومن هنا كان حريّ بالمتربي أن يتقن ألفاظه ويراعي عباراته حتى لا تثير غضب المربي عليه.

والحاصل أن الرجل في هذا الموقف سأل النبي ﷺ قائلاً له: كيف تصوم؟^(١)

(١) هي رواية الباب سبق تخريجها.

وكان الأولى به ألا يكون سؤاله بهذه الصيغة، فلو قال كم أصوم؟ أو كيف أصوم؟ فيخص بالسؤال بنفسه ليحييه بما تقتضيه حاله كما أجاب غيرهم بمقتضى أحوالهم، ولذلك غضب النبي ﷺ " وقال العلماء إن سبب غضبه ﷺ أنه كره مسأله؛ لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة، وهي أنه ربما تقال السائل صوم النبي ﷺ، فيحصل منه عمل كثير يلحقه به مضرة ومشقة، وإنما اقتصر عليه النبي ﷺ لشغله بمصالح المسلمين وحقوقهم، وحقوق أزواجه، وأضيافه الوافدين إليه، لئلا يقتدي به كل أحد، فيؤدي إلى الضرر في حق بعضهم ^(١) مثل قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته فكأنهم تقالوها. ^(٢)

أو أنه يحاول أن يلزم نفسه بما فعله النبي ﷺ فيعجز عن ذلك، ويشق عليه الاستمرار، ومع طول الزمن وطول الأيام قد يلحق بنفسه ضرراً ومشقة.

ألا تراه ﷺ نهي أصحابه عن الوصال لما رأوا النبي ﷺ يواصل أرادوا أن يفعلوا مثله وهو ينهاهم، فلما رأهم مصرين واصل بهم يومين أو ثلاثة، وقال: " لو تأخر الهلال لزدتكم كالتنكيل بهم حين أبوا أن ينتهوا " ^(٣) فلما رأى عمر بن الخطاب غضب النبي ﷺ جعل يردد رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله، حتى سكن عنه ﷺ الغضب.

وقد صنع عمر هذا أكثر من مرة، وفي أكثر من موقف، فكان له دور كبير -دائماً- في تهدئة الرسول ﷺ من الغضب، كما برك على ركبته يوم أن أكثر عليه الناس في السؤال وأكثر من قول: " سلوني ما شئتم؟ " في الحديث السابق ^(٤) وكذا يوم أن اعتزل النبي ﷺ نساءه وهجرهن من شدة موجدته عليهن، جاء عمر رضي الله عنه يستأذن حارس رسول الله ﷺ ليأذن له أكثر من مرة حتى أذن له، ويهدأ النبي ﷺ ويستأنسه بقوله: "

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ٥٠) بتصرف.

(٢) سبق تخريجه، راجع ص ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦٦١)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٤) كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) راجع موقف عمر رضي الله عنه مع غضب النبي ﷺ ص ٢٤٦.

لو رأيته وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم إلى أن تبسم ﷺ". (١)

وهكذا فعل حين أخطأ السائل وغضب منه النبي ﷺ عرف عمر رضي الله عنه الغضب في وجهه، وجعل يستعيز بالله من غضبه وغضب رسوله حتى سكن غضبه ﷺ ثم سأله: يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر؟ كيف بمن يصوم يومين ويفطر يوماً؟ (٢) وقد أجابه النبي ﷺ عن كل ما سأله ﷺ؛ لأن أحسن عباراته وانتقاء ألفاظه، بينما كان السائل يريد هذا المعنى الذي أرادته عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكنه أخطأ في طريقة طرح السؤال عليه ﷺ، فلم ينل إلا غضبه ﷺ.

إن المواقف التي غضب منها النبي كثيرة، وقد تكلم عنها وجمعها بعض المؤلفين في كتبهم وذكرنا ما فيه الكفاية - إن شاء الله - ونذكر بعض الشواهد - أيضاً - في ذلك:

غضب من أسامة بن زيد يوم أن شفع في المخزومية :

- عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ قُرَيْشًا، أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَحْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ؟" ثُمَّ قَامَ فَاحْتَضَبَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا". (٣)

- أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُحَامَةَ فِي الْقَبِيلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُبِّيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: "إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبِيلَةِ فَلَا يُزِقُّنْ أَحَدَكُمْ قَبْلَ قَبِيلَتِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ

(١) راجع قصة هجر النبي ﷺ لنسائه، وتخرجه الحديث ص ١٩٩.

(٢) لفظ حديث الباب، راجع تخرجه ص ٢٤٧.

(٣) سبق تخرجه في الفصل الأول، بحث الإنكار الصريح ص ٢١٣.

قَدَمِهِ " ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: " أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا " . (١)

- عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ: الْأَنْصَارِيُّ: سَرَّحَ الْمَاءَ يَمْرُ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاتَّخَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: " اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ "، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: " اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْسِبِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ "، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ. (٢)

- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدْرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: " بِهِذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، بِهِذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ " . قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَتَخَلَّفِي عَنْهُ. (٣)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥/١) كتاب الصلاة، باب حك الزقاق باليد من المسجد وعنده (٣٥/١) في نفس الكتاب، باب كفارة الزقاق في المسجد، وباب إذا بدره الزقاق فليأخذه بطرف ثوبه.

(٢) سبق تخريجه، راجع ص ٢٨٥.

(٣) سنن ابن ماجه (٢٤٨١/١) كتاب السنة، باب في القدر.

النتائج التي يخلص منها هذا البحث:

- الغضب على انتهاك حرمة الله هي صورة من صور ردود الأفعال المأمور بها.
- إن توظيف تعابير الوجه في التعليم أو تعديل السلوك يساعد المربي على تحقيق أغراضه.
- مراعاة اختلاف المتربين من ناحية هذا الأسلوب، ومقدار تأثيرهم بهذه الانفعالات، فإن بعض المخطئين لا تجدي معه مثل هذه التعابير ولا تحرك فيه شيئاً.

المبحث التاسع: حفظ مكانة المخطئ وإبداء الاحترام له

إن مراعاة شعور المخطئ أو التائب إذا استقام وصلاح حاله كان لها اعتبار كبير في المنهج النبوي، وفي تعامل النبي ﷺ مع الناس، فكثيراً ما كان ﷺ يجعل للمخطئ إذا تاب وحسنت توبته قدره، دون تنقيص أو إزدراء، بل كان ينهى ﷺ عن الدعاء عليه، أو لعنه أو سبه؛ خوفاً من إغاة الشيطان عليه، أو حتى تعييره بذنبه؛ خشية الابتلاء بما عنده .

وقد يكون التعبير بالذنب إثماً أكبر من ذنب المخطئ نفسه؛ لما فيه من إظهار الطاعة، وتركية النفس، وتبرئتها من العيوب.

إن بعض الناس اليوم لا يعين المخطئ التائب على نسيان ماضيه، والبعض قد يزدريه أو يذكره بسالف ذنوبه وخطاياهم، فتراهم يعيش يائساً محطماً مما يجد من سوء التعامل معه، وهذا ليس من المنهج النبوي في شيء أبداً، وخلاف طريقته ﷺ في تعامله مع المخطئ، بل كان يعتني بالمخطئ التائب، ويعينه على الثبات والاستمرار، حتى يقوى عوده ويصلب ولا ينكص ويعود إلى طريقه السابق.

وقد يدافع ﷺ عن المخطئ لمكانته في المجتمع ورفيع قدره، وتقضي المصلحة ذلك، وفيما يأتي بيان لما سبق :

١- عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَطَعَ يَدَ امْرَأَةٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَأْتِي وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا.

٢- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمِيرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَخَالِدٍ: " مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ " قَالَ: اسْتَكْرَثُهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: " اذْفَعُهُ إِلَيْهِ " فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَتَّجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْصَبَ. فَقَالَ: " لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ! لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ! هَلْ أَتُّمَّ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَرْعَى إِبِلًا أَوْ غَنَمًا فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوَهُ لَكُمْ، وَكَدْرَهُ عَلَيْهِمْ " .

٩/٥٦- عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَطَعَ يَدَ امْرَأَةٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَأْتِي وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا.

التخريج:

أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ٢٠٩) كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف
والسارق والزاني وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ (النور: ٤)
رقم/٢٦٤٨ وفي (١/ ٣٥٢) كتاب المغازي، باب رقم/٤٣٠٤، وفي (١/ ٥٦٧) كتاب
الحدود، باب توبة السارق رقم/٦٨٠٠

وعند الإمام مسلم (١/ ٩٧٧) كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي
عن الشفاعة في الحدود، والبخاري في صحيحه (١/ ٥٦٦) كتاب الحدود، باب إقامة
الحدود على الشريف والوضيع رقم/٦٧٨٧، وفي كتاب الحدود أيضاً (١/ ٥٦٦) باب
كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان رقم/٦٧٨٧، والإمام مسلم في صحيحه
(١/ ٩٧٦) كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في
الحدود رقم/٤٤١١، والنسائي في السنن الصغرى (١/ ٢٤٠٤) كتاب قطع السارق،
باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر الزهري في المخزومية التي سرت رقم/٤٩٠٦
جميعهم من طريق يونس بن يزيد.

وأخرجه مسلم (١/ ٩٧٧) كتاب الحدود أيضاً، باب قطع السارق الشريف وغيره،
والنهي عن الشفاعة في الحدود رقم/٤٤١٢ من طريق معمر.

وأخرجه مسلم في (١/ ٩٧٦) كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي
عن الشفاعة في الحدود رقم/٤٤١٠، والبخاري في الصحيح (١/ ٢٨٤) كتاب أحاديث
الأنبياء، باب، وفي (١/ ٣٠٤) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب ذكر أسامة
رقم/٣٧٢٣ ورقم/٣٧٣٣، والنسائي في السنن الصغرى (١/ ٢٤٠٥) كتاب قطع يد
السارق أيضاً، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر الزهري، كلاهما من طريق الليث،
وفيه قصة المخزومية دون موضع الشاهد من هذا المبحث.

وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (١/ ٢٤٠٥) من نفس الكتاب، والباب معاً من طريق سفيان بن عيينة رقم/٤٩٠١، وكذا من طريق إسماعيل بن أمية رقم/٤٩٠٦، ومن طريق إسحاق بن راشد رقم/٤٩٠٥، وفيه ذكر القصة فقط دون الشاهد أيضاً.

جميعهم (يونس بن يزيد، ومعمّر، والليث، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن أمية، وإسحاق بن راشد) عن الإمام الزهري، عن عروة بن الزبير رضي الله عنه، عن عائشة -رضي الله عنها- به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- النبي ﷺ يحفظ للمخطئ مكانته حتى مع جرم فعله وخطورة جنايته:

المذنب إذا تاب وحسنت توبته، وبخاصة إذا أقيم عليه الحد وطُهر يجب أن يكون للمجتمع موقف إيجابي من ناحيته، بحيث لا يكون بعض أفراد سبباً في انتكاسته عن طريق الهداية والصلاح، ولا سبباً -أيضاً- في نفوره من الصالحين والأخيار، وبالتالي إغاة الشيطان عليه.

إن مراعاة شعور التائب إذا استقام وصلح حاله كان له اعتبار كبير في منهج خير البرية ومربي البشرية محمد ﷺ، وحديث المخزومية التي سرقت خير دليل على ذلك، فبالرغم من أنها سرقت وكره الشفاعة في أمرها؛ حيث جرت محاولات في تفسادي عقوبتها، وخطب خطبته المعروفة في ذلك، ثم قطعت يدها إلا أنه ﷺ كان يحسن التعامل مع المخطئين وهم بحال الخطأ، وفي أثناء مقارفتهم له، فكيف إذا تابوا وأخلصوا لله العودة؟

ولذلك كانت تأتي إلى عائشة -رضي الله عنها- بعدما قطعت يدها وحسنت حالها، وكانت قد تزوجت رجلاً من بني سليم^(١) وعائشة -رضي الله عنها- ترفع حاجتها إلى الرسول ﷺ، فلو أن هذه المرأة الثابتة من الذنب ما وجدت حسن استقبال من عائشة -رضي الله عنها- ما أتت إليها، وإنما وجدت المجتمع المسلم حين ذاك احتواها، فكانت لها مكانة بينهم .

(١) فتح الباري (١٢/ ٩٥).

" إن هذه المرأة لم تنبذ من المجتمع، بل وجدت زوجاً يقبل أن تكون رفيقة عمره، ثم كيف كانت عائشة - رضي الله عنها - تقيم بأمرها وترفع حاجتها للنبي ﷺ، لقد كان المجتمع المسلم يعين المنحرف على العودة للخير، ويساعده على التوبة والاستقامة، كان قادراً على مغفرة الخطأ ونسيانه، يمنح المذنب فرصة لطيفة صفحة الماضي والبدء بالصلاح من جديد، لقد كان يقوم بإعادة تأهيل المجرم التائب ". (١)

إن المخطئ في زمن النبي ﷺ لم يكن منبوذاً في المجتمع الإسلامي، ولم يُنظر إليه يوماً ما نظرة سخرية أو ازدراء؛ بسبب ما وقع فيه من ذنب، إن هذا الأسلوب يجعل المخطئ يستمر في التوبة، ويفرح على أنه اهتدى إلى طريقها، وإن أقل خطأ في أسلوب التعامل معه يجعل الأمر في غاية الخطورة عليه، وقد يسلط عليه الأعداء من شياطين الأنس الذين ينتهزون مثل هذه الفرص، ألا ترى ما حصل لكعب بن مالك رضي الله عنه والنبي هو الذي قد أمر بهجره؟ كيف انتهز ملك غسان الفرصة ليرسل إليه كتاباً عاجلاً يدعو فيه للحاق به لمواساته. (٢)

أضف إلى ذلك أن كثيراً من انتكاسات التائبين يعود سببها إلى التعامل الخاطئ من بعض الدعاة - هداهم الله - مع المخطئ التائب، وهؤلاء يتحملون جزءاً من المسؤولية أمام الله.

(١) هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، حنان اللحام ص ٥٤١.

(٢) راجع تخريج الحديث ص ٢٠٣.

٩/٥٧- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمَيْرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟" قَالَ: اسْتَكْرَهْتُهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "ادْفَعْهُ إِلَيْهِ" فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَلْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْضَبَ. فَقَالَ: "لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ! لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ! هَلْ أَتَيْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرًا؟ إِنْ مَنَعْتُمْ وَمَنَعْتُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَرْعَى إِبِلًا أَوْ غَنَمًا فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَةً وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفَّوهُ لَكُمْ، وَكَدَرَهُ عَلَيْهِمْ".

التخريج:

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٦/٦) رقم/٢٤٠٣٣، ومسلم في الصحيح (٩٨٨/١) كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل رقم/٤٥٧٠، وأبو داود في السنن (١/١٤٢٥) كتاب الجهاد، باب في الإمام يمنع القاتل من السلب إن رأى والفرس والسلاح من السلب رقم/٢٧١٩، وكذا عنده في (١/١٤٢٦) كتاب الجهاد أيضاً، باب في السلب لا يخمس رقم/٢٧٢١، جميعهم من طريق عبد الرحمن بن جُبَيْر عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعي به.

الدلالات والفوائد التربوية:

١- تعزيز المربي للمخطئ عليه حفظاً لحق المخطئ:

هذه القضية جرت في غزوة مؤتة سنة ثمان، وفيها يتضح أن النبي ﷺ حافظ على مكانة المخطئ مع كونه أخطأ في حق الطرف الآخر، والقصة تبدأ حين منع خالد بن الوليد ﷺ السلب واستكرهه وهو من حق القاتل على الرجل المددي، وهو من المدد الذين جاءوا بمدون جيش مؤتة ويساعدونهم^(١) وكان قد رأى رجلاً من المشركين قد أثنخن وبالغ في المسلمين، فاحتبأ له وعرقب فرسه ثم سقط، ثم جاء وقتله هذا المددي.

(١) الديباج على مسلم (٤/٣٥٦).

وكان مع هذا المشرك سلب كثير، فجاء به إلى خالد ﷺ فأخذه مستكثراً به على الرجل، ولم يعطه منه اجتهاداً منه ﷺ، فشكا عوف خالداً إلى النبي ﷺ، في البداية النبي ﷺ سألته عن الدافع الذي جعله يمنع القاتل من السلب وهو يعلم أن النبي يحكم للقاتل بهذا الأمر، فقال ﷺ: "ما منعك أن تعطيه سلبه؟" ^(١) فأمره النبي ﷺ أن يرجعه إليه، فامتثل لأمر رسول الله ﷺ، إلا أن الذي جعل النبي ﷺ يعود عن هذا الحكم إلى غيره ما سمع من عوف ﷺ يذكره بتهديده لخالد بن الوليد ﷺ يذكره بما قال له أن سيحازيه على منعه للسلب بشكواه له للنبي ﷺ فكانه يقول: خذ ما وعدتك إياه، فغضب النبي ﷺ على ما سمع، فعززه ﷺ على هذا الكلام بالحرمان تأديباً لجرأته على الأمير وسوء الأدب معه، حفظاً لمكانة المخطئ للمصلحة المهمة في ذلك، وكان خالد ﷺ والياً - آنذاك - عليهم قد أمره النبي ﷺ، فقال ﷺ: "لا تعطه يا خالد، لا تعطه" ^(٢) وهذا من باب التعزير بالمال. ^(٣)

"ونلاحظ أن خالداً لما أخطأ في اجتهاده بمنع القاتل من السلب الكثير أمر النبي ﷺ بوضع الأمر في نصابه بإعادة الحق إلى صاحبة، ولكنه ﷺ غضب لما سمع عوفاً ﷺ يعرض بخالد ويتهكم عليه بقوله: هل أنجزت لك ما ذكرت من رسول الله ﷺ، وكان عوف قد جر برداء خالد لما مر بجانبه، فقال ﷺ: لا تعطه وهذا من باب رد الاعتبار إلى الأمير والقائد؛ لأن في حفظ مكانته بين الناس مصلحة ظاهرة". ^(٤)

وقد يستشكل في هذا الحديث أمر وهو أن القاتل استحق السلب، فكيف يمنعه إياه؟
ويجاب عنه بوجهين:
الأول: أحدهما لعله أعطاه بعد ذلك للقاتل، وإنما أخره؛ تعزيراً له ولعوف بن مالك؛
لكونهما أطلقا ألسنتهما في خالد، وانتهكا حرمة الوالي ومن ولاه.

(١) رواية الباب راجع تخريجها ص ٢٧٠.

(٢) رواية الباب ص ٢٧٠.

(٣) الديباج على مسلم (٤/ ٣٥٦).

(٤) الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس، للشيخ محمد المنجد ص ٦٨.

الثاني: لعله استطاب قلب صاحبه، فتركه صاحبه باختياره وجعله للمسلمين وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد ﷺ للمصلحة في إكرام الأمراء. ^(١)

ثم وجه النبي ﷺ الخطاب للعموم: "هل أنتم تاركون لي أمرائي؟" ^(٢) يعني الذين أمّركم عليكم، وتتركون مخالفتهم والشماتة بهم، وعدم متابعتهم لأن صنيعكم هذا ليس لائقاً بشأن الأمراء، ^(٣) فإنكم تتلقون صفو الشيء منهم كالأعطيات وغيرها بغير نكد، وعليهم كدرها ونكدها، ويتلون بمقاساة الناس والمشقة في جمع الأموال على وجوهها؛ لأن المسؤولية عليهم عظيمة في السير بالجيش، وحفظ الرعية، والشفقة عليهم والذب عنهم، ثم إذا وقع علقه أو عتب في بعض ذلك توجه على الأمراء دون الناس. ^(٤)

فرد الأمر ﷺ على ما قضى به خالد بن الوليد ﷺ.

(١) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٦٤).

(٢) سبق ترجمته، راجع ص ٢٧١.

(٣) عون المعبود (٧ / ٢٧٨).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (١٢ / ٦٤) بتصرف يسير.

وقد جاء في السنة ما هو عكس هذه الصورة وأولى منها، وهو حفظ النبي ﷺ للمخطئ في حقه مكانته من ذلك ما جاء في المسند: ^(١)

- عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَلَمَّا جَاوَزَهُمْ قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْغِضُ هَذَا فِي اللَّهِ، فَقَالَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ: بَيْسَ وَاللَّهِ مَا قُلْتَ، أَمَا وَاللَّهِ لَنُنَبِّئَنَّكَ، قُمْ يَا فَلَانُ، رَجُلًا مِنْهُمْ، فَأَخْبِرُهُ قَالَ: فَأَذْرَكُهُ رَسُولُهُمْ، فَأَخْبِرُهُ بِمَا قَالَ فَأَنْصَرَفَ الرَّجُلُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَرَرْتُ بِمَجْلِسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ فَلَانُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ، فَرَدُّوا السَّلَامَ فَلَمَّا جَاوَزْتَهُمْ أَذْرَكَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فَلَانًا قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْغِضُ هَذَا الرَّجُلَ فِي اللَّهِ، فَأَذْعُهُ فَسَلُّهُ عَلَيَّ مَا يُبْغِضُنِي؟ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: فَسَأَلَهُ عَمَّا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ، فَأَعْتَرَفَ بِذَلِكَ وَقَالَ: قَدْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلِمَ تُبْغِضُهُ؟ قَالَ: أَنَا جَارُهُ وَأَنَا بِهِ خَابِرٌ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يُصَلِّي صَلَاةَ قَطٍ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ الَّتِي يُصَلِّيهَا الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ، قَالَ الرَّجُلُ: سَلُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ رَأَيْتُ قَطُّ أَخْرَجْتُهَا عَنْ وَفْتِهَا، أَوْ أَسَأْتُ الْوُضُوءَ لَهَا، أَوْ أَسَأْتُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فِيهَا؟ فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يَصُومُ قَطُّ إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ الَّذِي يَصُومُهُ الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ رَأَيْتُ قَطُّ أَفْطَرْتُ فِيهِ، أَوْ انْتَقَصْتُ مِنْ حَقِّهِ شَيْئًا؟ فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يُعْطِي سَائِلًا قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُهُ يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا فِي شَيْءٍ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ، إِلَّا هَذِهِ الصَّدَقَةُ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ، قَالَ: فَسَلُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ كُنْتُ مِنَ الرِّكََاةِ شَيْئًا قَطُّ، أَوْ مَا كُنْتُ فِيهَا طَالِبًا؟ قَالَ: فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: لَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُمْ إِنِّي أَذْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ.

(١) مسند الإمام أحمد (٤٥٥/٥) رقم/٢٣٨٥٤ قال الهيثمي في مجمع الروايات (٢٩٠/١) رواه أحمد، ورجال أحمد ثقات أثبات.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي بذلت فيه كل ما في وسعي، فإني أحمد الله تعالى أن وفقني إلى إتمامه، وأسأله المزيد من فضله، فإن كنت أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله تعالى من كل نقص وتقصير قد حصل فيه.

وإني أوجز فيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها:

- أن النبي ﷺ أولى جانب التربية اهتماماً كبيراً، واستخدم لذلك أساليب شتى.
- لقد كان ﷺ يميل في تعديله للسلوك إلى كسب الأشخاص، والحفاظ على ودهم أكثر من أي شيء آخر.
- من الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في التربية والتصحيح، أسلوب التخويف والترهيب من الخطأ، مما ينمي في النفس البشرية الحذر من الوقوع فيه، والتزام طريق الاستقامة.
- لقد استخدم النبي ﷺ التوجيه المباشر وغير المباشر في التربية والتعديل، محاولاً ﷺ الإلمام بجميع ما يتناسب مع الفروق الفردية.
- كان الرفق ومعالجة المواقف بالحكمة واللين أسلوباً تربوياً أساسياً استخدمه ﷺ لتهديب السلوك وإصلاح النفوس.
- اهتم النبي ﷺ بالتربية بالحدث، وأسلوب المقارنة، والتربية بالعادة حيث حول الخير إلى عادة طيبة يمارسها الفرد مع استشعار النية الصالحة في ذلك.
- يتجلى فيما سبق حرص النبي ﷺ على الوقوف على أبعاد ومعالج شخصية كل واحد من المخطئين، بحيث يسهل تقويم العوج فيه.
- حين يقف النبي ﷺ على خطأ ما من رجل فإنه لا يلصقه به طيلة حياته، بل يحاول ﷺ أن يوظف طاقته فيما يناسبه ويدعمه حتى بعد الخطأ كما فعل ﷺ مع أسامة بن زيد وغيره.

- إطلاع الصحابة رضي الله عنهم من قرب على حسن خلقه ﷺ في التعامل معهم، وكرمه ﷺ في المعاملة والتسامح عن الخطأ، وطد صلتهم وثقتهم به ﷺ وجعل له الأثر الكبير في سرعة استجابتهم لأوامره ونواهيه.
- أيقن النبي ﷺ عظم وأهمية توفير البديل عن الخطأ ليحل مكانه فأولاه عناية واهتمام.
- أدرك ﷺ بعين النبوة أن أي إصلاح أو تعديل للخطأ ما لم يبدأ من الأساس وينبعث من دراسة أسبابه فهو علم الفائدة، ولذلك حرص مع المخطئ دراسة أهم الأسباب التي أوقعت في هذا الخطأ.
- حرص النبي ﷺ على سؤال المخطئ قبل كل شيء، ليتأكد أنه هو الفاعل فيعترف بذنبه، وليستفهم منه عن سبب ارتكابه له كما قال لحاطب رضي الله عنه : ما حملك على ما صنعت ؟ وللمظاهر : ما حملك على ذلك يرحمك الله ؟ وفي سؤاله ﷺ للمخطئ بهذه الطريقة استعداد منه ﷺ للفتح باب الحوار وسماع لكل ما لديه.
- كما يتبين أن النبي ﷺ كان حريصاً كذلك على الاهتمام بالدوافع النفسية والشخصية التي تدفع الإنسان للوقوع في الخطأ، ومراعتها وتقدير حالة المخطئ حين تكون هي الأساس في خطأه كما راعى ﷺ ظروف المخطئ حين كان خطأه بدافع الجوع.
- يحرص النبي ﷺ على التطبيق أو التعليم بالأسلوب العملي، لأنه أوقع في النفوس وأدعى إلى ثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة زمناً طويلاً، وبالتالي تحويل العلم إلى تطبيقات عملية واقعية.
- هذه التطبيقات العملية إما أن تكون بتوجيه منه للمخطئ عن طريق الوصف للسلوك الصحيح، أو بطلب منه للمخطئ إعادة الفعل على الصواب، أو بتطبيق منه ﷺ أمام الفرد.
- في بعض المواقف التربوية استخدم النبي ﷺ التلميح حين يرى أن الموقف التربوي يعني فيه التلميح عن التصريح.

تصحيح الخطأ بالفعل

- يستخدم الرسول ﷺ التلميح التربوي إذا نُقل إليه الخطأ، ولم يباشره وهذا غالباً، أو يلمحه ﷺ بعينه الكريمه فيُلمَح إليه على المنبر.
- ابتعاد النبي ﷺ في أساليبه الخاصة بتعديل السلوك عن جرح الشعور الإنساني، مهما كان حجم الخطأ.
- يستخدم النبي ﷺ الإنكار أو التوبيخ وسيلة من وسائل التصحيح، ويختلف توجيهه في هذا، فأحياناً يكون في مواقف أشد لهجةً وصراحة من غيره في مواقف أخرى بحيث يتضح فيه غضب النبي ﷺ وكل ذلك يكون تبعاً للمواقف وحجم الخطأ وخطورته على الفرد والمجتمع.
- كان أسلوب النبي ﷺ في الإنكار الصريح للخطأ، غالباً يكون عن طريق الاستفهام الإنكاري.
- يكرر النبي ﷺ في بعض المواقف الإنكار على المخطئ ليكون أوقع في نفسه.
- أهتم النبي ﷺ بالحوار مع أفراد مجتمعه، كوسيلة من أهم وسائل الاتصال الفعالة وعده ﷺ أسلوب ناجح في علاج الأخطاء.
- تقدير النبي ﷺ لمآلات الأمور وعواقبها يجعله يتجاوز بعض الأخطاء خشية من الوقوع فيما هو أكبر وأشد منها.
- معالجة الأخطاء لا تعني العنف في التصرف ولذلك جعل النبي ﷺ الرحمة مبدأً أساسياً له في حياته لا ينفك عنه إلا في أشد المواقف.
- أدرك النبي ﷺ ضرورة توضيح خطورة السلوك بعد إنكاره، فكان يبين للمخطئ عواقب سلوكه وضرره عليه وعلى الجماعة.
- استخدم النبي ﷺ جملة من العقوبات التأديبية، كالهجر والمقاطعة، والإعراض، والحرمان وكان غرضه ﷺ من استخدامها تقويم السلوك والتنفير من المخالفة للأمر النبوي الكريم، وردع الجماعة وليس الأفراد فقط عن كل الأعمال والتصرفات الشائنة.

- جميع الأساليب التأديبية منه ﷺ مهما عظمت إلا أنها كانت خالية تماماً من التهديد، وهذا خلاف طريقة المربين اليوم.

وأخيراً :

فإن الكمال في محمد ﷺ لا يأتي عليه وصف، فصفاء نفسه التي أشرقت بنور الله فكانت كأصفى مرآة قد انعكست عليها مظاهر الكمال البشري كله حتى كان محمد ﷺ مضرب الأمثال في كل كمال، وأما خلقه العظيم فكان لا يشاركه فيه أحد بحال فهو فريد دهر الدنيا، ووحيد عصرها ﷺ، ومن هنا كان ﷺ بحق هو المربي الأول الذي جاء بمنهج التربية الشامل الجامع، المانع، الذي يعد منهاجاً تربوياً فريداً يجمع كل الفضائل والمعاني الإنسانية، والذي عالج كل جوانب النقص والقصور، في غيرها من أنواع التربية البشرية المختلفة على مر العصور، فلا يمكن بحال من الأحوال أن نجد أفضل ولا أشمل ولا أكمل ولا أجمل من هدي النبي ﷺ، وسنته الطاهرة، لا سيما وأنه ﷺ تعهد الناس بمنهج سليم، وهدى قويم ﷺ .

لقد سجل لنا التاريخ سير الآف المصلحين والزعماء، الذين عاشوا حياتهم يناضلون من أجل فكرة ما، أو مبدأ أفاد الإنسانية عامة، ولكن لم تجتمع كل المبادئ الطيبة إلا في شخص رسول الله ﷺ في التربية والأخلاق وتعديل السلوك، وغير ذلك كثير من أوجه الحياة التي استنارت بمبعثه صلوات ربي عليه في الأولين والآخرين، لقد كان بحق أعظم المصلحين ﷺ .

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَكُفُّوا أُنْظُرْنَا﴾	١٠٤	البقرة	١٠٩
٢- ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا﴾	١١١	البقرة	٩٧
٣- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا﴾	١٧٠	البقرة	٩٦
٤- ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾	١٨٩	البقرة	١٠٩
٥- ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾	٢٨٩	البقرة	١٠٢
٦- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا﴾	١٠٥	آل عمران	٢٠٤
٧- ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾	١٣٣	آل عمران	١٢٨
٨- ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾	١٥٩	آل عمران	١٥٠
٩- ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ﴾	٣٤	النساء	٢٧٦
١٠- ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ﴾	٥٦	النساء	١٥٤
١١- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا﴾	٦٣	النساء	٢٩٥
١٢- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى﴾	٦٥	النساء	٣٠٤
١٣- ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾	٨٣	النساء	١٦٢
١٤- ﴿وَمَا كَانُوا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ﴾	٩٢	النساء	٢
١٥- ﴿وَعَلَّمَكُمَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾	١١٣	النساء	٣٤
١٦- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾	١١٤	النساء	٣٠٤
١٧- ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾	١٤٨	النساء	٣٠٢
١٨- ﴿وَمَا تَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾	١٦٣	النساء	٢١٠

١٣٢	المائدة	٣١	﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ ﴾ - ١٩
٢٢٩	المائدة	٥٠	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ - ٢٠
٩٦	المائدة	١٠٤	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ ﴾ - ٢١
٩٠	الأنعام	٧٦	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَمَا كَوْكَبًا ﴾ - ٢٢
١٩٤	الأنعام	١٠٨	﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ - ٢٣
٨٢	الأنعام	١٢٢	﴿ أَوْمَن كَانَ مِيسًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ - ٢٤
٨٤	الأعراف	٨	﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ - ٢٥
٢١١	الأعراف	١٤٣	﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي لِئَلَّا يَكُنَّ ﴾ - ٢٦
١١٩	التوبة	٤٣	﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ﴾ - ٢٧
٧٥	التوبة	٤٩	﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذَن لِّي ﴾ - ٢٨
٧٥	التوبة	٦٠	﴿ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِمَا ﴾ - ٢٩
٧٥	التوبة	٦١	﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾ - ٣٠
٧٥	التوبة	٧٥	﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللَّهَ ﴾ - ٣١
٢٥٦	التوبة	٩٥	﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ﴾ - ٣٢
٢٣٥	التوبة	٩٧	﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ - ٣٣
١٧	التوبة	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ - ٣٤
٢٥٧	التوبة	١١٧	﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ - ٣٥
٢٥٦	التوبة	١١٨	﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ - ٣٦
٢٥٦	التوبة	١١٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ﴾ - ٣٧

٢٣٩	التوبة	١٢٨	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ -٣٨
١١٧	هود	٧٣	﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ -٣٩
١٠٩	هود	٧٨	﴿قَالَ يَقْوَرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ -٤٠
٥٢	هود	١١٤	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ -٤١
٣	يوسف	٩٧	﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ -٤٢
٢٠٧	النحل	١١١	﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجْدِلٌ﴾ -٤٣
٣	الإسراء	٣١	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ -٤٤
١٥٩	الإسراء	٣٦	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ -٤٥
٥٣	الإسراء	٧٠	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ -٤٦
٢٠٧	الكهف	٥٤	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ -٤٧
٩	الأنبياء	١٠٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ -٤٨
٣١٤	الحج	٣٠	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ -٤٩
٣٣٢	النور	٤	﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ -٥٠
١٥٢	النور	٦٣	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ﴾ -٥١
٩٥	الفرقان	٤٤	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ -٥٢
٩٠	الفرقان	٥٨	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغِيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ -٥٣
٤٧	الشعراء	٢١٦	﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾ -٥٤
١٥٧	النمل	٢٧	﴿قَالَ سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ -٥٥
٢٦٤	الأحزاب	٥٣	﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ -٥٦

٣٢٥	الأحزاب	٥٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾
١٥٧	ص	٢٤	﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ ﴾
١٢٨	ص	٣٠	﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾
١١٦	ص	٧٨	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾
٥٢	الزمر	٩	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ إِِنَّاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا ﴾
١٥٤	الزمر	٧١	﴿ وَقَالَ لَهُمْ خِرْنِبَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾
٩٦	الزخرف	٢٣	﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ شَكٍّ ﴾
٨٢	محمد	١٤	﴿ أَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَنِيهِ مِن رَّبِّهِ ﴾
١١٧	الفتح	٦	﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾
٣١٢	الحجرات	٢	﴿ أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾
٧٤	الحديد	٢٧	﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا ﴾
٢٣٨	الحشر	١٠	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾
٣٤	الجمعة	٢	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا ﴾
٢٦٤	التحریم	١	﴿ تَبْنِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ ﴾
٢٤١	التحریم	٢	﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾
٢٦٣	التحریم	٤	﴿ إِنْ نُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ ﴾
٩٤	الملك	١٠	﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾
٢٣	القلم	٤	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
٢٢٥	البروج	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

فهرس الأحاديث

مكانه	الراوي	طرف الحديث
٢٩٨	أبو هريرة	١- (.. اذْهَبْ فَاطْرُخْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ ...) .
٢٧٨	أبي طلحة الأسدي	٢- (.. أَمَا إِنَّكَ لَوْ تَبْتَ لَفَقَأْتُ عَيْنَكَ ..) .
٢٨٦	أنس بن مالك	٣- (.. أَمَا إِنَّ كُلَّ بَنَاءٍ وَبَالٍ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَا لَا، ..) .
٢٩٢	أبو سعيد الخدري	٤- (.. إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ حِمْرَةٌ مِنْ نَارٍ ..) .
٥٨	عمرو بن شعيب	٥- (.. أَيْسُرُكَ أَنْ يُسَوِّرَكَ اللَّهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..) .
١٠١	عبد الله بن عمر	٦- (.. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ..) .
٢١٧	المعمر بن سويد	٧- (.. أَعْرِتَهُ بِأَمِهِ؟ فَقُلْتُ: مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبَا أَبَاهُ ..) .
١٠٨	أبي هريرة وأبي سعيد	٨- (.. أَكُلْتُ ثَمَرٍ خَيْرَ هَكَذَا؟ " . قَالَ: لَا ..) .
٧١	جابر بن عبد الله	٩- (.. إِنْ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..) .
٢٧٦	سهل الساعدي	١٠- (.. إِنَّمَا جَعَلَ الْأُذُنَ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ ..) .
٢٧٦	عبد الله بن المغفل	١١- (.. إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ وَلَا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ ...) .
١٠٥	أبي سعيد الخدري	١٢- (.. أَوْ يَقُولُ هَكَذَا، وَبَصَقَ فِي ثَوْبِهِ وَحَكَ بَعْضُهُ ..) .
٢٦٦	أم المؤمنين عائشة	١٣- (.. أَنَا أُعْطِيَ تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ، فَهَجَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ ..) .
٢١٢	أبو أمامة	١٤- (.. أَتَرْضَاهُ لِأَمِّكَ ..) .
١٤٧	عبد الله بن عمرو	١٥- (.. ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأُضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا ..) .
٣٠٧	عبد الله بن الزبير	١٦- (.. اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْسِ الْمَاءَ ..) .

٢٩٥	أبو سعيد الخدري	١٧- (..أعذرتني في أصحابك لا يظنون أنك سخطت..).
٣١٥	زيد بن خالد الجهني	١٨- (..اغْرِفْ وَكَأَهَا ، ثُمَّ عَرَّفَهَا سَنَةً ثُمَّ اسْتَمْتَعَ بِهَا..).
٥٥	عبد الله بن مسعود	١٩- (..أعوذ بالله! قال: فحمل يضربه فقال: أعوذ..).
٣٠٤	سهل بن سعد	٢٠- (..افْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ ، بِذَلِكَ ..).
٢٠٣	أبو هريرة	٢١- (..أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه ...).
٢٢	أم المؤمنين عائشة	٢٢- (..إن الغبراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه..).
٨	جابر بن عبد الله	٢٣- (..إن الله لم يعثني معنتاً ولا متعتاً...).
٣٣١	أم المؤمنين عائشة	٢٤- (..أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَطَعَ يَدَ امْرَأَةٍ ..).
٤٤	عبد الله بن عمر	٢٥- (..إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون ..).
١٥٠	إياس بن سلمة	٢٦- (..أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ..).
١٤٠	عمر بن الخطاب	٢٧- (..أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفْرِ عَلَى قَدَمِهِ..).
١٤٨	أنس بن مالك	٢٨- (..أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ تَوَضَّأَ وَتَرَكَ..).
٢٦٠	كعب بن مالك	٢٩- (..إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك..).
١٠٥	أبي سعيد الخدري	٣٠- (..إن عجل به أمره فليفعل هكذا...).
٢٢٦	أم المؤمنين عائشة	٣١- (..أَنَّ قُرَيْشًا ، أَهْمُهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومَةِ ..).
١٦٠	عمر بن الخطاب	٣٢- (..إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ..).
٢٠٨	عبد الله بن عمرو	٣٣- (..أَنَّكَ حَنِي أَبِي امْرَأَةٍ ذَاتِ حَسَبٍ ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ..).
١٥٥	أنس بن مالك	٣٤- (..إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر..).
٧٦	سليمان بن صرد	٣٥- (..إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ ..).
١٠٧	عبادة بن الصامت	٣٦- (..أيكم يحب أن يعرض الله عنه بوجهه ..).
٤٦	عبد الله بن عمر	٣٧- (..بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ ..).

٤٤	عبد الله بن عمر	٣٨- (..) بعث رسول الله بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد..)
٣٩	أسامة بن زيد	٣٩- (..) بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ...).
١٨١	ابن عمر	٤٠- (..) تَحَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "كَفَّ عَنَّا...).
١٧٦	أبي الزاهرية	٤١- (..) جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ...).
٣٩	أسامة بن زيد	٤٢- (..) حَتَّى تَمْنَيْتَ أَنِي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ...).
٢٤٠	أبو هريرة	٤٣- (..) خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ...).
٢٠٤	عبد الله بن عباس	٤٤- (..) خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ...).
٣٢٨	عمرو بن شعيب	٤٥- (..) خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ...).
٢٠٥	عبادة بن الصامت	٤٦- (..) خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدَرِ فَتَلَاَحَى رَجُلَانِ...).
١٦٩	أنس بن مالك	٤٧- (..) دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ...).
٢٣٣	أبو هريرة	٤٨- (..) دَعَوْهُ، وَأَهْرَيْقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ...).
١٨٤	سلمان الفارسي	٤٩- (..) الدُّنْيَا سَجَنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ...).
١٤٨	بعض أصحاب النبي	٥٠- (..) رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي وَفِي ظَهْرِ قَدَمِهِ...).
١٠٣	أبو هريرة وأبي سعيد	٥١- (..) رَأَى نُخَامَةً فِي جِدَارِ الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَ حَصَاةً...).
٣١١	أم المؤمنين عائشة	٥٢- (..) سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ...).
١٣٧	مالك بن الحويرث	٥٣- (..) صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي...).
١٩	أنس بن مالك	٥٤- (..) غَارَتْ أُمُكُمُ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ...).
١٨	زينب بنت أبي سلمة	٥٥- (..) فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ مَاءٍ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهِي...).
٢٥٩	كعب بن مالك	٥٦- (..) فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرُ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ...).
٣٢٢	أنس بن مالك	٥٧- (..) فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَافَ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي...).
١٣٦	رفاعة بن رافع	٥٨- (..) فَأَرَانِي وَعَلِمَنِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَصِيبُ وَأُخْطِئُ...).

٢٥٥	كعب بن مالك	٥٩- (.. فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ..).
٣١١	عائشة أم المؤمنين	٦٠- (.. فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ ..).
٣١٠	سهل بن سعد	٦١- (.. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ..).
٥٤	أبو مسعود	٦٢- (.. فَجَعَلْتُ لَا أَعْقِلُ مِنَ الْغَضَبِ حَتَّى دَنَا مِنِّي ..).
١٤٣	صفوان بن أمية	٦٣- (.. فَدَخَلْتُ وَلَمْ أَسْلَمْ، فَقَالَ: "ارْجِعْ..).
٢٦٠	كعب بن مالك	٦٤- (.. فَسَلِمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ..).
٣٢٥	عبد الله بن عمرو	٦٥- (.. فَصُمُّ صَوْمُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَصُومُ ..).
١٣٠	علي بن أبي طالب	٦٦- (.. فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلُومُ حِمَزَةَ فِيمَا فَعَلَ..).
٢٧٤	أنس بن مالك	٦٧- (.. فَقَامَ إِلَيْهِ بِمِشْقَصٍ أَوْ مِشَاقِصَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ ..).
٢٤٦	ابن عباس	٦٨- (.. فَلَا تَقْرُبْهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ..).
٢٦١	كعب بن مالك	٦٩- (.. فَلَمَّا سَلِمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمُ الْمَغْضَبِ...).
٦٥	حميد الساعدي	٧٠- (.. فَمَا بَالُ الْعَامِلِ تَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ..).
٣٠٢	سمرة بن جندب	٧١- (.. فَهَيْهَ لَهُ وَلَكَ كَذَا وَكَذَا..).
٣٢١	أبو موسى الأشعري	٧٢- (.. قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي قَالَ: " أَبُوكَ حُدَافَةُ ..).
١٥٢	بريدة	٧٣- (.. قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْحَمَلِ الْأَحْمَرِ..).
٢٩٥	عمار بن ياسر	٧٤- (.. قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِي لَيْلًا وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ..).
٢٠١	أبو ثعلبة الخشني	٧٥- (.. كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنَزِلًا تَفَرَّقُوا..).
٢١٧	أبو ذر الغفاري	٧٦- (.. كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ ..).
١٣	أبو هريرة	٧٧- (.. كَيْفَ كَيْفَ — لِيَطْرَحَهَا..).
٨٦	المغيرة بن شعبة	٧٨- (.. كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ..).
٧٤	ابن عمر	٧٩- (.. كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ..).

١١٨	عبد الله بن عمر	٨٠- (..) كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلَامُ..).
٥١	أبو مسعود البديري	٨١- (..) كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ..).
٢٩٥	حريث بن الأبيح	٨٢- (..) كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ زَيْبِ امْرَأَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (..) ..).
٢٨٢	عقبة بن الحارث	٨٣- (..) كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا؟ (..) ..).
٣٢٥	أبو قتادة	٨٤- (..) كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ..).
١١٢	جابر بن سليم	٨٥- (..) لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ. فَإِنْ عَلَيْكَ السَّلَامُ..).
١٩٦	ابن عباس	٨٦- (..) لَا تُلْعَنُهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّهُ مِنْ لَعْنِ شَيْئًا..).
٢٦٧	عبد الله بن عمر	٨٧- (..) لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ..).
٢٧٨	الأسود بن يزيد	٨٨- (..) لَا تَرُكْ كِتَابَ اللَّهِ وَسَنَةَ نَبِيِّنا ﷺ (..) ..).
١١٦	سهل بن حنيف	٨٩- (..) لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ خَبِثَ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ (..) ..).
٥١	أبو مسعود	٩٠- (..) اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ..).
٢٧٦	سهل الساعدي	٩١- (..) لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ (..) ..).
٧٦	أنس بن مالك	٩٢- (..) لَوْ أَمَرْتُمْ هَذَا أَنْ يَغْسِلَ هَذَا عَنْهُ..).
٤٣	حرمة	٩٣- (..) لَوْ كُنْتُ فِي شِدْقِ الْأَسَدِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ..).
٥٤	عبد الله بن مسعود	٩٤- (..) لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتِكِ النَّارِ..).
٢٦٢	عبد الله بن عباس	٩٥- (..) لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..).
١٧٠	أنس بن مالك	٩٦- (..) لَا تَفْعَلْ تَصْلِيَّ مَا عَقَلْتَ فَإِذَا غَلِبْتَ فَلْتَنْتُمْ..).
٢٠٤	جابر بن سمرة	٩٧- (..) لَيْتَنِي هُنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ..).
١٦٥	عبد الله بن مسعود	٩٨- (..) لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا..).
٣٣٤	عوف بن مالك	٩٩- (..) لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ! لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ!..).
٧٢	أنس بن مالك	١٠٠- (..) مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذًا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي..).

٧٠	أم المؤمنين عائشة	١٠١- (..مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَزَهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟..).
٦٣	أم المؤمنين عائشة	١٠٢- (..مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ أَعْتَقَ ..).
٦١	أم المؤمنين عائشة	١٠٣- (..مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا ..).
٢٦	عبد بن شرحبيل	١٠٤- (..مَا عَلَّمْتُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتُ ..).
٢٦٨	أم المؤمنين عائشة	١٠٥- (..مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ..).
٩٢	عبد الله بن عباس	١٠٦- (..مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ ..).
٢٩٥	عبد الله بن عمرو	١٠٧- (..مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَحْمَرَانِ ..).
١٥٧	عبد الله بن محبزه	١٠٨- (..مَرِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالتَّائِذِينَ. فَأَمَرَ لَهُ ..).
١٧٣	أم المؤمنين عائشة	١٠٩- (..مَهْ، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ ..).
٧٥	أبو هريرة	١١٠- (..مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ ...).
٧٥	أنس بن مالك	١١١- (..مَا بَالُ رِجَالٍ يُوَاصِلُونَ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي ..).
٨١	سهل الساعدي	١١٢- (..مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟". قَالُوا: حَرِيَّ ..).
٣١٨	أم المؤمنين عائشة	١١٣- (..مَا بَالُ هَذِهِ التَّمْرِقَةِ ؟ ..).
٥٣	عبد الله بن مسعود	١١٤- (..وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَضْرِبُ عَبْدًا أَبَدًا ..).
٣٣٧	عامر بن أبي وائلة	١١٥- (..وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْغِضُ هَذَا فِي اللَّهِ، فَقَالَ أَهْلُ ..).
٣١١	أنس بن مالك	١١٦- (..وَاللَّهِ لِحِمَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ ..).
٥١	عبد الله بن مسعود	١١٧- (..وَاللَّهِ اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ ..).
٤٤	أسامة بن زيد	١١٨- (..وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبَطِينِ ..).
١٤٠	البراء بن عازب	١١٩- (..وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ..).
١٣٨	رفاعة بن رافع	١٢٠- (..وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمِقُهُ وَلَا يَشْعُرُ ..).
١١٦	أبو هريرة	١٢١- (..وَلَكِنْ لِيَقْلُ فِتْنَايَ وَلَا يَقْلُ الْعَبْدَ رِبِي ..).

١٢٢	علي بن أبي طالب	(..وَمَا يُذَرِّكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ ..).
٥٦	عبد الله بن عمرو	(..وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ..).
١٢٨	أبي بكره	(..وَيْلَكَ قَطَعْتَ عَنِّي صَاحِبِكَ...).
١٢٧	عبد الله بن عمر	(..نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي..).
٢٧٨	ابن أبي ليلى	(..هَنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ..).
٧	عمر بن أبي سلمة	(..يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلَّ يَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا..).
١٣٠	أبو هريرة	(..يَا فُلَانُ! أَلَا تُحَسِّنُ صَلَاتَكَ؟ ..).
٣١٠	كعب بن مالك	(..يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ! " قَالَ: كَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ..).
٢٠٤	عبد الله بن عباس	(.. يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ ..).
٢٢٣	جابر بن عبد الله	(..يَا مُعَاذُ أَفَتَانَ أَتَيْتَ ثَلَاثًا..).
١١٧	سعيد بن أبي الحسن	(..يَا أَبَا عَبَّاسٍ، إِنِّي إِنْسَانٌ، إِنَّمَا مَعِيشَتِي..).
٢٦٤	أم المؤمنين عائشة	(..يا رسول الله إني أجد منك ريح مغافير..).
٢٦٤	أبو هريرة	(..يا رسول الله في بيتي من دون نسائك..).
٢٩٥	علي بن أبي طالب	(..يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ..).
٨٤	أبو هريرة	(..يا رسول مَنْ أَكْرَمَ النَّاسَ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ..).
١٨	رافع الغفاري	(..يَا غُلَامُ لِمَ تَرْمِي التَّخْلُ؟ " قَالَ: أَكُلُّ..).
٧٧	علي بن شيبان	(..يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ..).
٧٦	أم المؤمنين عائشة	(..يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ ..).

فهرس الرواة المترجم لهم

الصفحة	العلم
١٩٣	١- أبان بن يزيد
١٩٧	٢- أبو العالية الرياحي
١١٤	٣- أبو بكر بن أبي شيبة
٢٠٢	٤- أبو ثعلبة الخشني
١٤٤	٥- أحمد بن حنبل
٢٦٩	٦- أيوب السختياني
١٩٧	٧- بشر بن عمر بن عقبة
٢٧	٨- جعفر بن إياس بن أبي وحشية
١٧٧	٩- حدير بن كريب
٢٤٨	١٠- حسين بن الحرث
٢٤٧	١١- الحكم بن أبان العدني
١٤٤	١٢- روح ابن عبادة
١٩٨	١٣- زيد بن أخزم الطائي
١١٤	١٤- سليمان بن حيان
٢٧	١٥- سليمان بن داود الطيالسي

٢٧	١٦- شعبة بن الحجاج الواسطي
١١٤	١٧- طريف بن مجالد
٢٧	١٨- عباد بن شرحبيل الغبري
١٧٧	١٩- عبد الرحمن بن مهدي
٢٦٩	٢٠- عبد الرزاق الصنعاني
١٨١	٢١- عبد العزيز بن عبد الله القرشي
١٧٧	٢٢- عبد الله بن بسر المازني
١٩٧	٢٣- عبد الله بن عباس
١٨٢	٢٤- عبد الله ابن عمر بن الخطاب
٢٠١	٢٥- عبد الله بن العلاء بن زبر
٢٦٩	٢٦- عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة
١٤٣	٢٧- عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج
٢٤٧	٢٨- عكرمة مولى ابن عباس
١٤٤	٢٩- عمرو بن أبي سفيان
١٤٤	٣٠- عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي
٢٤٨	٣١- الفضل بن موسى
١٩٧	٣٢- قتادة السدوسي
١١٤	٣٣- المثني بن عفان البصري
٢٠١	٣٤- مسلم بن مشكم
١٧٧	٣٥- معاوية بن صالح
٢٤٨	٣٦- معمر بن راشد

٣٧- يحيى ابن سليم البكاء

١٨٢

ثبت المصادر والمراجع

- حرف الألف -

- ١- الآباء وسلوك الأبناء، محمد عبد الرحيم عدس، (ط ١، دار الأوائل، ٢٠٠٣).
- ٢- ابتسامات نبوية، عبد الله بن حمود البوسعيد، (دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٣- أخلاق النبي ﷺ في صحيح البخاري ومسلم، عبد المنعم الهاشمي، (ط ١، بيروت: دار ابن زمر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ٤- أدب الحوار في الإسلام، سيف الدين شاهين، (ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- ٥- أدب الخلاف، صالح بن عبد الله الحميد، (مكتبة العبيكان، ٢٠٠٨).
- ٦- آداب الأكل والشرب في الفقه الإسلامي، حامد بن مدة الجدعاني، (ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠١م).
- ٧- الإرشاد والتوجيه النفسي للأطفال، سلوى محمد عبد الباقي، (مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠١م).
- ٨- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبو العباس القسطلاني، (المطبعة الميمنية، ١٣٣٢م).
- ٩- الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس، محمد صالح المنجد، (ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١١هـ).
- ١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ).
- ١- أسئلة الرسول ﷺ في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية، نعمات محمد الجعفري.
- ١- أساس البلاغة، محمود الزمخشري، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤١هـ - ١٩٢٢).
- ١- أساليب التربية والتعليم، الأمين محمد عوض، (١٩٩٠م).

- أساليب التربية الخاطفة وأثرها في تنشئة الطفل، يحيى محمد النبهان، (دار اليازوري، ٢٠٠٨).
- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمود العاني، (ط١، عمان: دار عمار للنشر توزيع، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية، يوسف خاطر حسن صوري، (الكويت:)
- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد الصيد الزنتاني، (ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٩١م).
- أسس الدعوة وآداب الدعاة، أبو بكر جابر الجزائري، تحقيق إبراهيم عبد الله الحازمي، (ط١، ١٤١هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي (ط١، رت: دار الجيل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- أصول التربية الإسلامية، أحمد الطبيب، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م).
- أصول التربية الإسلامية، أمين بولاي، (١٩٩٩م).
- أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، (ط١، دار عالم الكتب، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل القاضي، (الرياض: عالم الكتب، ٢٠٠٢م).
- أصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن النحلوي، (ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦م).
- أصول التربية الإسلامية، محمد شحات الخطيب وآخرون، (ط١، دار الخريجي، ١٤١٥هـ - ١٩٩١م).
- أصول تربية الطفل المسلم الواقع والمستقبل، آمنة راشد بنجر، (ط١، دار الزهراء للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، (دار المعارف، ١٩٩٣).
- أصول علم النفس العام، عبد الحميد محمد الهاشمي، (جده: دار الشروق، ١٩٨٤م).

- ١- الإضطرابات السلوكية، جمال مثقال القاسم، (دار صفاء، ٢٠٠٠م).
- ١- الإضطرابات السلوكية وعلاجها، جمعة سيد يوسف، (دار غريب، ٢٠٠٠م).
- ١- أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين، جمال عبد الرحمن، (ط١، مكة المكرمة: دارطيبة نضراء، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- ١- الأطفال المزعجون، مصطفى أبو سعد، (ط٤، الكويت: الإبداع الفكري، ١٤٣٠هـ).
- ١- اقتضاء الصراط المستقيم، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، (دار الكتاب بربی، ١٩٩٦م).
- ١- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، سعي الخوري الشرتوني، (مكتبة لبنان، ١٩٩٢م).
- ١- الإكمال في رفع الاریاب، سعد الملك ابن ماکولا، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢م).
- ٢- إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبي الفضل عیاض بن موسی بن عیاض، تحقیق یحیی إسماعیل (ط١، صورة: دار الوفاء للطباعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ٢- إليك أختي المربية، حولة درويش
- ٣- الأم، محمد بن أدريس الشافعي، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٣).
- ٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر، أصوله وضوابطه وآدابه، خالد بن عثمان السبیت، (ط١، دن، المنتدى الإسلامي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ٤- الإنسان والتفكير الإيجابي، دراسة تربوية نفسية إدارية، د. عيسى بن علي الملا، (ط١، الناشر: لولف، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

- حرف الباء -

- ٤- بيان الدلیل علی بطلان التحلیل، لشيخ الإسلام ابن تیمیة،
- ٤- بدائع الفوائد، شمس الدین محمد ابن القيم الجوزية، (دار النفائس، ٢٠٠١م).
- ٤- بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس، وإصلاح المجتمع، ناصر راضي الزهراني، ط١٠، القاهرة: نار البصائر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

-حرف التاء-

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، شهاب الدين أحمد البوصيري، (مكتبة الرشد، ١٩١هـ).
- التاريخ الصغير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، (ط١، القاهرة: مكتبة التراث، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق السيد هاشم الندوي، (دار الفكر).
- تأديب الطفل من المنظور الإسلامي والتربوي، سامي محمد هشام، وأنجاد محمد هشام حريز، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- تاريخ أسماء الثقات، عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين، تحقيق صبحي السامرائي، (ط١، الكويت: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- تاريخ خالد بن الوليد، أبو زيد شلي، (ط١، المطبعة المصرية ١٣٢٥ هـ - ١٩٣٣م).
- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).
- التبيين لأسماء المدلسين، إبراهيم بن محمد بن سبط الطرابلسي، تحقيق محمد إبراهيم الموصلي، ط١، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة، ١٤١٤هـ).
- التثبت والتبين في المنهج الإسلامي، د. أحمد محمد العلمي، مركز التفكير الإبداعي، (ط١، بيروت-لبنان، دار ابن حزم، ١٤١٢هـ).
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤).
- تحفة الأحوذ، محمد عبد الرحمن المباركفوري، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- تدريب الراوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة).

- ١- تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسراني، تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، (ط١)، باض: دار الصميعي، ١٤١٥هـ).
- ١- تذكرة الدعاة، البهي الخولي، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- ١- التربية الإسلامية أصولها، ومنهجها، وعلمها، عاطف السيد
- ١- التربية الإسلامية للأولاد، عبد المجيد طعمة حلي، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م).
- ١- التربية الإسلامية وتحديات العصر، عبد الغني عبود، (دار الفكر العربي، ١٩٩٠م).
- ١- التربية الوقائية، فتحي يكن،
- ١- التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، خليل بن عبد الرحمن الحديري، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨هـ).
- ١- تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، خالد العك، (بيروت: دار المعرفة).
- ١- تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، (ط٢، دار السلام للطباعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٩م).
- ١- تربية الأولاد والآباء في الإسلام، د. المبروك عثمان أحمد، (ط١، دار ابن قتيبة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٩م).
- ١- تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، يوسف بديوي، (ط١، دمشق: دار المكتبي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ١- تربية الطفل في السنة النبوية، محمد صالح عبد الله المنيف، (ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ١- تربية الطفل في الإسلام، أطوارها، وآثارها وثمارها، عبد السلام عطوة الفندي (ط١، الأردن: دار بن حزم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- ١- تربية الطفل في الإسلام، أحمد عطا عمر، محمود محمد حمودة وآخرون، (ط١، عمان: دار الفكر لطباعة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

- ١- تربية الطفل في الإسلام، حنان عبد المجيد العناني (دار صفاء، ٢٠٠١م).
- ١- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير، الطاهر أحمد الزاوي، (ط٣، الدار العربية كتاب ١٩٨٠م).
- ١- التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية (ط١، بيروت: دار الفكر ناصر، ١٤١٠هـ).
- ١- التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيد الجرجاني، تحقيق عبد المنعم الحفني (ط٥، القاهرة: دار شاد).
- ١- تعديل السلوك الإنساني، جمال الخطيب، (مكتبة الفلاح ٢٠٠١م).
- ١- تعديل السلوك الإنساني، جودت عزة عبد الهادي.
- ١- تعديل سلوك الأطفال، جمال محمد الخطيب، (دار حنين، ٢٠٠١م).
- ١- تعليم بلا عقاب، محمود إسماعيل عمار، (ط١، الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤١هـ - ١٩٩٩م).
- ١- تفسير القرطبي، شمس الدين محمد القرطبي، (دار الكتب المصرية، ١٩٣٣هـ).
- ٨- تفسير السعدي، الشيخ عبد الرحمن السعدي،
- ٨- تفسير الشيخ ابن عثيمين، محمد بن صالح بن عثيمين.
- ٨- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة (ط١، سوريا: دار رشيد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ٨- تلخيص الحبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق السيد هاشم اليماني (المدينة المنورة: ١٣٨١هـ - ١٩٤٦م)
- ٨- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨١م).

- ١- تذيب الكمال، يوسف بن الزكي المزني، تحقيق د. بشار عواد معروف، (ط١، بيروت: مؤسسة سالة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- ٢- التوجيه المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك، صالح الحميد، (ط٢، ١٤١٥هـ).
- ٣- التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، عبد المجيد بن سالم المشعبي، (مكتبة مديق، ١٩٩٤م).
- ٤- تنشئة الطفل وحاجاته بين النظرية والتطبيق، سهير كامل أحمد وآخرون، (مركز الاسكندرية كتاب، ٢٠٠٢م).

- حرف الثاء -

- ١- الثقات، محمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، (ط١، دار الفكر، ١٣٩هـ - ١٩٧٥م).
- ٢- ثلاثون وقفة في فن الدعوة، الشيخ عايض القرني، (البيكان، ١٤١٥هـ).
- ٣- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، محمد ناصر الدين الألباني، (ط١، مؤسسة غراس للنشر التوزيع، ١٤٢٢هـ).
- ٤- الثناء المنضبط وسيلة تربوية، محمد الدويش.

- حرف الحاء -

- ٩٣- الأحاديث المختارة، ضياء الدين المقدسي، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش (ط١، مكة لكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠هـ).
- ٩٤- الإحتساب على الأطفال، د. فضل إلهي، (ط١، الرياض: إدارة ترجمان الإسلام، مكتبة المعارف لنشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ٩٥- حاشية ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ٩٦- حاشية السندي، نور الدين عبد الهادي أبو الحسن السندي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (ط٢، طب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

- ١- الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (دار الشروق، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- ١- الحوار وبناء شخصية الطفل، سلمان خلف الله، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م).
- ١- الحوار آدابه ومنطلقاته، وتربية الأبناء عليه، محمد شمس الدين خوجه، (الرياض: مركز الملك عبد
زيز للحوار الوطني، ١٤٢٥هـ).
- ١- الحوار في القرآن الكريم آدابه وفوائده، خليل إبراهيم فرج.
- ١- الحياة الأسرية لرسول الله وصحابته رضوان الله عليهم في عصر الرسالة، إقبال حسن أحمد
اوي، (جامعة صدام للعلوم الإسلامية والموسوعة العلمية، ٢٠٠٢م).
- ١- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد الأصبهاني، (ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).

- حرف الدال -

- ١- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم
حاني، (بيروت: دار المعرفة).
- ١- الدوافع في الحديث النبوي، محمد عثمان نجاتي.
- ١- الديباج على مسلم، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق أبو أسحاق الحويني، (الخير: دار
ن عفان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ١- دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، محمد لقمان الأعظمي، (مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ).
- ١- دليل الآباء الحائرين لإيقاف سلوكيات الطفل السيئة، كات كيلى، (ط١، الرياض: مكتبة جرير،
٢٠٠١م).
- ١- دليل الآباء في تربية الأبناء، لين كلارك، (ترجمة: يوسف أبو حميدان، دار الضياء للنشر والتوزيع،
٢٠٠١م).
- ١- دليل التربية الأسرية، عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، (ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١).
- ١- دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، محمد البكري الصديقي، (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م).

- حرف الذال -

- ذيل أقرب الموارد، سعيد الشرتوني، (مطبعة مرسلتي اليسوعية، ١٨٨٩هـ - ١٨٩٣م).

- حرف الراء -

- الرسول العربي المرئي، عبد الحميد الهاشمي، (ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ - ١٩٨٨م).

- الرسول المعلم ومنهجه في التعليم، محمد رأفت سعيد، (ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع، ١٤٠هـ - ١٩٨٢م).

- الرسول والعلم، يوسف القرضاوي، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م).

- رسائل إلى الآباء، صلاح الدين العباسي، (القاهرة: دار غريب).

- حرف السين -

١- السلسلة الصحيحة المختصرة، محمد ناصر الدين الألباني (الرياض: مكتبة دار المعارف).

١- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد الغفار البنداري، (ط١، روت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).

١- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد الأعظمي، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب إسلامي).

١- السنن المأثورة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، (ط١، بيروت: دار لعرفه، ١٤٠٦هـ).

١- سبل السلام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق محمد بن عبد العزيز الخولي، (ط٤، بيروت: دار حياء التراث العربي، ١٣٧٩م).

١- سلسلة الآداب الإسلامية، محمد صالح المنجد.

١- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر).

- سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم اليميني، (بيروت: دار رفة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، (ط١، بيروت: دار كتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- ١- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (ط٢، حلب: مكتب طبعات، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر).
- ١- سياسات تربوية خاطفة، محمد ديماس، (ط١، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ١- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد القرسوسي، ط٩، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
- ١- سيرة ابن هشام، جمال الدين عبد الملك ابن هشام، (دار النفائس، ١٩٨٥).
- ١- سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين، السيد سليمان الندوي، (ط١، دمشق، دار القلم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠١م).

- حرف الشين -

- ١- شرح بلوغ المرام، عطية محمد بن سالم.
- ١- شرح رياض الصالحين للإمام أبي زكريا يحيى النووي، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، (ط١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ١- شرح الزرقاني على موطأ مالك، محمد عبد الباقي الزرقاني، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).
- ١١- شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن الخلف ابن بطلال، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ١١- شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩).

- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ط ٢، بيروت: دار إحياء
اث العربي، ١٣٩٢).
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني (ط ١، بيروت: دار الكتب
لمية، ١٤١٠هـ).
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، أبو سعيد نشوان الحميري، (مطبعة بريل، ١٩٥١).

- حرف الصاد -

- ١- صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، (ط ١، مؤسسة الريان، ١٤٢١هـ).
- ١- صحيح ابن حبان، محمد ابن حبان التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (ط ٢، بيروت:
بسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ١- صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ط ١، الرياض: دار السلام،
١٤٢هـ - ١٩٩٩م).
- ١- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، (ط ٥، الرياض: مكتبة المعارف).
- ١- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، (ط ١، الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ
١٩٩٩م).
- ١- صحيح وضعيف الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، (الإسكندرية: مركز نور الإسلام لأبحاث
قرآن والسنة).
- ١- صحيح وضعيف ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، (الإسكندرية: مركز نور الإسلام لأبحاث
لقرآن والسنة).
- ١- صحيح وضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، (الإسكندرية: مركز نور الإسلام
لأبحاث القرآن والسنة).

- حرف الطاء -

- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (بيروت: دار صادر).
- الطفل في الشريعة الإسلامية، ومنهج التربية النبوية، سهام مهدي جبار، (ط ١، بيروت-صيدا، كتبة العصرية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠هـ).
- ١- طبقات المحدثين، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. همام عبد الرحيم سعيد، (ط ١، عمان-ردن، دار الفراقان، ١٤٠٤هـ).
- طبقات المدلسين، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عاصم بن عبد الله القريوتي، (ط ١، مان: مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- الضرب والتأديب بين الرفض والتأييد، محمد ضيف الله القرني، (ط ١، مكة المكرمة: دار طيبة نضراء للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

- حرف العين -

- ١- العوارض الأهلية عند الأصوليين، حسين خلف الجبوري، (ط ١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، بهد البحوث العلمية وأبحاث التراث الإسلامي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ١- عرض وقائع وتحليل أحداث السيرة النبوية، محمد الصلابي، (الأردن: دار الكتاب الثقافي، ١٤١٠هـ - ٢٠٠٨م).
- ١- العقل والعلم في القرآن، يوسف القرضاوي، (ط ١، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ١- العلاج السلوكي وتعديل السلوك، لويس كامل مليكة، (المؤلف، ١٩٩٤).
- ١- علل ابن أبي حاتم،
- ١- علم النفس التربوي، وتطبيقاته، محمد عبد الله البيلي، (مكتبة الفلاح، ٢٠٠١).
- ١- علم النفس النمو، حامد زهران، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣).

- ١- عندما غضب الرسول ﷺ ، محمد بن علي بن عثمان المجاهد، (مكتبة العبيكان، ٢٠٠٧).
- ١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود العيني (ط١)، المكتبة التجارية، مطفي أحمد الباز، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- ١- عون المعبود شرح سنن أبي دود، أبي الطيب محمد شمس عبد العظيم آبادي، (ط٢)، بيروت: دار كتب العلمية، ١٤١٥هـ).

- حرف الفاء -

- ١- فارس الإسلام خالد بن الوليد، شيخ الإسلام محمد ابن تيمية الحارثي، (ط١)، مكتبة ابن تيمية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- ١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد ماقى، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩م).
- ١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.
- ١- فصول ومسائل تتعلق بالمساجد، عبد الله بن عبد الرحمن بن جرير، (ط١)، وزارة الشؤون إسلامية، والأوقاف والدعوة، ١٤١٩هـ).
- ١- فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف، عبد الرحمن بن أحمد علوش.
- ١- فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، (الرياض: دار ربح).
- ١- فلسفة التربية في الإسلام، انتماء وارتقاء، أحمد رجب الأسمر.
- ١- فن طرح السؤال الصحيح جوهر العملية التعليمية، د. سلمى واسرمان، ترجمة: محمد طه علي، (ط١)، الرياض: دار المعرفة للتنمية البشرية، ١٤٢٠هـ).
- ١- فيض التقدير، عبد الرؤوف المناوي، (ط١)، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- ١- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسن الشاري، (ط١٢)، دار العلم للطباعة والنشر، ١٩٨٦).
- ١- القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (دار الشروق، ١٩٨٩).

- حرف الكاف -

- ١- الكاشف، حمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد عوامسة، (ط١)، دار القبلة للثقافة الإسلامية ١٤١٠هـ - ١٩٩٢م).
- ١- الكفاية الإدارية في السياسة الشرعية، عبد الله بن أحمد قادري، (دار المجتمع للنشر والتوزيع).
- ١- كشف الخفاء ومزيل الألباس، فيما يدور من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد مجلوني، تحقيق أحمد القلاش، (ط٤)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).
- ١- كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق علي حسين واب، (ط١)، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ١- الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، تحقيق عبد الرحيم محمد القشقري، (ط١)، مدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٤هـ).
- ١- كيف تربى ولدك، شقير حمود العتيبي، (الناشر: المؤلف، ١٤١٥).
- ١- كيف تسعد أبنائك وتربيهم بنجاح، محمد الكاتب، (ط٣)، بيروت: دار الأوجام، ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م).
- ١- كيف نعالج أخطاء أبنائنا، عبد الله محمد عبد المعطي، (ط١)، مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٦م).

- حرف اللام -

- ١- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد ابن منظور، (لبنان: دار صادر للطباعة، ٢٠٠٤م).
- ١- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق دائرة المعارف النظامية، (ط٣)، بيروت: مؤسسة الأعلمي للطبوعات، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

- حرف الميم -

- ١- مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، صالح بن سليمان المطلق ناووي، (ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ).
- ٢- متن اللغة، أحمد رضا، (دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨ - ١٩٦٠).
- ٣- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ).
- ٤- المحلى، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، تحقيق لجنة التراث العربي (بيروت: دار الآفاق نديدة).
- ٥- مرجع الآباء في تربية الأبناء، عبد الرحمن بن عبد الوهاب البابطين، (الرياض: دار النجاح للنشر توزيع).
- ٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين علي سلطان ملا علي القاري، (دار إحياء راث العربي).
- ٧- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر ط١، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- ٨- مسند أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي الموصلي، (ط١، فيصل آباد: إدارة العلوم ثرية، ١٤٠٧هـ).
- ٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، (مصر: مؤسسة قرطبة).
- ١٠- مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، (دار الوطن، ١٩٩٧).
- ١١- مسند أبي عوانة، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨).
- ١٢- مسند إسحاق بن راهوية، إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المروزي، تحقيق عبد الغفور عبد الحق بلوشي، (ط١، المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، ١٩٩٥).
- ١٣- مسند الطيالسي، سليمان بن داود البصري الطيالسي، (بيروت: دار المعرفة).
- ١٤- مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد، تحقيق، صبحي البدر السامرائي، (ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

- المشاكل الاجتماعية والسلوك الإنحرافي، محمد غيث، (دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١).
- مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٥٠).
- ١- المشكلات التربوية الأسرية، والأساليب العلاجية، خالد بن حامد الحازمي، (ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م).
- ١- المشكلات السلوكية، أسبابها وعلاجها، وطرق الوقاية منها، محمد ديماس،
- ١- مشكلات الأطفال النفسية، والأساليب الإرشادية لمعالجتها، سوسن شاكر مجيد، (ط١، عمان: رصفاء، ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ).
- ١- مشكل الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي، (مطبعة مجلس دائرة المعارف نظامية، ١٣٣٣).
- ٢- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال الحوت، (ط١، رياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ).
- ٢- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
- ٢- معاصر المختصر، أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، (بيروت: عالم الكتب).
- ٢- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله (القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ).
- ٢- معجم الصحابة، عبد الباقي بن قانع أبو الحسين، تحقيق صلاح المصري، (ط١، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٨).
- ٢- معجم الفرائد، إبراهيم السامرائي، (ط١، لبنان: ساحة رياض الصلح، ١٩٨٤م).
- ٢- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، (ط٢، الموصل، مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م).
- ٢- معرفة الصحابة، أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني، (مكتبة الدار، ١٩٨٨).

- ١- معرفة الثقات، أحمد بن عبد الله العجلي الكوفي، عبد العليم عبد العظيم البستوي، (ط ١، المدينة
ورة: مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- ١- معرفة السنن والآثار،
- ١- معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق السيد معظم
سين، (ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).
- ١- المعلم الأول، فؤاد شلهوب، (ط ١، الرياض: دار القاسم، ١٤١٧هـ).
- ١- معالم السنن شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد الخطابي البستي، (بيروت: دار الكتب
لمية).
- ١- معالم في التربية، عجيل جاسم النشمي، (ط ١، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٠هـ -
١٩٩٨م).
- ١- المغني، موفق الدين أبي محمد عبد الله المقدسي، (ط ١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ).
- ١- المدح أنواع، وضوابطه، حمود الحارثي،
- ٢- المدخل إلى أصول التربية الإسلامية، عبد العزيز المعاينة.
- ٢- مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، محمد عبد الرحمن الدخيل، (١٤١٨هـ).
- ٢- مفتاح دار السعادة، للإمام شمس الدين ابن القيم ابن الجوزية، (دار نجد للنشر والتوزيع،
١٩٩٨).
- ٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي،
نقيق محي الدين ديب وآخرون (ط ١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٢- مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح الحميد.
- ٢- مقدمة في التربية الإسلامية، صالح بن علي أبو عرّاد، (ط ١، الرياض: الدار الصولتية للتربية،
١٤٢١هـ - ٢٠٠٣م).

- ١- المقتنى في سرد الكنى، شمس الدين محمد الذهبي، تحقيق محمد صالح المراد (المدينة المنورة: مطابع جامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ).
- ١- المؤلف والمختلف، محمد بن طاهر بن علي القيسراني، تحقيق كمال يوسف الحوت، (ط١، روت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).
- ١- المنفردات والوحدان، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، (ط١، روت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٢- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، (ط٧، بيروت: دار الشروق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ٢- النهج النبوي في تربية الطفل، عبد الباسط محمد السيد، (ط١، مصر: شركة مكتبة ألفا ١٤٢هـ - ٢٠٠٥م).
- ٢- منهج التربية، أساسياته ومكوناته، علي مذكور، (الكويت: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ).
- ٢- منهج التربية في القرآن والسنة، عمر أحمد عمر، تقديم وهبة الزحيلي، (ط١، دار المعرفة، ١٤١هـ - ١٩٩٦م).
- ٢- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، (ط٣، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠).
- ٢- من أساليب الرسول ﷺ في التربية، نجيب خالد العامر، (ط١، السعودية: دار المجتمع، ١٤٠١هـ - ١٩٩٠م).
- ٢- من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة، د. فضل إلهي، (ط٢، الرياض: مؤسسة الجريسي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ٢- من صفات الداعية اللين والرفق، د. فضل إلهي، (ط٢، إدارة ترجمان الإسلام، ١٤١٢هـ).
- ٢- من وسائل وأساليب التربية النبوية، صالح بن علي أبو عراد.
- ٢- موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، علي الشحود.
- ٢- موقف الإسلام في الإلهام والكشف والرؤى، يوسف القرضاوي.

١- موطأ مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار نياء التراث العربي).

١- موضوعات خطبة الجمعة، عبد الرحمن اللويحي.

٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق الشيخ علي محمد بوض وآخرون، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥).

- حرف النون -

٢- النبي الكريم معلماً، د. فضل إلهي، (ط١، باكستان: إدارة ترجمان الإسلام، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٠م).

٢- نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، (ط١، الرياض: دار نشر الدولي).

٢- نداء إلى المربين والمريبات، لتوجيه البنين والبنات، محمد جميل زينو

٢- نصب الراية، عبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق محمد يوسف البنوري، (مصر: دار الحديث، ١٣٧٠م).

٢- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، (بيروت: دار الجليل، ١٩٧٣م)

- حرف الهاء -

٢- الهادي إلى لغة العرب، حسن سعيد الكرمي، (ط١، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).

٢- الهجر في الكتاب والسنة، مشهور حسن محمود سلمان، (ط١، دار ابن القيم، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

٢- هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، حنان اللحام، (ط١، بيروت: دار الفكر للعاصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

- حرف الواو -

- ١- وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، (ط٢)، الرياض: دار طيبة للنشر
لتوزيع، ١٤١٢هـ).

فهرس الموضوعات

أ	المقدمة
١	التمهيد:
٢	وفيه : تعريف الخطأ.
٦	أنواع المخطئين.
٢٥	أحوال المخطئين.
٣٣	الفصل الأول: هدي النبي ﷺ في تصحيح الخطأ بالقول.
٣٧	المبحث الأول: التخويف من الخطأ .
٥٩	المبحث الثاني : التلميح دون التصريح .
٧٩	المبحث الثالث : تصحيح التصور للمخطئ .
١٠١	المبحث الرابع : تقديم البدائل .
١١٩	المبحث الخامس : العتاب على الخطأ .
١٣٢	المبحث السادس : إعطاء الفرصة لمعرفة الخطأ وتصحيحه .
١٤٩	المبحث السابع : الدعاء على المخطئ .
١٥٨	المبحث الثامن : التثبت من المنكر .
١٦٧	المبحث التاسع : طلب الكف عن الفعل الخاطئ .
١٩٠	المبحث العاشر : توضيح مضرة الخطأ .
٢٠٦	المبحث الحادي عشر : محاورة المخطئ .

٢١٥	المبحث الثاني عشر : الإنكار الصريح والتنديد المباشر .
٢٣٠	الفصل الثاني : هدي النبي ﷺ في تصحيح الخطأ بالفعل .
٢٣٢	المبحث الأول : الهدوء في التعامل مع الخطأ .
٢٣٨	المبحث الثاني : إظهار الرحمة بالمخطئ .
٢٥٣	المبحث الثالث : هجر المخطئ .
٢٧٣	المبحث الرابع : تأديب المخطئ .
٢٨٠	المبحث الخامس : الإعراض عن المخطئ .
٢٩٧	المبحث السادس : إثارة الناس على المخطئ .
٣٠٣	المبحث السابع : الإصلاح بين المخطئين .
٣١٣	المبحث الثامن : إظهار الغضب من الخطأ .
٣٣٠	المبحث التاسع : حفظ مكانة المخطئ وإبداء الاحترام
٣٣٨	الخاتمة
٢٤٣	الفهارس
٣٤٤	فهرس الآيات القرآنية.
٣٤٩	فهرس الأحاديث الشريفة .
٣٥٦	فهرس الأعلام المترجم لهم.
٣٥٨	ثبت المصادر والمراجع.
٣٧٨	فهرس الموضوعات .